سلسلة مؤلفات السيد الدياجي المطبوعة

(٢٦)



حقوق المرأة في الإسلام

تأليف

السيد أبو القاسم الدياجي

حقوق المرأة في الإسلام

تأليف

السيد أبو القاسم الديباجي

الطبعة الالكترونية الاولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

قال أبو عبد الله عليه السلام:

إذا رأيتم العالم محبّاً للدنيا فاتّهموه على دينكم فإنّ كلّ محبّ لشيء يحوط ما أحبّ؛ وقال عليه السلام: أوحى الله إلى داود عليه السلام: لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدّك عن طريق محبّتي فإنّ أولئك قطّاع طريق عبادي المريدين إنّ أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي عن قلوبهم.

«الأصول الكافي، كتاب فضل العلم»

عَنْ إمَامِ العَارِفِينَ

أَمِيرِ المُؤمِنِينَ (ع)

العِلْمُ نَهْرٌ

وَالحِكْمَةُ بَحْرٌ

وَالعُلَمَاءُ حَوْلَ النَّهْرِ يَطُوفُونَ

وَالحُكَمَاءُ وَسَطَ البَحْرِ يَغُوصُونَ

وَالعَارِفُونَ فِي سُفُنِ النَّجَاةِ يَسِيرُونَ

في المجلد الثاني لشرح أصول الكافي لملا محمّد صالح المازندراني صفحة ٧٠ باب فضل العلم


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

المرأة نصف المجتمع الانساني

عندما يتطرق الاسلام إلى الانسان وحقوق الانسان فإنه يشمل الرجل والمرأة سواء، لأن المرأة لها حقوق متساوية مع الرجل فيما عدا بعض الموارد القليلة، وفي تلك الموارد القليلة أيضا لو توجهنا بصورة دقيقة وعميقة نرى أنه وضع القوانين لصالح المرأة، ولو كان غير ذلك لضاع حقها الطبيعي.

وبكل تأكيد أن النساء نصف المجتمع الانساني كما أن الرجال نصف المجتمع الانساني، عندما نمثل المجتمع الانساني بالطير نرى أن هذا الطير لديه جناحان، الجناح الأول هو الرجال والجناح الآخر هو النساء وبهذين الجناحين يستطيع أن يطير وإلا لن يستطيع أن يصل إلى المقصد.

وقد ذكر القرآن الحقوق المتساوية بين المرأة والرجل في آيات متعددة وبتعبير أفضل المساواة في حقوقهما في القانون، وكل الامتيازات في الاسلام التي جاءت بخصوص الرجال، جاءت أيضا في النساء وشملتهم، ومثال على ذلك قال الله عزّ وجلّ في كتابه المحكم في سورة الاسراء آية (٧٠):
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[١].

إن هذه الآية بلاشك جاءت وشملت الرجل والمرأة على حدٍ سواء لأن كلمة «بني آدم» تشمل الرجل والمرأة، ولم تُفسّر بأنها تختص بالرجال فقط.

ونقرأ في الآية (٤٠) من سورة غافر:
﴿مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُون الْجَنَّةَ﴾.

---

(١) معنى كلمة «كثير» في الآية المذكورة هو جميع، مجمع البيان – ذيل الآية.

وجاءت نظير تلك الآية باختلاف بسيطٍ في سورة النحل الآية (٩٧).

حديث قصير

عرّف الاسلام المرأة بأنها مثل الرجل لديها روح وأنها إنسان كامل ولها الارادة والاختيار ويراها الاسلام في مسير التكامل الذي هو هدف الخلقة، لذا جعل كل منهما في صف واحد وخاطبهما بالعبارات «يا أيها الناس» و «يا أيها الذين آمنوا» و «يا بني آدم» ولزم عليهما مناهج علمية وأخلاقية وتربوية.

يرى الاسلام المرأة بأنها مثل الرجل في استقلاليتها وحريتها ويبين القرآن في الآيات مثل ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثّر - ٣٨).

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ (فصلت - ٤٦).

أن هذه الحرية لعامة الأفراد وتشمل الرجل والمرأة، ولذا نرى هذا المطلب أيضا في مناهج العقاب والجزاء، مثلاً في الآية (٢) من سورة نور نقرأ:

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ﴾.

أو نقرأ في الآية (٣٢) من سورة النساء:

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلْنِسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾

مع التوجه لمعنى كلمة «اكتساب» والتي هي على خلاف كلمة «كسب» والتي تعني الحصول على مكسب مالي والذي نتيجته متعلّقة بالشخص الحاصل.

لذلك فالمرأة أيضا مثل الرجل لها الاستقلال في الامور الاقتصادية، وباختصار المرأة في الإسلام هي ركن من الركنين الأساسيين للمجتمع، ويجب ألا تُعامل معاملة الفاقد للارادة والمحتاج.

الكتاب الحالي

إن الهدف من تحرير هذا الكتاب هو تبيين حقوق المرأة في ضوء الاسلام، ولتوضيح ذلك تمّ تنظيم هذا الكتاب في أربعة فصول:

الفصل الاول: مظلومية المرأة قبل الاسلام، في العصر الحديث، وفي أدب الغرب والشرق ونجاتها في ضوء دين الاسلام.

الفصل الثاني: دراسة في حقوق النساء مقارنةً بالرجال، وفلسفة بعض الاختلافات في الاسلام ونماذج من حقوق المرأة.

الفصل الثالث: دراسة وتحقيق في مسائل الخطبة، الزواج، تعدد الزوجات ومقام الامومة وقانون الحجاب والطلاق والميراث.

الفصل الرابع: قصص وحكايات في دفاع الاسلام عن حقوق المرأة ونماذج من النساء الشامخات والبارزات وصانعات الرجال ودورهن الكبير في التاريخ.

على أمل الاستفادة من بحوث هذا الكتاب والحصول على النتيجة المطلوبة.

المؤلف

السيد أبو القاسم الديباجي

الفصل الأول

مظلومية المرأة قبل الاسلام
وفي العصر الحاضر
ونجاتها في ضوء الاسلام

وضع المرأة في عصر الجاهلية

نستطيع أن نقسم مظلومية المرأة في العالم قبل الاسلام إلى عهدين:

١) عهد الوحشـية الذي لم يعرف المرأة بالانسـان وانما عاملها بكل خشـونة ووحشـية ووكّل إليها أصعب الأعمال، ووصلت الأمور إلى حد بيع المرأة أو تأجيرها.

٢) عهـد حضـارات اليونـان، مصر، الروم وإيـران حيث اعتبرت هـذه الحضارات المـرأة على أثر الأديـان التوحيدية والتمـدّن كأحد البشر وبالتدريج أصبحت شريكة حيـاة الرجل، ولكن لم يكن لها شخصية حقوقية واجتماعية واعتبرت تابعة للرجل في كل شيء.

كانت المرأة في اليونان تُباع وتشترى كأحد السلع التجارية في السوق ولم يكن لها الحق في الحياة من بعد وفاة زوجها[1].

وفي الروم، لم يكن للأب الحق في بيع ابنته فقط وإنما كان يستطيع عند الضرورة القضاء على حياتها، وتنتقل هذه الحقوق الأبوية إلى الزوج الذي بصورة قانونية يملك المرأة.

وفي أستراليا، كانت المرأة تُحسب كالحيوانات الأليفة، وعند القحط يقتلونها ويأكلون لحمها.

في بابـل (قـرب بغداد)، على أسـاس كتـاب «هردوت» في كـل سـنة كـانت الـبـنـات – في إحدى القرى – اللاتي بلغن لسن الزواج تُباع كبضاعة بأسعار مختلفة.

في الهنـد، عنـد مـوت الـزوج ولتخليـص روحه مـن الوحـدة، يقومون بإحـراق زوجته معـه حيّاً ويعتبرون هذا الاحتراق نوع من الفداء وعشق المرأة الهندية لزوجها.

وكانـت المرأة بين اليهوديين جزء من إرث الوالـد، وكانوا يحتفلون ويفرحون بولادة الولد، ولكن عند ولادة البنت وقدومها كان الهم والغم يصاحبها[2].

وظهرت الفحشـاء بين المسـيحيين أكثر من الصلاح والرشـد في عهد سـيادة الرهبانية وبرز الزهد

الافراطـي بين الرجال والنسـاء المسـيحيين إلى درجة أن قـام «لوتر» بإصلاح انحرافات الكنيسـة لأنه كان يرى أن جزء عظيم من إيرادات الكنيسة، يأتي من معونات الأفراد التي تدفع هذه الأموال وهي في طريقها إلى مراكز الفحشاء حتى يعفو الله عنها.

وضع المرأة في الجزيرة العربية في الجاهلية الأولى

كان العـرب يقـوم بوأد البنات أحياء بعد الولادة خوفاً مـن أخذهن في الحرب وأسرهن وإنجابهن الأولاد لهـم، والبعـض الآخر يقتل البنـات خوفاً من الفقر[٣] وكانت النسـاء أيضا محرومة من الارث لأنهـا لا تشـارك الرجـال في الحروب وكانـت تورث كجزء مـن أموال الميـت ويجرّونها إلى الفحشـاء للحصول على الأموال من ورائها.[٤]

حديث قصير

قبل الاسـلام في الجزيرة العربية والحجاز كانت النسـاء تُعامل كالحيوانات وأحياناً أشـد من ذلك، حيث لم يدسّـوا حيواناً واحداً في التراب في حين دسّـوا آلاف البنات أحياء في التراب، ويعتقدون بأن المرأة برزخٌ بين الانسان والحيوان.

يقـول «كوسـتاولبون» عـالم الاجتماع الفرنـسي: «كانت عـادة وأد البنـات شـائعة في الجاهلية إلى درجـة أنه مثلما يقتلون صغـار الكلاب ويلقونها في الماء، كذلك وأد البنـات تحت التراب وهنّ أحياء، ويمكن فهم شـياع هذه العادة السـيئة من الحديث الذي دار بين قيس رئيس قبيلة بني تميم ورسول الله محمدﷺ.

رأى قيس الرسـولﷺ قد أجلس إحدى بناته على ركبتيه ويشـمّها، فسـأله: من هـذه النعجة التي تشـمّها هكـذا؟ فقالﷺ: هذه ابنتي: قال قيـس: إني والله وأدت إثنتي عشرة بنتاً ولم أشـم واحدة منها قط!

فصـاح الرسـولﷺ: ويحك، إن الله قد نـزع من قلبك لعدم علمك بالنعم الكبـيرة التي أنعمها الله عليك».[٥]

المراد من قيس في الحديث السابق هو «قيس بن عاصم»، حينما اعتنق الاسلام جاء يوماً إلى رسول اللهﷺ قائلاً: لقد دفنت اثنتى عشر بنتاً، ما تكليفي؟

قال رسول اللهﷺ: اعتق عن كل واحدة منهن رقبة عبدٍ.[٦]

إنه من الموحش حقاً أن تُداس كل تلك العاطفة وتُفتخر بقتل إنسان وذلك بأقبح صورة، الانسان

الذي هو جزء من النفس، الانسان الضعيف ويدفن حيّاً.

ويروي القرآن المجيد حكاية عرب الجاهلية ووأدهم البنات حيث قال عزّ وجلّ:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ، يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونْ﴾[٧]

نستفيد من هذه الآيات ثلاثة مواضيع والتي تبين مدى شدة كره الجاهلية للبنت وجنس المرأة:

أولا: عندما يسمعون بخبر ولادة البنت، يتضايقون بشدة ويغضبون إلى درجة أنه يسودّ وجوههم.

ثانيا: أنهم كانوا يتوارون من عار هذه الحادثة ولا يظهرون بالملأ العام.

ثالثا: أنهم كانوا يقعون في حيرة من أمرهم هذا هل يصبرون على هذا العار أم يدسونه في التراب حيّاً.

إن عار البنت في عصر الجاهلية كان لدرجة أنه نُقل عن بعض المفسّرين أن الرجل بمجرد علمه باقتراب الولادة عند المرأة يخرج من البيت ويتوارى، فإذا رُزق ولداً فرح وابتهج وعاد إلى بيته مسروراً فرحاً، ولكن إذا رُزق ببنتٍ غضب وتضايق ولم يكن يعرف بأي وجه يعود إلى البيت.[٨]

وعلى حسب قول البعض الآخر من المفسّرين في الجاهلية العرب، أنه عندما تقترب الولادة كان الزوج يجلسها على حفرة فإذا كان المولود بنت رماها في الحفرة ودفنها بالتراب، وإذا كان المولود ولد أخذه وحفظه وكان هذا العمل موضع افتخار له كما قال أحد شعراء الجاهلية:

سمّيتُها اذا وُلدتْ تَموت

والقبر صهر ضامن ذميتُ[٩]

نماذج من وأد البنات في الجزيرة العربية

ولتجسيم مسألة كره الجاهلية للبنات وبصورة كلية لجنس المرأة نلفت نظركم الى بعض النماذج التاريخية:

١- عدم الرحمة والقسوة والظلم لهذا الحد

يقول أبو خديجة - أحد الرواة - أن الامام الصادقعليه السلام قال: جاء رجل الى الرسول صلى الله عليه وآله وقال:

كان لي بنتٌ في الجاهلية، ربّيتها وكبّرتها الى أن وصلت إلى سن البلوغ، فألبستها وزيّنتها بزينتها وحُليها وأخذتها إلى البئر، ورميتها فيه ولم أعتني لآهاتها وآلامها وآخر ما سمعت منها كان قولها: يا أبتاه، والآن بعدما أسلمت وتبت، نادمٌ على ما صنعت فكيف أكفّر عن ذلك؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هل والدتَك حيّة؟

فقال: لا، قال الرسول صلى الله عليه وآله: هل عندك خالة؟

فقال: نعم.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «فابررها فإنّها بمنزلة الأم يكفّر عنك ما صنعت».

يقول أبو خديجة: فسألت الامام الصادقعليه السلام: متى كانت هذه الحادثة؟

قالعليه السلام: في الجاهلية حيث كانوا يقتلون البنات حتى لا تأسر بين يدي الأعداء عندما تكبر وتنجب أطفالا من قبيلة أخرى.[١٠]

٢- نموذج اخر لوأد أعراب الجاهلية البنات

كان صعصعة بن ناجيه (جدّ الفرزدق) من أحد الرجال الشرفاء حتى ما قبل الاسلام، ومخالفاً

للكثير من العادات القبيحة والسيئة في الجاهلية، لدرجة أنه اشترى ٣٦٠ بنتاً وخلّصهن من الموت والوأد، وبعدما أسلم جاء إلى الرسولﷺ وشرح له قصته وشراءه للبنات وقال:

كانت لي ناقتان، قد فقدتهما وصرت لأبحث عنهما في الصحراء فرأيت داراً فتوجّهت نحوها فإذا بي أرى رجلاً كبير السن، فانشغلت بالتكلم معه وسرعان ما سمعت صوت امرأة تقول: «ولدت ولدت»، فسأل الرجل الكبير السن: ماذا ولدت؟ فردت المرأة: «ولدت بنتاً»، فقال الرجل: ادفنوها في التراب، فقلت: «لا تقتلوها، أنا سأشتريها»، ثم اشتريتهم منهم بناقتين وجمل وخلّصتها من الموت، واشتريت طول حياتي ٣٦٠ بنتاً، لكل منها بناقتين وجمل ونجّيتهن من الهلاك.

فقدّر الرسولﷺ عمله كثيراً وقال: «يا صعصعه، لقد قمت بعملٍ كبير وعظيم وثوابك محفوظٌ عند الله سبحانه وتعالى».[١١]

٣- اعترافات قيس بن عاصم

كان قيس بن عاصم من أشراف ورؤساء قبيلة بني تميم في الجاهلية، وبعد ظهور الرسولﷺ أسلم، وجاء عند الرسولﷺ حتى يخفف من على ظهره الحمل الثقيل من الذنوب وقال:

«في الماضي كانت مجموعة من الآباء يدفنون بناتهم أحياء بسبب الجهل، وأنا أيضا كنت منهم فكان لي اثنى عشر بنتاً وكان مصيرهن الدفن، وعندما أخفت زوجتي البنت الثالثة عشر وأقنعتني بأن الطفل قد ولد ميّتاً، حيث أخفتها عند بعض الأقارب، ارتحت فكرياً من ناحية هذا الطفل مؤقتاً، ولكن فيما بعد عندما عرفت بهذه الحادثة أخذتها وبدون أي اعتناء لتضرّع وبكاء زوجتي ودفنتها حيّاً».

عندما سمع الرسولﷺ بهذه الحادثة تضايق جداً وبكى وقال: «من لا يَرحم لا يفرحم».

ثم قال لقيس: «أمامك يوماً عصيباً»، فقال قيس: ماذا أصنع حتى أخفف عن ذنوبي؟

قال رسول اللهﷺ: «اعتق عن كل موئودةٍ نَسَمة».[١٢]

نقرأ في صفحة أخرى من التاريخ: أنه جاء قيس إلى الرسولﷺ وقال:

إن الجهل جعل الآباء يدفنون بناتهم أحياء، وأنا أيضا دفنت اثنى عشر بنتاً من بناتي أحياء والبنت الثالثة عشر التي أخبأتها عني زوجتي بعد اطلاعي بذلك أخذتها إلى مكان بعيد ولم أعتني لبكائها ونياحها حيث قالت لي: «لا تقتلني، سأذهب إلى خوالي، لن أجلس على سفرتك وسأرعى غنمك».

ولم أستمع إلى حديثها ودفنتها حيّاً.

من العجيب أن بنات قيس كن قد كبرن حيث جاء في التاريخ: على أثر حصول حادثة ما، وأد جميع بناته المتزوجات والغير المتزوجات واللاتي كن عددهن اثنتى عشر وأيضا شجّع كل من كان يقابله على هذا العمل الشنيع.(١٣)

٤- النافجة

مـن العجائب في عـصر الجاهلية أن ولادة البنت كانت عار عند العـرب إلى درجة أن الأب تصيبه السـكتة القلبية لسـماعه الخبر، ولمنع الحوادث المُرّة يقومون الأصدقاء والأقرباء بإهداءه بعيراً لتخفيف آلامه وهمومه ويباركونه بالوليد بالقول:

«هنيئاً لك النّآفِجَة»، يعني يهنّئونه بالتي تزيد ثروته.

توضيح

كلمـة نافجـة هي في الأصل جاءت من كلمة «نفج» والتي من إحـدى معانيها الزيادة، كانت أفراد القبيلـة يقولـون لأبـو الطفـل المولـود: «إذا كان الطفل بنتـاً فلا تتضايـق فإنه بهذا الجمل سـيزيد عدد بعيرك».

وأيضـا جـاءت كلمـة «نافجـة» بمعنى الغريـب أو الأجنبـي الغير نافـع، وعلى ذلك فـإن أعراب الجاهلية عرّفوا البنت بالأجنبي الغير النافع.(١٤)

نعـم، كان الهـم والغم يظهـر على وجه الأب الذي رُزق بنتاً وكأنه يحمـل حملاً ثقيلاً على ظهره وقد أنجبـت زوجته غراباً أسـوداً، ومن منطلق ذلـك يتوجه الأهل والأقرباء إلى هـذا الرجل ليخففوا عنه غمه وهمه بإهدائهم له البعير ورفع الهم والهم من على كاهله.

كان هذا هو الوضع الخاطئ للعرب في الجاهلية ناحية البنت وجنس المرأة.

النتيجة والخلاصة

نسـتنتج من المطالب السـابقة أن المرأة في الجزيرة العربية في عصر الجاهلية لم يكن لها قيمة ولم تُعتبر إنسانة وبهذه الصورة كانت مظلومة.

طبعـاً هنـاك عوامـل أدت إلى معاملتها بهـذه الصورة وهي: الفقر الشـديد، أسر البنـات، وشرائها وبيعها في الأسواق كجارية،.... وغيرها.

ولكن العامل الرئيسي الذي كان من أبرزهم هو أنه لم يكن لها أي قيمة بتاتاً، حيث لا يوجد معنى للمعاملة السيئة والظالمة لها بعنوان الدفاع عن الناموس، أو أنه خوفاً من الفقر يحقّرونها بتلك الصورة وإنما كان ذلك لأنهم غارقين بالفحشاء والمنكر ولم تكن الغيرة على الناموس سبب لقتل المواليد.

وضع المرأة في اليونان القديمة

مـع أن اليونـان كانت من الدول المتحضّرة ومـن أزهر الدول تمدّنـاً إلا أن اليونانيين كانوا يحقّرون المرأة إلى درجة أنهم نسـبوا إلى المرأة بأنها كائنة غير نظيفة وقذرة ورجسـاً من عمل الشـيطان، ولم تكن بالنسـبة إلى الرجل إلا خادمة ووسـيلة لإرضاء غريـزتـه الجنسـية، وكانت حدود تسـلّط الرجل على المـرأة تتجـاوز حـدّ المالكية، حيـث كانت المرأة بكل سـهولة وسـيلة رخيصـة للتعامـل في المعاملات والايداعات.

أهل اتن (عاصمة اليونان القديمة) حجروا على النساء كالسفهاء والمجانين، ولم يكن للمرأة الحق في بيع وشراء الأشياء التي تساوي قيمتها أكثر من ٢٠ كيلو شعير.

وإذا رُزقت بولد يهدونها تاجاً من ورق الزيتون، وكانت تفتخر بذلك التاج.

وفي «اسبارت» (مدينة أخرى في اليونان) عندما ييأسون من إنجابها الولد يحكمون عليها بالموت.

ويرى سقراط أن السلوك والمعاملة مع المرأة هي نوع من العذاب ورياضة صعبة ويقول:

«إن شرب هذا السم والعذاب نافع لتقوية الارادة والتحمل والصبر».

في «آتن» كان الرجل حرّ في أن يكون له عدة نساء وفي مدينة اسبارت لم يكن هناك مانع في أن يكون للمرأة عدة أزواج.

وضع المرأة في الروم

أما بالنسـبة إلى الروميين، بالرغم من أنهم تقدموا في مجال القوانين والحقوق إلا أنه في نفس الوقت كانت الأفكار العامة بالنسـبة إلى المرأة خشـنة وصعبة ويعتقدون بأنها فاقدة للروح الانسانية ولذلك لم يجدوها لائقة للحشر في يوم القيامة، وأنها مظهر تام للشـيطان ونوع من الارواح الخبيثة والمؤذية التي

مزجت بالقذارة والسحر والمكر، ودائما تنصب الفخ لصيدالقلوب والعقول وانحرافها، ومن هذا المنطلق كانوا يؤذونها ولا يسمحون لها بالضحك والحديث ويمنعونها عن الكلام عند طلب الحوائج الضرورية.

وجاءت في الأمثال الرومية: «يجب على المرأة أن تلازم البيت وتغزل الخيوط، لا يمكن أن يسمى الحمار بالحصان ولا المرأة بالانسان».

كانت الرّوميات دائماً كالأطفال وكالقاصرين تحت كفالة الولي وبحاجة له سواءً كانت أماً أو زوجةً لأن النساء في أي صورة كانت وفي أي وضع كانت، لابد من أن تكون تحت إشراء وقيمومة الرجل، وأنها غير مؤهلة للحياة باستقلال وحرية.

لم تكن الرّوميات من ضمن الأشخاص الانسانية بل كانت تُحسب كسلعة ومتاع، وبعد موتها كان وليّها ينتقل إلى ورثتها، وبالتالي كانت دائماً تفحسب كالإرث وليست وارثة.

وضع المرأة في الهند

في الهند، وفي دين البوذيين كانت المرأة حقيرة جداً في نظرهم، وفي أحد كتب البوذيين عُرّفت المرأة بالحوت الذي ينتظر في نهر الحياة فريسته لينقضّ عليها.

في دين البَرَهمة، قُسّم المجتمع إلى أربعة طبقات وهي عبارة عن:

١- الحكّام والأمراء والقوّاد

٢- الصيادين والمزارعين

٣- الصنّاع والعمال

٤- باريا (يعني الأفراد التي لا تحسب من ضمن أعضاء المجتمع) وجزء من هذه الطبقة كان يسمى بـ«جندلا» حيث كانوا مطرودين كليّاً من المجتمع، ومحرومين من كل الحقوق الانسانية وحتى لم يكن لهم الحق في قراءة الكتب المقدّسة «ودا» وحق محبة الآلهة والأصنام.

وكانت المرأة في كثير من الوظائف تُحسب من طبقة «باربا».

وفي قانون «مانو» (مجموعة من القوانين والحقوق القديمة والتاريخية في الهند) لم يكن للمرأة الحق في التدخل في أي عمل، وبعد موت الزوج تُفدى له بسبب فقد الروح الخالد، فكانت تجرى المراسم لإحراقها مع جثمان زوجها، كانت هذه السُنّة الخاطئة والتي تسمى بـ«سَتي» رائجة منذ قرن وإلى الآن لازالت هذه السنّة متداولة من قِبل بعض المتعصّبين الهنود في النقاط البعيدة، ويقومون بهذا العمل المخيف وهذه الجناية كدين إلهي وكاحترام للزوج وللحصول على الجائزة.(١٥)

وضع المرأة في إيران القديمة

في تاريخ إيران القديمة برزت عقائد مختلفة بشأن المرأة، في العصر الساساني تم تقسيم الناس إلى أربعة طبقات والتي هي عبارة عن الروحانيون، المحاربون النجباء، الصناع والمزارعون، كانت منزلة النساء في المزارعين أقل من منزلة الحيوانات، وكانت في وضع مؤسف للغاية.

يقول البروفسور كريستيان في تحقيقاته عن حقوق المرأة فيالعصر الساساني: «في الامبراطورية الساسانية على حسب قوانينها لم تكن للمرأة شخصية حقوقية وبدلاً من أن تكون في مستوى الأشخاص كانت في مستوى البضائع والسلع ولم تكن تملك أي شيء وكانت تحت إشراف وقيمومة رئيس الأسرة، وكانت اختيارات رئيس الأسرة بالنسبة إليها غير محدودة جداً، ويستطيع أن يبيع أطفاله ونساءه أو يبدّلهم إلى عبيد وجواري، ويكون الأب أو الزوج أو الولد الكبير هو رئيس الأسرة، ولم يكن للنساء الحق في امتلاك أي شيء حتى الهدايا التي تحصل عليها، كلها تؤول إلى رئيس العائلة».

يقول البروفسور: «كان الزواج في ذلك الوقت يشكل الزواج الاستقراضي ويتزوج الاخوان مع الأخوات والولد مع زوجة الأب و....غيره.

وكل رجل يستطيع أن يتزوج بأكثر من زوجة حتى لو وصل عددهن إلى أكثر من مئة زوجة».[١٦]

كان وضع النساء في الأزمنة السابقة لإيران في العهود الغير الساسانية مشابه لهذا الوضع وأسوء من ذلك.

وضع النساء في الصين

من أحد العقائد الجذرية التي كانت سائدة في العهود والأديان المختلفة للصينيين هي عبادة الأجداد وبتعبير آخر عبادة الأموات، بالنسبة إلى عبادة الأجداد كانت توجّههم للأجداد من ناحية الأب والأم ولكن بالتدريج وبالتفوق الكامل للرجال على النساء التغت عبادة الأجداد من ناحية الأم بصورة كلية ونزلت قيمة ومكانة المرأة في المجتمع وفي هذا التاريخ بصورة أن الأهل والأقرباء كانوا يعزّون الأب الذي ولدت له زوجته بنتاً وكانوا يعتقدون بأنه إذا كان المولود بنتاً فإن ذلك نوع من غضب الأجداد حتى يسعوا أكثر في جلب المحبة ولطف الأرواح.

ومنذ ذلك العصر ساد وراج السنن الخشنة بالنسبة إلى النساء والبنات وكانوا غالباً يقتلون المواليد البنات أو يرمونهم في الصحراء أو يعطونهم إلى النخّاسين (بائعي العبيد).

ويعتقـدون بأن النسـاء بـلا فكر ولا عقـل وبلا مشـاعر إدراكية وكانت النسـاء في أيـدي الرجال كالأسرى في أيدي الجلادين القُساة بصورة أن أقل خطأ يصدر منهن، يقابل بأصعب الجزاءات ولكن أكبر خطأ وجرم من الرجال لا يستوجب أقل توبيخ.(١٧)

قلة العفة والانحراف الجنسي بالجاهلية في الجزيرة العربية

مـن أحد آثار تحقير المـرأة في عصر الجاهلية أن الأفراد وأصحاب المنافع بسـبب المنافع المادية كانوا يجـرّون المـرأة إلى أنـواع الرذائل ويغرقونها بالقـذارات إلى حد أنه أحيانا لا تميل المـرأة إلى تلك الرذائل وتكرهها لكنهم يجبرونها على قلة العفة والانحراف الجنسي مثلما نقرأ في سورة النور الآية (٣٣) حيث يخاطبهم الله سبحانه وتعالى:

﴿ولا تُكْرِهُوا فَتَياتِكُمْ عَلَى البِغاءِ إنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً﴾

جاءت الرواية التالية في ذيل تفسير تلك الآية:

كان لعبـدالله بن أُبي سـتة جـواري وللحصول على المنافع المادية، كان يجبرهـم على الزنا وحتّى بعد تحريم الاسـلام لهذا العمل اسـتمر على هذا العمـل الغير اللائق، ومع أن الجـواري أردن الابتعاد عن هـذا العمل احتراماً لحكم الاسـلام إلا أن كان عبدالله يجبرهن ويكرهـن على ذلك العمل المنافي للعفة والأدب.(١٨)

كانـت قلـة العفة والحياء والانحـراف الجنسي بين العرب في الجاهلية حرّة وسـائدة بينهم وبصورة رسمية باسم «نكاح ذوات الرّايات»، يعني كانت هناك نساء تضع نفسها تحت تصرف كل فرد، ولهذا السـبب تنصـب رايـة على بيتهـا وإذا أنجبت طفل غير شرعي جمعـت كل الرجال الذيـن يرتبطون بها والكهنـة وأصحاب الفراسـة ليحددوا والد هذا الوليد على أسـاس الملامح المشـتركة ويضطر الرجل قبول تشـخيص الخبير بالفراسـة ويعـد الوليد ولـده قانونياً، وأحيانـا كان المال والقـوة يحددان الأب ومصير الطفل.

مظلومية المرأة في العصر الحديث

إن المـرأة في كل تاريـخ وكل زمـان ومـكان مظلومـة ودائـماً تُعامل بإفـراط وتفريـط فيضيع حقها الحقيقـي، أحيانـا تكـون بصورة قتلهـا والمعاملة الحيوانيـة وأحيانـا معاملتها كالمتـاع واللعبة حيث في كلتاهما هي بلا شخصية وبلا محتوى في نظرهـم وفي موضع التحقير.

وحيـث أننـا في القـرن العشريـن وقـرن الفضاء إلا أنـه لازالـت أكبر الاهانـات تُوجه للنسـاء في المجتمعات والعوالم الغربية والشرقية، وأشـكال تحقير المرأة مختلفة في العالم الرأسـمالي والعالم الشيوعي

ولكن على كل حال لم تكن تُتعامل المرأة كانسانٌ كامل.

مظلومية المرأة يالعالم الرأسمالي والاستثماري

في العـالم الرأسـمالي والاسـتثماري أهدت يد الاسـتعمار مظلومية جديدة للمرأة وهـذه المرة بعنوان «الحريـة والمسـاواة» ظُلمـت المرأة وسـحبوها من مقام الـشرف والمعنوية والعزّة الـذي كان عند المرأة والذي أعطاها إياه الاسلام وأغرقوها في الفساد.

في الغرب وفي الدول الأمريكية والأوربية جعلوا المرأة في خدمة الرأسمالية ولعبة للاعلانات وبيع سـلعها وبضائعهـا ومصرفاً للكثير من وسـائل المكيـاج والتجميل والزينة، وفكّكـت الأسرة ودفنها، وجعلوها كالعارضة في المحلات كوسيلة لجذب المشترين والحصول على مزيد من الأموال وأضحت أداة بين يدي الرأسماليين واستغلوا أنوثتها لفرض البضائع على المستهلكين وجرّوا المئات والآلاف من النساء والأطفال الغربيين إلى الفحشاء والسرقة والادمان أو أنهم جعلوها لشهواتهم الحيوانية والليالي الحمراء وإعداد المجلات والأفلام الخليعة، وأبلوها بأمراض نفسية وإدمانية و....وغيرها.

واسـتخدمت كأداة في عالم السياسة أيضا، حيث نقرأ وقائع هذا الاستخدام باستمرار في الصحف والمجـلات والتلفزيـون، فأضحـت المـرأة في عالم السياسـة والاقتصـاد وغيرهما وسـيلة لتنفيذ مارب الرجل ولكن تحت غطاء الحرية والمساواة.

نعم، أخرجوا النساء من بيوتهن وبعنوان الحرية جرت إلى مقام الجرسون وغسّالة الأواني والكنّاسة في المطاعم والمحلات، والطّبّاعة في الادارات والشرطية في الشوارع.

ونتيجـة لذلـك تركت الأسرة ودفنها وفككـت الحياة الصافية للأسرة، وانتـشر الطلاق في الغرب بصـورة أن في كل سـنة تنفصـل الملايين مـن الأفراد وفي كثير مـن نقاط العالم يتم الطـلاق من بين كل زواجين.[٢١]

مظلومية المرأة في الدول الشيوعية

في الـدول الشـيوعية ومـع التصور بـأن الروابط الأسريـة من آثار البرجوازية والرأسـمالية سـعوا بعنوان حرية المرأة من عبودية الرجل لسلب المحبة والدفء الأسري من المرأة، وجرفها إلى الانحراف والمحرمـات والانفصـال، وجعلوها جارية للدولة والمصانع، ولهذا السـبب في سـنة ١٩٣٦ أصدرت في روسـيا السـابقة قانونا لتكون الطلاق أسـهل من الزواج ونتيجة لذلك في سنة ١٩٣٥ ارتفع معدل الطلاق بالنسبة إلى الزواج ٤٤٪.[٢٢]

تبين آخر إحصائية انتشرت في روسيا السابقة أنه في المناطق المسلمة في روسيا على عكس المناطق الشيوعية زادت الأصالة والروابط الأسرية وعدد الزيجات وإنجاب الأطفال واستمرار النسل، بصورة أوقعت دول روسيا الوحشة والخوف والضيق بين الشيوعيين، وذلك خوفاً من أنه في نهاية القرن يزيد عدد سكان المسلمين على السكان الشيوعيين ويستولي المسلمين على الحكم والحكومة في روسيا.[٢٣]

قصص واقعية عن وضع المرأة في العصر الحديث

جاء في مقالة من مجلة «كورونت» بعنوان «صفحة من ماضي المرأة العاملة في أمريكا» مطالب لطيفة حيث سنذكرها هنا باختصار:

في بداية المقالة تقول سيدة أمريكية عن همومها في عصر المساواة بين الرجل والمرأة:

«في السابق كانت المرأة تتمتع برعايات خاصة مثلاً أنها كانت لا ترفع ثقلاً يتجاوز وزنه (٢٥ , ١١) كيلوغرام بينما لم يكن للرجل مثل هذا الامتياز ولكن اليوم بعنوان المساواة بين الرجل والمرأة الأمر ليس كذلك، حيث تبدلت الآن الظروف العملية في مصنع (جنرال موتور) بولاية (أوهايو) وبعبارة أخرى في ذلك المكان الذي تعالى فيه ما يقرب من (٢٥٠٠) امرأة وتجد هذه المرأة نفسها في حالة صيانة إحدى الماكينات البخارية القوية جداً أو في حالة تنظيف تنور فلزي يزن (٢٥ , ١١) كغم، حيث كان يحل محلّها فيه رجل مفتول العضلات فتقول في نفسها: «لقد أنهكت قواي وامتلأتُ جراحاً من قمة رأسي حتى أخمص قدمي».

تقول: «في كل دقيقة يجب أن أرفع مجموعة من ٢٥ إلى ٥٠ إنج والتي تبلغ من الوزن ١٦ كيلوغرام وأعلقها، دائماً يداي متورمتان وتؤلمني».

وفي هذه المقالة تقول سيدة أخرى عن همومها: «يعمل زوجي ملاحاً في القوة البحرية، وقد قرّر قائد البحرية أخيراً استخدام وتعيين عدد من النساء في رحلات البواخر العسكرية».

وتقول: «أرسلت القوة البحرية إحدى البواخر بواجب عسكري، وكانت الباخرة تضم (٤٨٠) ملّاحاً بصحبة (٤٠) امرأة، وبعد أن عادت الباخرة إلى المرفأ من أول رحلةٍ مختلطةٍ، تأكدت الزوجات في بشأن قلقهن على أزواجهن الملاحين، اذ اتّضح بجلاء أنّ الأمر لم يقتصر على وقوع العديد من حكايات الغرام أثناء الرحلة، بل تعداه إلى ممارسة أغلب النساء للجنس مع غير أزواجهن».

ثم تقول المقالة: «لقد خيّم القلق في ولاية «فلوريدا» على النساء العوانس بعد إطلاق حرية المرأة، إذ أن أحد قضاة هذه الولاية الذي يُدعى «توماس تستا» قد أعلن قانونية اللائحة التي تعفي العوانس من

الضرائب حتى (٥٠٠) دولاراً، معللاً ذلك بأن هذه اللائحة تشكّل تمييزاً يضر بمصلحة الرجال».

وتضيف المجلة:

تقول السيدة «مك دانيل»: «لقد أصيب إحدى النساء بنزف داخلي على أثر رفعها حملاً ثقيلاً، نحن نتطلع العودة لوضعنا السابق، قلوبنا تتلهف ليعاملنا الرجال بوصفنا نساء لا عمّال، إن الموضوع يسير جداً بالنسبة لدعاة حرية المرأة، حيث يجلس هؤلاء في غرفهم الفارهة، ويقولون: «إن النساء والرجال متساوون»، إذ أن هؤلاء لم يطْلعوا على بُعد ما يجري في المصانع،إن هؤلاء لا يعلمون أن أكثر نساء البلد اللواتي يتقاضين أجوراً مقابل عملهنّ يتحتم عليهن - كما هو حالي - العمل الشاق المنهك والمتعب في المصانع.

التي لا أريد هذه المساواة، إن الرجال أقدر جسمياً منّا، وإذا كان القرار أن تُقاس إنتاجيتنا بإنتاجية الرجال، فأنا بدوري أرجح الاستقالة عن العمل.

إن المزايا التي فقدتها النساء العاملات في ولاية «أوهايو» أكثر بكثير من تلك المزايا التي حصلت عليها بفضل قانون حماية العمال.

لقد خسرنا هويتنا التسوية، ونحن لا نعرف ما الذي كسبناه بعد الحرية، نعم من الممكن أن تكون هناك حفنة من النساء قد تحسنت أوضاعهن، غير أنه من المقطوع فيه أننا لسنا من هذا القطاع».

النتيجة

يتضح من تلك المقالات أن النسوة في أمريكا ودنيا الغرب - من خلال متاعب الحرية والمساواة اللتين فرضتا عليهن - خرجن منهكات بالشكل الذي تحولن فيه إلى معاديات لهاتين الكلمتين، وهنّ في غفلة عن أن هاتين الكلمتين لم ترتكبا ذنباً!...

الرجل والمرأة كوكبان في مدارين متغايرين ولابد أن يمضي كل كوكب في مداره متحركاً وإلا سيختل نظام حياتهما.[٢٤]

المفاسد الفردية والاجتماعية على أثر الحرية بدون قيد أو شرط

في العصر المعاصر وفي عالم الغرب والشرق الغير الاسلامي ظهرت المرأة في الساحة مثلما ظهر الرجل، مما أدت إلى المفاسد الفردية والاجتماعية بمئات الأضعاف قبل الحصول على منافع هذا العمل، مثلما تبين هذه الحقيقة الزيادة في إحصائيات الجنايات سنة بعد سنة ويوم بعد يوم.

ولو اطّلعنا على هذه الاحصائيات سنجد مدى انتشار المفاسد الفردية في دنيا الغرب مثلاً:

١) شيوع ورواج الغير عادي للانحرافات الجنسية وعواقبها السيئة.

٢) شيوع وارتفاع معدل الأمراض النفسية والروحية.

٣) فقدان المميزات الجسمية.

٤) زيادة المواد المخدرة والاتجاه إلى المواد الكحولية وعواقبها السيئة.

وبالنسبة إلى المفاسد الاجتماعية نستطيع أن نبين الموارد التالية:

١) حرمان الأطفال من التربية الصحيحة ومحبة الأم.

٢) الاختلال والاضطرابات في نظم الأمور الاجتماعية.

٣) الزيادة في الأطفال الغير شرعية والغير القانونية.

٤) تنفير الشباب من الزواج وزيادة العوانس.

٥) الزيادة في إحصائية الجنايات.

٦) الزيادة الشديدة للطلاق والتفكك الأسري وعواقبه السيئة.

وعلى سبيل المثال، تقول مجلة «نيوز ويك» عن وضع الشباب السيء في نيويورك: «تتحكم في أزقة نيويورك مجموعات مختلفة من الشباب المسلّحين الذين عاطلين عن العمل ولا يعرفون شيئاً عن كلمة الأخلاق وتتضاعف هذه المجموعات بصورة يومية حيث تتكون بعضها من ٢٥٠٠ إلى ٣٠٠٠ عضو وليس الشباب فقط هم المنحرفون والأشرار والذين يقدمون على الجنايات وإنما الفتيات أيضا على أثر السفاهة كونت مجموعات خاصة بها وتُحسب من التشكيلات الفرعية لتلك المجموعات المختلفة.

شاركت سبعة من الفتيات في أحد الانتهاكات والهجوم والتي كانت «كيل رودو» بنت رئيس المحافظة من بينهن».[٢٥]

هذه هي نماذج من مظلومية المرأة في العصر المعاصر.

توضيح

إن المرأة بدلاً من أن تقوم بتربية أطفالها بالمحبة والعلاقة الفطرية وبهذا النحو تخدم المجتمع وتُربّي شباب لائقين وأطفال طاهرة ومؤدبة وبعيدة عن القذارات، تقوم بتركهم وإبعادهم عن جو الأسرة الدافئة لزيادة ثروتها وللكسب الأكثر للأموال، ولا يقتصر على ذلك وإنما تقوم بصرف تلك الأموال للتباهي على الملابس التي هي من أحدث الموديلات والأنواع المختلفة للزينة.

تتخيل البعض بأنها إذا بعثت أطفالها إلى الحضانة تكون قد أمّنت على تربية أولادها، وبهذا التصور

تقـوم باصطحـاب الأطفال إلى الحضانـة ثم تذهب إلى عملها، غافلة عـن أن الحضانة لا تحل محل الأم بتاتاً، ولا تستطيع أن تؤدي وظيفة الأم نحو أولادها.

طبعـاً، هنـاك من تضطـر على العمل لمسـاعدة الزوج في الأمور المعيشـية، وليـس للتباهي بأحدث الموديلات وكسب المزيد من الأموال، فهي مضطرة لترك فلذات أكبادها لتأمين حياة أفضل لأطفالها، فمثل هذه تسـتطيع ترك أطفالها في حضانات موثوقة عقائديّاً ولا يوجد خطر على أطفالها في مثل تلك الحضانات والتي هي متوفرة في بلدنا.

يقول صحفي أمريكي بعد مشاهدته لوضع المدارس الأمريكية:

«إن هـذه المدارس كحديقة حيوانات كاملة، غير منظمة وتشـغل الطلاب بصورة عجيبة بالفسـاد الأخلاقي والجنايات وأحيانا تهددهم بالموت».[٢٦]

حديث قصير

لم يكـن تفريـط عـصر الجاهليـة صحيـح حيث فرضـوا المـرأة بأنهـا كائنة بـين الحيوان والإنسـان ووضعوهـا تحـت أشـد العـذاب وحرموها مـن كل الحقـوق الانسـانية، ولا هـذه المظاهــر الـغربية صحيحـة، حيـث تعامـل المرأة بعنـوان شيء ممكن الاسـتفادة منه وبعنـوان الحرية والمسـاواة ظـهرت مـفاسـد فـرديـة واجتماعية كثيرة وتم القضاء عـلى المرأة على ذلك الأثر الغـربي المنحـط، وفقدت كل حيثيتها الانسـانية.

إن المفاسـد التي غرقت نفسها فيها النساء على أثر الحرية الخاطئة والمساواة الغير صحيحة في القرن الحـالي أضحـت كثيرة إلى درجة أن نسـبة مظلومية المرأة فيالعصر المعاصر أكثر من نسـبة مظلوميتها في العصر الجاهلي.

وباعتقادنا العوامل الأصلية لزيادة المفاسد هي عبارة عن:

١) اتساع الروابط الغير المشروعة بين النساء والرجال على أثر الحرية الخاطئة.

٢) المساواة بين النساء والرجال وحمل النساء مسئوليات خاصة بالرجال.

٣) المطالـب الغـير مشروعـة ومبالغـة النسـاء في احتياجـات الحيـاة وتجملات الحيـاة والاسراف والتبذير.

٤) تفكك الأسرة، وتربية الأطفال في الحضانات وعلى أيدي الخدم.

٥) الابتعاد عن الايمان والمعنوية والاتجاه إلى الفساد وهوى النفس والشرب، وتعقيباً لذلك الزيادة في نسبة الطلاق.

ألا يكفـي هـذا حتى تتوجه النسـاء وتتنبّه وتتجه إلى سـبيل الرشـاد والاعتدال، لا سـبيل التفريط الجاهلي ولا سـبيل الافراط المعاصري بل سـبيل الاعتدال وهو الذي أقره الاسـلام قبل خمسـة عشر قرن.

فيما عدا ذلك ستظل المرأة مظلومة باختلاف واحد أنها في عصر الجاهلية ظلموها ولكن في العصر الحديث هي أيضا شاركت في ظلم نفسها من غير أن تدرك وتعي بذلك وأنها قد شاركت في الجرم.

مظلومية المرأة بين الأقوام الأخرى وفي أمور أخرى

لم يكـن تحقير شـخصية المرأة في الجاهليـة فقط وإنما كان بين أقوام أخرى وحتـى - مثلما قلنا - بين أرقى الأمم لم تكن للمرأة شـخصية في ذلك الزمن وغالباً تُعامل كنوع من السـلعة وليس كإنسـان، لم يكن للمرأة الحق في الارث ولم تكن حدود لتعدد الزوجات وبكل سهولة ومثل شرب الماء يتزوجونها وبكل سهولة يطلقونها.

ولكـن في الجاهليـة كان هـذا التحقـير بوحشـية أكثر وبأشـكال مؤلمة أكثـر، إلى درجة أنهـم كانوا يعتقـدون بأن النسـب خـاص بالرجل فقط، والمرأة هي مجـرد وعاء لحفظ ورعاية الجنـين مثلما جاء في الشعر المعروف بين العرب:

لـــبـــنـــونـــا بـــنـــو أبـــنـــائـــنـــا وبـــنـــاتـــنـــا
بـــنـــوهـــن أبـــنـــاء الـــرجّـــال إلا بـــاعـــد[٢٧]

يقول دكتور كوستاولبون عالم الاجتماع الفرنسي المعروف:

«كانـت المرأة عنـد اليونانيين كائنـة حقيرة ووضيعة ودانية ولا تنفع إلا لاسـتمرار النسـل وأعمال المنزل، وإذا أنجبت المرأة طفلاً ناقصاً يقتلونها، على حسـب قول مسـيو «تروبلنك» بأن المرأة المسـكينة في مدينـة اسـبارت (أحد المدن اليونانية) إذا لم تنجب طفـلاً قوياً ولائقاً قتلوها، وإذا كانت المرأة امرأتاً ولوداً استعاروها الرجال من زوجها حتى تنجب لهم أيضاً أطفالاً للوطن».

أيضا كانت تعامل كل مشرعي القانون قديماً بالنسـبة إلى المرأة العادية بنفس هذه المعاملة الخشـنة، ومنها قانون الهنود الذي يقول:

«القضاء والقدر الحتمي، طوفان الموت، جهنم، السـم، الثعبان، الحرق بالنار كل ذلك ليس أسـوء من المرأة».

نظرية التوراة[٢٨] أيضاً ليست أفضل من نظرية الهنود، منها في «سِفر المجتمع» يقول: «المرأة أمرّ من المـوت»، وقـال أيضا: «العبد الصالح عند الله هو الشـخص الذي غير متـزوج، رجلاً واحداً بين ألف

وجدت، أما امرأة فبين كلّ أولئك لم أجد».

وأيضا لا يوجد حديث في أمثال الأمم أفضل من ذلك، مثلاً من الأمثلة الصينية:

«اسمع حديث زوجتك ولكن لا تصدقها بتاتاً»

ويقول مثل روسي: «لا يوجد في جسم امرأتين أكثر من روح واحدة».

ويقول مثل إيطالي: «نحتاج لترويض الحصان المهماز وللمرأة السيئة والحسنة العصا».

ويقول مثل اسباني: «اهرب من المرأة السيئة وأيضا لا تعتمد على المرأة الحسنة».

كل قوانين الهند واليونان والروم وضعت المرأة فيزمرة الجواري والأطفال منها قانون «منو» حيث يقول:

«يجب على المرأة في صغرها إطاعة الأب، وفي ريعان شبابها إطاعة الزوج وعند الشيخوخة إطاعة الأولاد وإذا لم يكن لها أولاد تطيع أقربائها، يعني لا تكون حرّيتها بيدها».

وتنص قوانين الروم واليونان نظير ذلك كما أن للرجل السلطة الكاملة والمطْلقة على المرأة في الروم، والمرأة عنده ليست إلا كجارية لا قيمة لها في المجتمع ولم يكن للمرأة حكماً غير زوجها، وكان هو الوحيد الذي يختار لها الحياة والموت.

وفي اليونان أيضا لم تكن معاملتهم للمرأة أفضل من ذلك، وليس للمرأة أي حق في الارث.

يقول «مِنو» المشرّع في الهند والذي جاء منذ ألفي سنة من قبل الرسولﷺ:

«لإثبات خيانة وزنا المرأة، يكفي فقط أن تختلي مع الرجل الغريب لمدة طبخ بيضة واحدة».[٢٩]

كانت هذه مقاطع من حديث كوستاولبون العالم الخبير والاجتماعي الفرنسي عن تحقير ومظلومية المرأة بين الأمم المختلفة، ما عدا الجزيرة العربية - ومثلما سنقول - يستنتج هذا العالم ويقول: «الاسلام هو المذهب الوحيد الذي أوصل المرأة من أدنى المنازل إلى أعلى المقامات... وأول دين أقدم على احترام مقام المرأة».[٣٠]

تأمين حقوق المرأة من جميع الجوانب في ضوء الاسلام

إن الاسلام - باعتراف الصديق والعدو - محيي لحقوق المرأة.

أجل، فقد اعترف الأعداء في الحدّ الأدنى أن القران في زمن نزوله خطوة متقدمة في مصلحة المرأة، وعلى طريق حقوقها الانسانية، إلا أن القرآن بوصفه منقذ المرأة بوصفها إنساناً تشارك الرجل في الإنسانية والحق الإنساني، لم يغفل إطلاقاً أنوثة المرأة، ورجولة الرجل.

وبعبارة أخرى: لقد استبصر القرآن المرأة، كما هي في واقعها الطبيعي والتكويني، ومن هنا حصل

الانسجام الكامل بين إيعازات الطبيعة وأوامر القرآن، فكانت المرأة في القرآن صورة لواقع المرأة في التكوين، وقد تطابق الكتابان الإلهيان العظيمان - الكتاب التدويني والكتاب التكويني.

عندما ظهر الإسلام حارب بشدة وبصلابة كل الخرافات في أبعادها المختلفة، وخاصة عندما اعتبر ولادة البنت عار وعيب، عرفها بأنها سعة في رحمة الله على الأسرة.

كان الرسول ﷺ بنفسه يحترم كثيراً ابنته فاطمة الزهراء (س) إلى درجة أن الناس تستغرب وتتعجب من ذلك، وبالرغم من مقامه العالي والرفيع إلا أنه كان يقبّل يد ابنته، وعندما يسافر آخر بيت يودّعه كان بيت ابنته فاطمة الزهراء (س) وبعدما يرجع من السفر أول شخص يزوره كان فاطمة الزهراء (س).[٣١]

جاء في الحديث أنه أخبر الرسول ﷺ بأن الله سبحانه وتعالى قد وهبه بنتاً، فجأة رأى الاستنكار وعدم الرضا في وجوه أصحابه (حيث لازالت آثار ورسوبات الماضي والأفكار الجاهلية موجودة في عقولهم ولم تزول)، فقال رسول الله ﷺ فوراً:

«ما لكم ريحانة أشمُّها، ورزقها على الله عزّ وجل».[٣٢]

نقرأ في حديثِ آخر لرسول الله ﷺ:

«نعم الولد البنات، ملطفاتٌ مجهّزاتٌ، مؤنساتٌ، مباركاتٌ، مفلياتٌ».[٣٣]

ويقول ﷺ في حديثٍ آخر:

«من دخل السُّوق فاشترى تحفة فحملها إلى عياله كان كحامل الصّدقة إلى قومٍ محاويج، وليبدأ بالاناث قبل الذّكور، فإنه من فرح فكأنما أعتق رقبة من ولد اسماعيل».[٣٤]

إن هذا الاحترام الغير العادي والفائق للبنات والنساء في الواقع ليس إلا احترام لشخصية المرأة، واحترام لاستقلالها وحريتها الصحيحة في المجتمع، وإنهاء لزمن العبودية ومظلوميّة المرأة.

شخصية المرأة في نظر القرآن

توضيح

قبل ظهور الاسلام كانت المرأة في العالم - خصوصاً في الجزيرة العربية - مظلومة جداً ومُحقّرة إلى درجة أنها احتسبت من الحيوانات والشياطين ولكن الاسلام أعلن:

١) أن المرأة عنصر من العنصرين الذيْن سبّبا ظهور الانسان، وأن الرجل والمرأة مكملان لبعض حيث تكونت المرأة من زوجها وهي من جنس الرجل وجزء منه ويصرّح القرآن في آيات متعددة بوحدة الطبيعة التكوينية للجنسين.

مثلما نقرأ في سورة النساء – الآية (١):

﴿يـا أيُّهـا النّاسُ اتّقـوا رَبَّكم الذي خَلَقَكُم مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَهـا وَبَثّ مِنْهما رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾

ويقول عزّ وجل أيضا في سورة الروم – آية (٢١):

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكِنُوا إلَيْهَا﴾

فنجد بأنه ليس هناك في القرآن الكريم أثرٌ لما في بعض الكتب المقدّسة، من كون المرأة قد خُلقت من أصـل أدنـى من الأصل الذي خلق منه الرجل، أو أنها مخلوقٌ ثانويٌ خلقت من ضلع آدم الأيسر، على هذا الأساس فليس هناك في الاسلام نظرية مهنية بشأن الطبيعة التكوينية للمرأة.

٢) حينـما حـرّم بعض الأمم على النسـاء المسـيحيّات قراءة الكتب المقدّسـة والمشـاركة بالطقوس الدينية[٣٧] قرّر الاسلام أن النساء حالها حال الرجال تستحق ثواب أعمالها.[٣٨]

ودعَى القرآن النسـاء المسـلمات والمسـيحيات إلى المباهلـة، وعمل الرسـولﷺ بذلك حيث جعل فاطمة الزهراء (س) تشارك في مراسم المباهلة مثلما نقرأ في الآية (٦) من سورة آل عمران:

﴿فَقُلْ تَعَالُوا نَدْعُ أَبْنَائَنَا وَأَبْنَائَكُمْ وَنِسَائَنا وَنِسَائَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾

يقول سيد محمد رشيد رضا الشارح «لتفسير المنار»:

نسـتفيد مـن هـذه الآية أن الاسـلام جعـل المرأة تشـارك في الشـؤون الاجتماعيـة والدينيـة (وإنما السياسـية) وفي حادثة المباهلة التي كانت حادثة اجتماعية وعالمية مهمة ذكر «نسـائنا» بجانب «أنفسنا» وعـلى هـذا يجـب ألا تنفـرد وتنزوي المـرأة بل يجب أن تشـارك بصـورة فعّالـة في الحقـوق الاجتماعية والمناضدات الدينية.[٣٩]

٣) في العصر الذي كان الرجال يتزوجون النسـاء اللاتي كن أثرياء وغير جميلات وذلك للحصول على ثروتهن فيتركونهن بدون طلاق حتى يرثونها في حالة موتهن، يقول القرآن:

﴿لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً﴾ (النساء – ١٩)

٤) في الزمن الذي كانت النساء تُؤذى حتى تعفى عن مهرها وتتخلّص من الأذى يقول القرآن:

﴿وَلا تَعْضِلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إلا أَنَّ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾[٤٠]

٥) عندما كان الرجل – للزواج من أخرى – يُتهم زوجته السابقة بالفحشاء والمنكر حتى تُجبر على إعفاءه من المهر ولخلاصها وحريّتها منه قال القرآن:

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ إِسْـتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَـيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾[٤١]

٦) عندما كانت المرأة تُعامل بأقسى وأخشن أنواع المعاملات قال القرآن:
﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾ (النساء - ١٩)

٧) في العصر الذي كانت المرأة تُباع وتُشترى كالسلعة، وتُملك بإعطاء مهرها إلى أوليائها، أسقط القران هذه المعاملة وإهانة المرأة وبيّن أن المهر ليس لتملّك المرأة وإنما دليل للمحبة والتقدير والصداقة وصدق الرجل بالنسبة إلى المرأة مثلما يقول القرآن:
﴿وآتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ (النساء - ٤)

٨) عندما كان الاعتقاد السائد بأن المرأة ليس لها الحق في التملك، جاء القرآن وصرّح بأن للمرأة الحق في الاستقلال الاقتصادي وتملّك كل شيءٍ تحصل عليه وقال:
﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِما اكْتَسَبُوا، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمّا اكْتَسَبْنَ﴾[٤٢]

٩) في الزمن الذي كانت المرأة تُحقّر إلى درجة أنه لم يكن لها الصلاحية في مشاركة الرجل في الأعمال الاجتماعية، أقرّ الاسلام بأن للنساء الحق في المشاركة بالأعمال الاجتماعية مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال:
﴿وَالمؤمِنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعضٍ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾[٤٣]

١٠) عندما نفت الأمم أية حقوق للمرأة جاء القرآن وأقرّ بأنه مثلما على النساء مسئولية في المجتمع فيجب أيضا أن تتمتع بالحقوق الاجتماعية حيث قال:
﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٤٤]

١١) عندما كانت الناس تعتقد بأن المرأة خلقت لخدمة الرجل أعلن القرآن بأن:
﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ (البقرة - ١٨٧)
يعني أن كل منكم خلق للآخر ويحتاج للآخر فيقضي حاجته ويكون في خدمته.

١٢) في الزمن الذي لم يكن للمرأة الحق في إبداء وجهة نظرها ورأيها، ساوى الاسلام المرأة بالرجل في مجال إبداء الرأي حيث بايع الرسول ﷺ النساء بأمرٍ من القرآن ﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾[٤٥] وقبل بيعتهن، وبصورة عامة جاء في القران سورة كاملة باسم «النساء» حيث يختص الجزء المهم فيها بإحقاق حقوق المرأة.

أقوال الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام بشأن البنات والنساء

ولإكمال هذا البحث نلفت نظركم إلى قبسات من أقوال رسول الله ﷺ والأئمة عليهم السلام بشأن المرأة:

١) جاء رجل إلى الرسول ﷺ وفي نفس الوقت أخبر بأن زوجته قد أنجبت بنتاً فتغير وجه الرجل

وظهرت آثار الضيق على وجهه، فقال له الرسول ﷺ: مالك؟

قال الرجل: خير، قال الرسول ﷺ: أخبرني ماذا حصل؟ قال: خرجت من البيت وكانت زوجتي في حالة ولادة والآن أخبروني بأن زوجتي قد أنجبت بنتاً.

فقال النبي ﷺ: «الأرض تقلّها، والسّماء تظلّها، والله يرزقها، وهي ريحانة تشمّها».

ثم أقبل على أصحابه فقال ﷺ:

«من كانت له لبنة، فهو مقدوح[٤٦] ومن كانت له ابنتان فياغوثاه، ومن كانت له ثلاث بناتٍ وُضعَ عنه الجهاد وكل مكروهٍ، ومن كانت له أربع بنات فيا عباد الله أعينوه، يا عباد الله أقرضوه، يا عباد الله ارحموه».[٤٧]

٢) وقال أيضا:

«من كانت له أنثى، ولم يُهنها ولم يُؤثر ولده (الذّكر) عليها، ادخله الله تعالى الجنة».[٤٨]

٣) وقال أيضا:

«ساووا بين أولادكم في العطيّة، فلو كنت مفَضّلاً لفَضَّلْتُ النساء».[٤٩]

٤) عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال رسول الله ﷺ:

«من عال ثلاث بناتٍ أو مثلهنّ من الأخوات، وصبر على لـأْوائِهنَّ حتّى يَبِنَّ إلى أزواجهنَ، أو يمتن فيصرن إلى القبور، كنتُ أنا وهو في الجنّة كهاتين - فأشار بالسبابة والوسطى - فقيل يا رسول الله واثنتين؟ قال ﷺ: واثنتين، قيل: وواحدة؟، قال ﷺ: وواحدة».[٥٠]

٥) حصل جارود بن منذر أحد أصحاب الامام الصادق عليه السلام على بنت، ولهذا تضايق جداً ووصل الخبر إلى الامام الصادق عليه السلام فقال الامام عليه السلام في لقاء معه:

«وما عليك منها؟ ريحانةٌ تشمّها، وقد كُفِيت رزقُها وكان رسول الله ﷺ أبا بناتٍ».[٥١]

٦) حصل رجل من المسلمين على بنتٍ، فتضايق من هذه الحادثة، قال له الامام الصادق عليه السلام:

«أرأيت لو أن الله أوحى قليك أن اختار لك، أو تختار لنفسك؟ ما كنت تقول؟»

قال: كنت أقول يا رب تختار لي.

قال عليه السلام: «فإن الله عزّ وجلّ قد اختار لك».

ثم قال: ذلك الغلام الذي جاء في قصة موسى عليه السلام وخضر عليه السلام في القرآن - سورة الكهف، الآية (١٧٤) - قتله خضر عليه السلام واعترض موسى عليه السلام على خضر عليه السلام، وكما قال القرآن حيث قال خضر عليه السلام لموسى عليه السلام:

﴿وَأَمَّا الغُلامُ فَكانَ أَبواهُ مُؤْمنَيْنِ فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وَكُفْراً - فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْراً مِنْهُ

زَكاتاً وَأَقْرَبَ رُحْماً﴾

ثم قال الامام الصادقعليه السلام:

«أبدلهما الله عزّ وجلّ به جارية ولدت سبعين نبيا».[٥٢]

ويذكر الامام الصادقعليه السلام هذا المطلب أعطى نتيجة بأنه يجب ألا يفكّر الفرد بالكميّة وإنما بالكيفية، وأن الرجل والمرأة كلاهما إنسان والذي هو منشأ لآثار مفيدة لها الأفضلية والامتياز على الآخر.

الأنوثة ليست دليل على أي نقص، حيث تستطيع المرأة أن تكون أمّاً طاهرة وعارفة وعاقلة ويظهر من نسلها سبعين نبيّاً.

نعم، إن مقام الأم مهم جداً وهي ينبوع للبركات العميقة والواسعة والثمينة جداً.

٧) قال الامام الصادقعليه السلام:

«البناتُ حسناتْ، والبنونُ نعمةٌ، والحسناتُ يُثابُ عليها، والنعمةُ يُسأَلَ عنها».[٥٣]

٨) يروي الامام الرضاعليه السلام أنه قال رسول اللهصلى الله عليه وآله:

«إن الله تبارك وتعالى، على الإناث أرقَّ مِنهُ على الذُّكورِ، وما مِنْ رجلٍ يَدْخُلُ فرحةً على إمرئةٍ بينه وبينها حُرمةٌ إلا فَرَحَهُ الله يومَ القيامةِ».[٥٤]

٩) قال رسول اللهصلى الله عليه وآله:

«من عال ثلاث بنات، أو ثلاث إخوات، وجبت له الجنة، قيل: يا رسول الله واثنتين؟ قال: واثنتين، قيل: وواحدة؟ قال: وواحدة».[٥٥]

١٠) قال أيضا:

«كلما ازداد العبد إيماناً ازداد حبّاً للنساء».[٥٦]

النتيجة والخلاصة

يتضح من ما ذُكر أن الاسلام منذ خمسة عشر قرن خطا خطوة عميقة جداً وعالية لشرف وكرامة نفس المرأة، وخلّصها من المظلوميّة وتحوّل المجتمع تحوّلاً عظيماً في مسألة نجاة المرأة من إسارتها وأنواع الظلم.

حيث أصبح لها الحق، في الاستقلال في ملكيتها واختيار أمرها وإرادتها بمعنى أن الحق الطبيعي الذي سُلِب منها قد استُردت لها.

وبغض النظر عن الجزيرة العربية، النساء الانجليزيات إلى سنة ١٨٧٠، النساء الألمانيات إلى سنة ١٩٠٠، النساء السويسريات إلى سنة ١٩٠٧ والنساء الإيطاليات إلى سنة ١٩١٩ لم يكن لهن الحق في

التملك والملكية.

والآن أيضـا، إذا تريدالمـرأة أن تنجو من الافراط والتفريط وعبوديـة الجاهلية والتبديل إلى عبودية القـرن العشريـن يجـب أن تعـرف أن الطريـق الوحيـد لنجاتها هـو في ضـوء قوانين الاسـلام العميقة والنورانية.

اعتراف كوستاولبون في نجاة المرأة في الاسلام

إنّ للعـالم المحقق الاجتماعي والكاتب الفرنسي الدكتور كوسـتاولبون (المتوفى في ٩ ديسـمبر سـنة ١٩٣١) مطالـب قيّمـة في كتابـه القيّم «تـمـدن الاسـلام والـعرب» بـخـصـوص مـظـلومـيـة المرأة قـبـل الاسـلام بين كل الامم، ونجاتها في ضوء الاسـلام والـتـي نلفت نظركـم إلى بعض المـقـاطع، يقول:

قبـل ظهور الاسـلام، كان الرجال يـرون بأن المرأة كائن متوسّـط بين الحيوانات والانسـان حيث يعتقـدون بأنها وسـيلة لظهور النسـل وللخدمة، ويرون أن إنجاب البنات مصيبـة، وعادة قتل البنات كانـت شـائعة...، وإذا كنـا نريـد أن نبصر مـدى تأثير القـرآن على النسـاء فيجب أن نـرى زمن تمدّن العـرب ونسـاء ذلك الزمن... اقتبـس الأوروبيون أخلاق الشـهامة - والتي من آثارهـا الاحترام إلى المرأة - من الاعراب والمسـلمين، وعلى ذلك فإن مذهب الاسـلام رفّع ووصّل المرأة من أدنى وأوضع المنـازل إلى أعلى المقامات وليس مذهب المسـيح عليه السلام، ويتصفح الكتـب التاريخية نجد أنه ليس هناك أي شـك وترديد في هذا الباب، ونعلم جيداً أن حكامنا ورؤسـاءنا في الاسلاف السابقة من قبل أن يتعلم المسـيحيين كيفية التعامل والسـلوك الحسن مع المرأة من المسـلمين، كانوا يعاملون المرأة بكل خشونة، ومنه ما ذُكر في كتاب «كارن لولو هيران» حيث يقول عن كيفية السـلوك مع النسـاء في زمن شـارلمان ومعاملته مع النسـاء: «وقع بين الامبراطور شـارلمان وأخته نزاع فلكمها بقفازه الحديدي وكسر ثلاثة من أسنانها....»

ومن هذا المنطلق نسـتطيع أن نقول بصراحة مثلما أشرنا مراراً أن تدني مقام المرأة ليس له أية علاقة بالقـرآن والاسـلام، بـل هو على خلاف القرآن لأن الاسـلام بصـورة قابلة للتوجه احـترم مقام المرأة وفضّلها، لسـنا نحـن فقط المعتقدين بهذا الحديث وإنما اعتقد بذلك من قبل «كوسـان موبرسـوال» و «سنت هيلر».

إن الاسلام ليس فقط احترم مقام المرأة بل كان أول دينٍ أقدم على هذا العمل ولإثبات هذا المطلب يكفي أن نعرف بأن كل الأديان والمذاهب السابقة قبل الاسلام كانت تُعامل المرأة بصورة سيئة.

إن الحقوق التي أقرّها القرآن والكتب الفقهية الاسلامية للمرأة أكثر من الحقوق التي لدى النساء الأوربيات، ليس للمرأة المسلمة الحق في تصرف مهرها فقط وإنما أيضا لها الحق في تصرف أموالها الشخصية، وليست ملزمة بتاتاً أن تدفع مبلغاً معيناً للمشاركة في مصاريف المنزل، وعند الطلاق تصلها نفقتها.(٥٧)

يقول كوستاولبونت عند مقارنته بين المرأة الشرقية (تحت تأثير الاسلام) والمرأة الغربية:

النساء الشرقيات تعمل في البيت حيث تقوم بالاعتناء بأزواجهن وتربية أطفالهن وهنّ راضيات تماماً عن أوضاعهن، وترى المرأة الشرقية بأن التبديل إلى شكل النساء الأوربيات هو تقهقرّ إلى الوراء وتحزن حقاً على حالهن لأن المرأة الأوربية المسكينة مضطرة لأن تعمل خارج المنزل وتواجه مصاعب العمل وتتحمل العبء الثقيل الملقاة على عاتقها.

إن الذين يجبرون المرأة في أوربا على العمل خارج المنزل هم مثل الذين يجبرون الحصان القيّم والثمين على العمل، أو يجعلونه يدير الرحى في الطاحونة.

يعتقد الشرقيون أن المرأة خلقت لتمنح اللذة والسعادة لحياة الرجل، ولتتحمل مسئولية تربية الأطفال ويعتقدون بأن المرأة التي تعمل أعمالاً أخرى لا تستطيع أن تتقن عملها في البيت وتؤدي مسئوليتها بصورة كاملة، إن الذين اختلطوا بالأمم الأخرى يتأثرون من بعض عقائدهم وأنا من الذين يوافقون على هذه العقيدة مع الشرقيين بصورة كاملة.(٥٨)

ردّ العلامة مرتضى المهري على بعض النظريات المهينة

يقول العلامة مرتضى المطهري في ردّه على بعض النظريات المهينة للمرأة التالي:

«النظرية المهينة الأخرى والتي كان لها وجود في الماضي، وتركت آثاراً سلبية على أدبيات العالم هي: أن المرأة عنصر الجريمة والذنب، ينبعث من وجودها الشر والوسوسة فهي الشيطان الصغير».

يقولون: أن كل ذنب وجريمة يرتكبها الرجال، فللمرأة دور فيها.

يقولون: أن الرجل بحدّ ذاته بريء من الذنب، وإنما هي المرأة التي تجرّه نحو الذنب، يقولون: ليس للشيطان طريق مباشر لينفذ عبره إلى شخصية الرجل فيغويه، بل يغوي الشيطان المرأة، لتكون طريقاً لإغواء الرجل.

يقولون: إن آدم أبا البشر أغواه الشيطان وأخرجه من الجنة بواسطة المرأة فقد أغوى الشيطان حواء لتغوي آدم.

أما القرآن، فقد عرض حكاية آدم في الجنة، إلا أنه لم يشر إطلاقاً إلى غواية الشيطان لحواء بغية أن

تغوي آدم، فلم تكن حواء هي المسئول الأصلي، كما لم تكن خارج دائرة المسئولية.

يقول القرآن: ﴿يا آدم اسْكُن أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجنّة فَكُلا مِنْ حَيْث شِئْتُما وَلاَ تَقْرِبا هَذِهِ الشّجَرة﴾[٥٩]

وحينما يأتي على حديث وسوسة الشيطان يستخدم ضمن التثنية ليحملها معاً مسئولية الوقوع في شراك غواية الشيطان.

يقول: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطانُ....، وقَاسَمَهُما إنّي لَكُمَا مِنَ النّاصِحين، فَدَلاهُما بِغُرُورٍ...﴾[٦٠]

في هذا الضوء قارع القرآن بشدة نهجاً من التفكير كان سائداً آنذاك، ولايزال يعشش في بعض زوايا عالمنا المعاصر، ودفع عن المرأة اتهامها بأنها عنصر الذنب والجريمة وأنها الشيطان الصغير.

النظرية الأخرى التي أهانت المرأة، ووسمت استعداداتها الروحية والمعنوية بالسلبية تفيد كما يقول دعائها: أن النساء لا يدخلن الجنة، لأن المرأة عاجزة عن طيّ مراحل الرُّقيّ المعنوي والإلهي، فهي عاجزة في النهاية عن الوصول إلى درجة القرب الإلهي.

أما القران فقد صرح في آيات كثيرة: أن الثواب الأخروي وبلوغ القرب الإلهي لا ينحصر بجنسٍ خاص، وإنما هو رهن الإيمان والعمل، سواءً أكان بالنسبة إلى الرجل أم المرأة.

فقد قرن ذكر الرجال العظام بذكر إحدى النساء الشامخات، وقد وقف بإجلال لامرأة آدم وإبراهيم وأم موسى وعيسى وامرأة الفرعون.

لم يجد الاسلام فرقاً بين الرجل والمرأة في حركتيهما نحو الله».

ويقول العلامة المطهري في موضعٍ آخر:

«نظرية أخرى، كانت سائدة لدى عرب الجاهلية الأولى ولدى بعض الأمم الأخرى، تجد أن حصّة المرأة من الأبناء لا قيمة لها، بل هي وعاء لنطف الرجال، التي تستبطن البذر الأصلي للإنجاب.

وضع القرآن الكريم نهاية لهذا الطراز من التفكير، حيث ذهب إلى أن الأبناء ينجبون بواسطة الرجل والمرأة معاً.

في ضوء ما تقدم من حديث، يتضح أن الإسلام من زاوية التصور العام للخلق لم يتوفر على نظرة مهينة للمرأة».[٦١]

بيان العلامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان

الفيلسوف والأستاذ الكبير المرحوم العلامة الطباطبائي (ره) صاحب كتاب تفسير القيّم الميزان، يذكر في البداية مطالب عن مظلومية وتحقير المرأة قبل الاسلام بين الأمم المختلفة وفي الجزيرة العربية،

ثم يستنتج التالي:

أولاً: أنهم كانوا يرونها إنسـاناً في أفق الحيوان العجم، أو إنسان ضعيف الانسانية، منحطاً لا يؤمن شرّه وفسـاده لو أطلق من قيد التبعيّة، واكتسـب الحريّة في حياته، والنّظر الأول أنسـب لسـيرة الأمم الوحشيهة والثاني لغيرهم.

ثانيـاً: أنهـم كانوا يرون في وزنها الاجتماعي أنها خارجة من هيكل المجتمع المركّب، غير داخلة فيه، وإنـما هـي من الشرائط التي لا غنا عنها كالمسـكن، لا غنا عن الالتجاء إليه، أو أنها كالأسـير المسـترقّ الذيهي من توابع المجتمع الغالب، ينتفع من عمله ولا يؤمن على اختلاف المسلكين.

وثالثاً: أنهم كانوا يرون حرمانها في عامّة الحقوق التي أمكن انتفاعها منها إلا بمقدار يرجع انتفاعها إلى انتفاع الرّجال القيّمين بأمرها.

ورابعاً: أن أسـاس معاملتهم معها فيما عاملوا هو غلبة القوي على الضعيف وبعبارة أخرى، قريحة الاسـتخدام هذا في الأمم غير المتمدّنة، وأمّا الأمم المتمدّنة فيضاف عندهم إلى ذلك ما كانوا يعتقدونه في أمرها: أنّها إنسان ضعيف الخلقة لا تقدر على الاستقلال بأمرها ولا يئمن شرّها، وربما اختلط الأمر اختلاطاً باختلاف الأمم والأجيال.[٦٢]

يقول الأستاذ العلامة الطباطبائي في موضع آخر:

المشـاهدة والتجربة تقتضيان أن الرجهل والمرأة فردان من نوع جوهريّ واحد، وهو الانسان، فإنّ جميع الآثار المشـهودة في صنف الرّجل مشـهودة في صنف المرأة من غير فرق، وبروز آثار النّوع يوجب تحقق موضوعه بلا شك.

نعم يختلف الصّنف بشـدةٍ وضعف في بعض الآثار المشـتركة وهو لا يوجب بطلان وجود النّوعيّة الميسـورة لأحد الصّنفين ميسورة في الآخر، ومنها الاسـتكمالات المعنويّة الحاصلة بالايمان والطّاعات والقربات، وبذلك يظهر عليك أن أحسن كلمة وأجمعها في إفادة هذا المعنى قوله سبحانه:

﴿إِنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾[٦٣]

وإذا قايسـت ذلـك إلى مـا ورد في التوراة بأن لك الفرق بين موقعي الكتابين، ففي «سـفر الجامعة» من التوراة:

«دُرت أنـا وقلبـي لأعلم ولأبحث لأطلب حكمة وعقلاً، ولأعرف الـشرّ أنّه جهالة، والحماقة أنّها جنون، وجدت أمرّ من الموت المرأة التي هي شباك، وقلبها إشراك، ويداها قيود – إلى أن قال: – رجلاً واحداً بين ألف وجدت، أمّا إمرأة فبين كلّ أولئك لم أجد».

وقـد كانـت أكثر الأمـم القديمة، لا ترى قبول عملها عند الله سـبحانه، وكانت تسـمّى في اليونان

رجساً من عمل الشيطان، وكانت ترى الروم وبعض اليونان، أن لبس لها نفس، مع كون الرجل ذا نفس مجرّدة إنسانية، وقرّر مجمع فرنسا سنة ٥٨٦م بعد البحث الكثير في أمرها، أنها إنسان، لكنّها مخلوقة لخدمة الرجل، وكانت في إنجلترا قبل مئة سنة تقريباً، لا تعد جزء المجتمع الانساني، فارجع في ذلك إلى كتب الآراء والعقائد وآداب الملل تجد فيها عجائب في آرائهم.[٦٤]

ماذا أبدعه الإسلام في أمر المرأة؟

ثم قال الأستاذ العلامة الطباطبائي:

لازالت الدنيا بأجمعها ترى في أمر المرأة ما قصصناه عليك وتحبسها في سجن الذلّة والهوان، حتّى صار الضّعف والصّغار طبيعة ثانية لها، عليها نبتت لحمها وعظمها وعلها كانت تحيا وتموت، وعادت ألفاظ المرأة والضعف والهوان كاللغات المترادفة، بعد ما وضعت متبائنة، لا عند الرجال فقط، بل وعند النساء - ومن العجب ذلك - ولا ترى أمّة من الأمم، وحشيّها ومدنيّها إلا وعندهم أمثال سائرة في ضعفها وهوان أمرها...

وهذا في نفسه كاف في أن يحصّل للباحث ما كانت تعتقده الجامعة الانسانية في أمر المرأة.

ولم يورث من السّابقين ما يعتني بشأنها وبهم بأمرها إلا بعض ما في التوراة، وما وصّى به عيسى بن مريم عليه السلام من لزوم التّسهيل عليها والارفاق بها.

وأمّا الاسلام

يبيّن العلامة الطباطبائي في حديثه نظرية الاسلام بشأن المرأة ويقول:

وأما الاسلام أعني الدين الحنيف النّازلة به القرآن فإنه أبدع في حقّها أمراً كانت تعرفه الدنيا منذ قطن بها قاطنوها، وخالفوهم جميعاً في بناء بنية فطريّة عليها كانت الدّنيا هدمتها من أوّل يوم، وأعفت آثارها وألغى ما كانت تعتقده الدنيا في هويّتها اعتقاداً، وما كانت تسير فيها سيرتها عملاً.

أما هويّة المرأة، فإنه بيّن أنها كالرجال إنسان، وأن كل إنسان ذكراً أو أنثى فإنه إنسان يشترك في مادّته وعنصره انسانان ذكر وأنثى، ولا فضل لأحد على أحد، إلا بالتّقوى، قال تعالى:

﴿يا أيُّها النّاسُ إنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾. (الحجرات - ١٣)

فجعل الله تعالى، كلّ انسان مأخوذاً مؤلّفاً من إنسانين ذكر وأنثى، هما معاً ونسبة واحدة مادّة كونه ووجوده. وهو سواءً كان ذكراً أو أنثى مجموع المادّة المأخوذة منهما، ولم يقل تعالى مثل ما قاله القائل:

«وإنما أمهات الناس أوعية»

ولا قال مثل ما قاله الآخر:

بـــنــــونـــا بـــنــــو أبـــنـــائـــنـــا وبـــنـــاتـــنـــا
بـــنـــوهـــنّ أبـــنـــاء الـــرّجـــال الأبـــاعـــد

بل جعل الله تعالى كلاًّ مخلوقاً مؤلفاً من كلّ، فعاد الكلَ أمثالاً، ولا بيان أتمّ ولا أبلغ من هذا البيان، ثم جعل الفضل في التقوى وقال تعالى:

﴿إِنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾[٦٥]

فصرّح أنّ السّعي غير خائب، واعمل غير مضيّع عند الله وعلّل ذلك بقوله: ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ فعبَر صريحاً بما هو نتيجة قوله في الآية السّابقة واحد، من غير فرق في الأصل والسّنخ.

ثـمّ بـيّن بذلك أنّ عمـل كلّ واحد من هذين الصّنفـين غير مضيّع عند الله، لا يبطل في نفسـه، ولا يعدوه إلى غيره، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدّثر – ٣٨) لا كما يقوله النّاس: أنّ عليهنَ سيئاتهنّ، وللرّجال حسناتهنَ من منافع وجودهنّ.

وإذا كان لـكلّ منهـما مـا عمـل ولا كرامـة إلا بالتّقوى، مـن التّقـوى الأخلاق الفاضلـة كالإيمان بدرجاتـه، والعلـم النّافـع والعقل الرّزين، والخلق الحسـن والصّـبر والحلم، فالمـرأة المؤمنة بدرجات الايمان أو المليئة علماً، أو الرّزينة عقلاً أو الحسـنة خلقاً، أكرم ذاتاً وأسـمى درجة ممّن لا يعادلها في ذلك من الرّجال، في الاسلام كان من كان، فلا كرامة إلا للتّقوى والفضيلة...

والمتحصّل من جميع ذلك

ثم قال العلامة الطباطبائي (ره):

والمتحصّـل مـن جميـع ذلك: أنها لا يجب عليهـا في جانب العلم إلا العلم بأصـول المعارف والعلم بالفـروع الدّينيـة (أحكام العبـادات والقوانـين الجارية في الاجتـماع) وأمّا في جانب العمـل، فأحكام الدّيـن وطاعـة الزّوج فيما يتمتع به منهـا، وأما تنظيم الحياة الفرديّة بعمل أو كسـب، بحرفة أو صناعة وكـذا الورود فيما يقوم به نظـام البيت وكذا المداخلة في ما يصلح المجتمع العام، كتعلّم العلوم، واتّخاذ الصناعـات والحرف المفيدة للعامّة والنّافعـة في الاجتماعات مع حفظ الحدود الموضوعة فيها فلا يجب عليها شيء من ذلك، ولازمة أن يكون الورود في جميع هذه الموارد، من علم أو كسب أو شغل أو تربية ونحو ذلك، كلّها فضلاً لها تتفاضل به، وفخراً لها تتفاخر به، وقد جوّز الاسلام، بل ندب إلى التّفاخر بينهنّ، مع أنّ الرجال نهوا عن التّفاخر في غير حال الحرب، والسّنة النبويّة تؤيّد ما ذكرناه.[٦٦]

كان هـذا مـا يجـب ذكره في هذا الفصـل، وكان الهدف من هذا الفصل هو مصـداق للقول «يُعرف الأشياء بأضدادها»، معرفة كل من العيوب والحسنات والجيد والسيء ومقارنتهم ببعض حتى يُنتخب الأحسـن والأفضل لأن النسيان من طبيعة الإنسـان، ولكن ذاكرة التاريخ قوية، إذن ما هو أفضل من

الاستعانة بذاكرة التاريخ، وبالمقارنات والتحاليل ندرك عظمة أحكام الاسلام عن المقام العالي الشأن للمرأة.

المرأة التي عُرّفت في بيان وأمثال العرب بـ: «المرأة حيوانٌ طويلٌ الشّعر، قصيرُ الفكر».

ولكن الاسلام يقول:

﴿مَنْ عَمَلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنَحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (النحل – ٩٧)

نهاية الفصل الأول

الهوامش

(١) حقوق المرأة في أوروبا، طبعة ١٣٥٧ ، ص ٢٧ و ٤١.
(٢) تورات، سفر التكوين، باب ٣٥، بند ١٧.
(٣) سورة النحل، آية ٥٨ و ٥٩ - سورة السراء، آية ٣١.
(٤) سورة النساء، آية ٧ و١٩ - سورة النور، آية ٣٣ (تفسير الطبري).
(٥) تمدن الاسلام والعرب كوستاولبون، ترجمة سيد هاشم الحسيني، ص٥٠٣.
(٦) أسد الغابة، ج ٤ ، ص ٢١٩.
(٧) سورة النحل، آية ٥٨ و ٥٩.
(٨) تفسير فخر الرازي، ج ٢٠ ، ص ٥٥.
(٩) تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٤٤.
(١٠) أصول الكافي، ج ٢، ص ١٦٢.
(١١) قاموس الرجال، ج٥، ص ١٢٥.
(١٢) الجاهلية والاسلام، ص ٦٣٢.
(١٣) حقوق المرأة في الاسلام والعالم، ص٢٢.
(١٤) اقتباس من حقوق المرأة في الاسلام والعالم ليحيى نوري، ص٢٧.
(١٥) اقتباس من الاسلام والآراء والعقائد البشرية ليحيى نوري.
(١٦) حقوق المرأة في الاسلام والعالم، ص١١و١٢.
(١٧) حقوق المرأة في الاسلام والعالم، ص١٣ و١٤.
(١٨) تفسير مجمع البيان، ج٧، ص١٤١.
(١٩) ربيع الابرار للزمخشري.
(٢٠) تم شرح الثمانية نكاح في فصل الزوجات في هذا الكتاب.
(٢١) المرأة بين الفقه والقانون، للدكتور مصطفى السباعي، ص٢٥٧ - الحجاب لأبو الأعلى المودودي، ص١٠١و١١١.
(٢٢) الشيوعية اليوم وغداً، ص٢٨٨.
(٢٣) مسائل الأسرة، ص٢٦.
(٢٤) نظام حقوق المرأة في الاسلام للأستاذ مرتضى المطهّري، ص٢٢-٢٤.
(٢٥) صحيفة الاطّلاعات، العدد رقم ٤٢.
(٢٦) مجلة الفردوسي، العدد رقم ٢٠٨.
(٢٧) التفسير الأمثل، ذيل الآية ٥٨، سورة النحل.

(٢٨) المقصود من التوراة هنا هو التوراة المحرّف.

(٢٩) تمدن الاسلام والعرب لكوستاولبون، ص ٥٠٧-٥١٠ الترجمة الفارسية لسيد هاشم الحسيني.

(٣٠) تمدن الاسلام والعرب لكوستاولبون، ص ٥٠٣-٥٠٥.

(٣١) البخار، ج٤٣، ص ٨٣.

(٣٢) وسائل الشيعة، ج١٥، ص١٠٢- ثواب الاعمال، ص ٤٤٨.

(٣٣) وسائل الشيعة، ج١٥، ص١٠٠.

(٣٤) مكارم الاخلاق، ص٥٤.

(٣٥) أمالي الطوسي، ج٢، ص١٤١- البحار، ج٨٢، ص٣٣٣.

(٣٦) البحار، ج٧٦، ص١٤١.

(٣٧) روح الدين الاسلامي، عفيف عبدالفتّاح، ص ٣٤٥.

(٣٨) الغافر - ٤٠.

(٣٩) تفسير المنار، ذيل الآية ٦١، آل عمران.

(٤٠) النساء - ١٩.

(٤١) النساء - ٤٠.

(٤٢) النساء - ٣٢.

(٤٣) التوبة - ٧١.

(٤٤) البقرة - ٢٢٨.

(٤٥) الممتحنة - ١٢.

(٤٦) يعني: عليه مسئولية ثقيلة.

(٤٧) وسائل الشيعة، ج١٥، ص١٠١.

(٤٨) السفور والحجاب، ص ٩٨.

(٤٩) السفور والحجاب، ص ٩٨.

(٥٠) وسائل الشيعة، ج١٥، ص١٠٠ و ١٠١.

(٥١) وسائل الشيعة، ج١٥، ص١٠٢.

(٥٢) وسائل الشيعة، ج١٥، ص١٠٢.

(٥٣) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق، ص٤٤٨- وسائل الشيعة، ج١٥، ص١٠٤.

(٥٤) وسائل الشيعة، ج١٥، ص١٠٤.

(٥٥) وسائل الشيعة، ج١٥، ص١٠٥.

(٥٦) البحار، ج١٠٣، ص٢٢٨.

(٥٧) تمدّن الاسلام والعرب، ترجمة سيد هاشم الحسيني، ص٥٠٣-٥١٢.

(٥٨) تمدّن الاسلام والعرب، ترجمة سيد هاشم الحسيني، ص٥١٦-٥١٧.

(٥٩) سورة الأعراف - ١٩.

(٦٠) سورة الأعراف -٢٠، ٢١، ٢٢.

(٦١) نظام حقوق المرأة في الإسلام، للعلامة المطهّري.

(٦٢) الميزان، ص٢٨٠-٢٨١.

(٦٣) آل عمران-١٩٥.

(٦٤) الميزان، ج٢، ص ٩٤-٩٥.

(٦٥) آل عمران-١٩٥.

(٦٦) الميزان، ج٢، ص٢٨١-٢٨٥.

الفصل الثاني

بحث في حقوق المرأة
مقارنة بحقوق الرجل وفلسفة
بعض الاختلافات في الاسلام

١- مفهوم الحقوق ولياقة مشرع الحقوق في الاسلام

كلمـة الحقوق هي جمع لكلمة «الحق» وتعني في الأصل الصدق والصحيح، وعملٌ لابد من القيام بـه، وتـأتي أيضا بمعنى اليقـين، العدالة، النصيـب، الواجب والحقيقة. وعلى هذا فـإن للحقوق معاني مختلفـة، ولكـن عندما نتكلم عـن الواجب نجد أنها تأتي بمعنى الحظ والنصيـب، مثلاِ للوالد حقٌ على الأولاد، بمعنى أنه مقابل تعبه وكدّه على الأولاد فإن له الحظ والنصيب في أن يؤدّيه الأبناء تجاهه.

لأن البشر بصورة طبيعية خلقوا اجتماعيين ومن اللازم لحفظ العلاقات الاجتماعية أن تكون هناك حـدود ومقـررّات بينهم لأن صفة الأنانية والطغيـان تجعل الأفراد الديكتاتوريـة بالتعدي على حدود الآخريـن وتبعـث على النـزاع والتفكك في روابط المجتمع، مـن هنا فُتح باب «القانـون» و «الحقوق» في المجتمع.

عـرّف المحققون الحقوق بأكثر مـن أربعين معنى ولكن بصورة جامعة نسـتطيع أن نعرّف الحقوق بالتالي:

«الحقـوق هي مجموعة مـن القواعد والقوانين لازمة الاجراء، والتـي وضعت لحفظ نظام المجتمع وتنظيم روابط الأفراد والأمم، وإصلاح المجتمع».[١]

مراعـاة الحقوق توجب وصول كل شـخص إلى حقه الطبيعي وألا يظلـم أحدا، إن هذا العمل هو ذات العدالة الفردية والاجتماعية ورعايتها والتي جاء بلسـان الاسـلام بتعبير «الحدود»، وهذه المسألة مهمـة جداً في الاسـلام الى درجة أنـه جاء في القرآن تعدّي الحدود بجانب عصيان الله سـبحانه وتعالى ورسـوله، وفي ذلك عقابٌ شـديد، مثلما يقول الله عزّ وجلّ في الآية (١٤) من سـورة النسـاء بعد بيان قانون وحقوق الارث:

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلَهُ ناراً خَالِداً فِيها وَلَهُ عَذابٌ مُهينٌ﴾

وعلى هذا فإن مسألة الحقوق مهمة جدا لأن المجتمع من غير الحقوق يكون كالمجتمع الهرج والمرج الحيواني والمليء بالظلم والتجاوز والتعدّي، ولكن بعكس المجتمع الذي تحكمه الحقوق، يكون مجتمعٌ منظم وقدير وطاهر ومليء بالصلح والصداقة.

إننا نعتقد بأن مشرّع الحقوق الجامعة والكاملة للانسان لابد أن يكون هو الذي خلق الانسان ويعلم جيداً كل احتياجاته وعوامل ومقتضيات صعوده ونزوله التكاملي وفطره.

من الواضح أن هذا الشخص ليس إلا الله سبحانه وتعالى.

وعلى هذا الأساس، يجب أن يكون مشرّع الحقوق هو الله سبحانه وتعالى، الذي يعرف ويدرك تماماً حق الانسان الطبيعي والفطري، والقانون الذي يشرّعه لا يوجد فيه أي نقص أو انحراف، مثلما نقرأ في الآية (٣٥) من سورة يونس:

﴿قُلْ هَلْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي الى الحقِّ قُلِ الله يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إلى الحقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتبعَ أَمَّنْ لا يَهدِي إلا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

٢- نظرة لحقوق المرأة والرجل

مثلما بيّنا في الفصل الأول أن المرأة إنسانة ولذلك يجب أن تتمتع المرأة كحقوق ومزايا الانسان، وإذا هُدر حقّها يكون مثلما هُدر حق الرجل، وعلى ذلك لا يوجد فرق بين المرأة والرجل وهما متساويان أمام القانون يعني كل قانون شُرّع للمرأة والرجل، كلاهما لهما الحق بصورة متساوية في ذلك القانون.

ولكن هنا يجب أن نتوجه إلى هذه الحقيقة – مثلما سنشرح لاحقاً – بأنه لا نستطيع إنكار أنه يوجد اختلافات بين المرأة والرجل من الناحية الجسمية والروحية، حيث أن جنس المرأة وتكوينها خلق للأعمال العاطفية والخفيفة واللطيفة، وبالعكس الأعمال الخشنة والدقيقة تتناسب مع طبيعة تكوين الرجل.

وبخصوص الحقوق في نظر الاسلام فالمرأة والرجل في كثير من الموارد الحقوقية متساويين، ولكن في جزء من موارد الحقوق والأحكام يوجد اختلافات بين الرجل والمرأة، وعلى هذا الأساس، قرّر الاسلام على كل من المرأة والرجل وظائف وواجبات بحيث تتناسب مع طبيعة تكوينهما، وفي نفس الوقت هي العدالة، حيث إذا تم العمل بعكس بع الموارد المختلفة وقع الظلم على كليهما.

مثلاً في تشكيل الأسرة، برأي الاسلام أن الوليّ والقيّم على الأسرة هو الرجل ولكن مقام «المساعد» ألقي على عاتق المرأة، لأن الطبيعة التكوينية للرجل توجب أن يتحمل إدارة البيت ومسئوليته، وطبيعة تكوين المرأة توجب بأن تكون معلّمة البيت وتفي بدور المساعد.

الاختلاف ليس دليل للامتياز

إن هـذا المطلب قطعي في الاسـلام بأنـه يوجد اختلافات في جزء من الأحـكام والحقوق بين المرأة والرجل مثلاً:

- الاختلاف في الإرث.
- الرجل هو الذي يقوم بمنصب القاضي والإمام والقائد وليس المرأة.
- الجهاد غير واجب على المرأة، ولكن لا يوجد مانع في أن تدافع عن الرجل.
- رعاية الحجاب واجبة على المرأة.
- إطاعة الزوج في أمور المعاشرة واجبة على المرأة.[٢]
- ليس للمرأة الحق في الزواج أكثر من رجلٍ واحد في نفس الوقت، ولكن الرجل يستطيع أن يتزوج بأكثر من واحدة في آنٍ واحد (حتى أربعة).
- نفقة الزوجة على الرجل وليس العكس.
- الرجل هو الذي يطلّق وليس المرأة.
- للمرأة مهر ولكن ليس للرجل الحق في ذلك.
- للمرأة مقام الأمومة وحق الحضانة وليس للرجل... وغيرها من الاختلافات.

هذه الاختلافات على رغم أحاديث بعض الجهلة والمغرضون، ليست تفرقة وتحقير لمقام المرأة بل إنها العدالة بعينها، والشيء المهم في الحقوق هو أن تكون الحقوق مبنية على أساس العدالة، حيث إذا لم توجد هذه الاختلافات لم تكن العدالة وكانت على خلافها.

توضيح

قطعاً، من الناحية الفسيولوجية والبيولوجية يوجد اختلافات بين المرأة والرجل من الناحية التكوينية روحياً وجسمياً - مثلما سنشرح لاحقاً -، ونتيجة لتلك الاختلافات يجب أيضا أن يكون هناك اختلافات في بعض موارد الأحكام والحقوق، حيث يجب أن يتناسب القوانين والحقوق مع ذلك.

وبعبارةٍ أوضح، يجب أن يكون التساوي في الحقوق ومجراها في أصل القيمة وليس التشابه الظاهري، إذا اختلف موجودين من الناحية الفطرية والوظيفية فإن مساواتهم في أصل القيمة في الحقوق صحيحة ولكن تشابها في حقوقٍ مناسبة لطبيعة تكوينها ووجودهما غير صحيحة.

وعلى سبيل المثال: إذا قسّم الوالد ثروته بصورة متساوية على أبنائه، بل قسّمها على أساس

استعدادهم – بدون التفرقة في القيمة – فيكون قد راعى العدالة، ولكن إذا عمل بعكس ذلك يكون قد ظلمهم.

توضيح: هذا الأب لديه عدة أنواع من الثروة، لديه متجر وأراضي زراعية وممتلكات مستأجرة ومصنع، ونفرض أن هذا الوالد لديه أولاد باستعدادات مختلفة، وقد جربهم وامتحنهم فرأى من لديه استعداد قوي في التجارة، والآخر استعداده قوي في الزراعة والثالث استعداده لحفظ الممتلكات المستأجرة أفضل، والرابع لديه استعداد أكثر للمحافظة على المصنع.

فإذا حسب الوالد ثروته في حياته، وجد أن ثروته تعادل ٤ ملايين دولار، وقام على أساس الاستعدادات بإعطاء متجره (والذي يعادل مليون دولار) لابنه الذي لديه الاستعداد في ذلك، وأراضيه الزراعية لولده الآخر الذي لديه استعداد أفضل في مجال الزراعة، ووضع ممتلكاته المستأجرة في تصرف ولده الآخر الذي استعداده أكثر في هذا المجال، وأعطى مصنعه (مع التوجّه لقيمتهم والتي تعادل مليون دولار) لولده الآخر الذي لديه استعداد أكثر في هذا المجال، فهل ظلم هذا الوالد أولاده بهذا التقسيم وبنظرته المختلفة لكل منهم....!

بالتأكيد لا... لكن إذا عمل بعكس ذلك، يكون قد ظلمهم وضيّع وهدر حقوقهم، في الاسلام جاءت الاختلافات بين حقوق المرأة والرجل على هذا الأساس، ولاتدل على أفضلية الرجل على المرأة أو العكس، بل على أثر الاستعدادات المختلفة لكل من الرجل والمرأة – مع التوجه للقيمة الحقيقية في الاجراء – تم حفظ الحقوق.

يقول الأستاذ العلامة الشهيد المطهّري (ره) في هذا المجال:

«الكم يغاير الكيف، والتساوي غير النسق الواحد، فالثابت هو: أن الاسلام لم يذهب إلى أن حقوق المرأة والرجل على نسق واحد ومتشابهة إلا أن الاسلام لم يذهب إطلاقاً لةعطاء الرجال إمتيازاً وترجيحاً على النساء.

راعى الاسلام أصل المساواة الانسانية بين الرجل والمرأة، ولم يكن الاسلام معارضاً لمساواة الرجل والمرأة في الحقوق، بل عارض التشابه في الحقوق.

إن المقطوع به هو أن الاسلام لم يحدد حقوقاً متشابهة في كل موقع للرجل والمرأة، كما أنه لم يضع لهما مسئوليات وجزاء متشابهاً في كل الموارد، إلا أن الاستفهام الذي يطرح نفسه هنا هو: هل أن الحقوق التي منحها الاسلام للمرأة أقل قيمة مما منح من حقوق الرجل؟..... بالتأكيد الجواب لا». [٣]

التلازم بين الحق والوظيفة
دليل آخر لعدم امتياز الرجل على المرأة

كلمة الوظيفة تعني العمل والخدمة التي يقوم بها الشخص مقابل حقٍ اخر، ويلزم نفسه بأن يقوم به.

ولكلمة الحق والتي جمعها الحقوق معاني كثيرة ومختلفة، ولكن إذا جاءت كلمة الحق مقابل الوظيفة فهي تعني الحظ والنصيب، مثلاً الأم التي تحمّلت المتاعب والمصاعب في سبيل أبنائها لها حق على أولادها، بمعنى أن لها حظ ونصيب على أولادها، حيث من وظيفة الأبناء أداء حق الأم.

ولذلك فإن الحق والوظيفة كلمتان متلازمتان، حيث أينما وجدت الوظيفة وجد في مقابلها الحق، وكما أينما وجد الحق جاءت الوظيفة أو الوظائف التي هي على عهدة الشخص الذي عليه الحق.

إن عليالرجل والمرأة وظائف ومسئوليات وعلى هذا الأساس لهما أيضا حقوق.

لقد أقر الاسلام وظائف على الرجل والمرأة على أساس طبيعة تكوينهما، مثلاً في مسألة الزوجة والزوج وكّل للزوج مقام الرئاسة وقيمومة العائلة، ووكّل للمرأة وظيفة الأمومة وحضانة الأطفال.

إن رئاسة العائلة هي وظيفة ومسئولية وليست مقام، كما أن الأمومة أيا وظيفة ومسئولية.

وعلى هذا الأساس، لا نستطيع أن نقول بأنه يجب أن تُحقّر وتُظلم المرأة بسبب منح رئاسة العائلة للرجل، حيث الحديث ليس عن المقام وإنما الحديث هو عن الوظيفة والمسئولية، وكيف بمسئولية الأمومة التي هي أعلى شأناً وأقدر وأقيم من مسئولية رئاسة العائلة، إذن يجب التوجه إلى الكيفية وليس الكمية.

إذا كان الاسلام يقول في أحد المواضع: ﴿الرّجالُ قوّامُون عَلى النِّسَاء﴾[٤]

هـذه القيمومة هي نوع من المسـئولية والخدمة، وبالطبع هي نوع مـن القيمة، وجاء في موضع آخر بلسان النبيﷺ، حيث أجاب على الرجل الذي سأله بمن توصّيني وقال ثلاث مرات: «أمك» ثم قال في الرابع: «أبيك». [٥]

النتيجة

الاختـلاف في بعض الحقـوق والأحكام الخاصة بالمـرأة والرجل لا يدل عـلى أفضلية أحدهما على الآخر، فقد جاءت هذه الاختلافات بناءاً على الوظيفة والمسئولية، والذي يقوم بوظيفته على أحسـن وجه هو الأفضل والأقوم، وإذا كل منهما أذى وظائفه كاملاً ستصل سفينة الانسانية إلى ساحل النجاة، لأن كلاهما إنسان، ويجب أن يأخذ كل منهما مكانة ووظيفته حتى يوصّلا السفينة إلى الساحل.

إن الاختلاف في الوظيفة لم يكن بتاتاً ملاكاً للأفضلية أو للدنو، وإنما ملاكات الأفضلية هي العلم والتقوى والسعي، ويستطيع كل من الرجل والمرأة بهذه الملاكات أن يكون أفضل من الآخر.

مثالان للتوضيح

لتوضيح هذا المطلب بأن اختلاف الوظيفة والمسـئولية على أسـاس تناسبها مع التكوين ليس ملاك للأفضلية، نلفت نظركم إلى هذين المثالين:

١- بُني بيتٌ بمسـتوى أعلى من مسـتوى الأرض بدرجتين من السـلم، وللدخـول في المنزل يجب طـي هذه الدرجتـين، وطبيعةُ إحدى الدرجتان أعلى من الأخرى ولكن هـذه الدرجة العالية لي لها أية ميزة على الأخرى النازلة لأن نتيجة وجود هذه الدرجتين هو الدخول إلى المنزل، فالميزان في التقييم هو أداء الوظيفة، إذا عمل كل من الرجل والمرأة بوظيفه، سـوف يتسـاوان في ميزان القيمة، مع أنّ أحدهم في الدرجة الأولى والآخر في الدرجة الثانية.

٢- لنأخـذ مسـألة التخصص في الأعمال، حيـث هناك التخصص في الجراحـة والآخر متخصص في الهندسة والعمران والثالث عالم علم الأخلاق، والرابع متخصص في العلوم السياسية والاقتصادية و... غيرها.

إن التخصص اليوم هو العامل الأساسي للرشد والترقّي، وواضح أن المتخصص في تخصص معين لا يستطيع أن يتدخل في تخصص الآخر، حيث يجب على كل منهم أن يعمل بوظيفته.

والآن إذا قلنـا: ان كلهـم متسـاويين ويسـتطيع كل منهـم التدخـل في عمل الآخر، مثـلاً عالم علم الأخـلاق يسـتطيع أن يتدخـل في عمـل الجـراح، وبالعكـس الجـرّاح يسـتطيع أن يُبدي رأيـه في علم

الأخلاق، قطعاً سينتج من ذلك الهرج والمرج، وسيكون التخصص الذي هو العامل الأساسي للرشد والترقّي من أحد عوامل إنحطاط المجتمع وعلى هذا، إذا أقمنا الحدود والحصار على عالم الأخلاق أو الجراح بألا يتدخل في مجال تخصص الآخر. فبذلك لن تحقّرهما بل في الحقيقة احترمنا مقام تخصصهما.

وأيضا بالنسبة للرجل والمرأة، على أثر اختلافهما في تكوينهما الذي وضعه الله سبحانه وتعالى في نطفتهما، وفطرتهما وطبيعتهما في بعض الأمور، خلقهما مختلفين، ويجب على كل منهما العمل بوظيفته، وإذا قمنا بتحديدالوظائف الخاصة بالمرأة، فذلك لا يعني أننا حقّرنا المرأة بل أدّينا حقها كاملاً، وأيضا إذا حدّدنا مهام الرجل لم نحقّره، بل أدّينا حقّه، وإذا كان غير ذلك ومع التوجه إلى عواقبه، لنُقض الهدف، وبدلاً من أن يسير الانسان في طريق التكامل للأمام، فسوف يتقهقر إلى الوراء.

هنا يُطرح سؤالان:

١- الاختلاف في الحقوق في بعض الموارد، يدل ظاهراً على نوع من التفرقة، فلماذا يجب أن يكون كذلك؟

٢- لماذا يوجد اختلاف طبيعي بين الرجل والمرأة؟

للإجابة على تلك المسألة نلفت نظركم إلى البحث التالي...

الرؤيا الكلية وليس الرؤيا المحدودة

للجواب على السؤال الأول نقول:

بالنسبة إلى جزء من الاختلافات التي بين المرأة والرجل في الحقوق والأحكام، فإن رأي الاسلام هو أنه يجب الحكم والقضاء بعد الرؤية الكلية في ذلك، مثلاً في قانون الارث، نجد أن للرجل ضعفين المرأة في الميراث، وعندما نرى فقط هذا القانون بدون القوانين الأخرى سنقول أن المرأة مسكينة وكأنها نصف إنسان لأنها لها نصف الرجل في الميراث، ولكن إذا أخذنا بعين الاعتبار القوانين الأخرى بجانب هذا القانون، مثلاً أن للمرأة الحق في المهر عند الزواج ولكن ليس للرجل الحق فيذلك أو أن نفقة العائلة من مسئولية الرجل وليس المرأة، نجد أنه إجمالاً إذا لم يكن للمرأة حق أكثر فهو ليس أقل من الرجل.

على هذا الأساس، رُوى أنه قال أبو هاشم - أحد أصحاب الامام الحسن العسكري﵇ - أنه كان عند الامام الحسن﵇، فسأل شخص يُدعى «فهفكي» الذي كان من المتابعين لاعتراضات ابن أبي العوجاء (المادّي فيعصر الامام الصادق عليه السلام) الامام الحسن العسكري وقال:

«لماذا المرأة المسكينة لها الواحد وللرجل اثنان في الميراث؟»

قال عليه السلام: «إن المرأة ليس عليها جهاد ولا نفقة ولا معقلة، إنما ذلك على الرجال».[٦]

وهنا نضيف بأن للمرأة المهر في مسألة الزواج ويتعين بموافقة الطرفان على أن تم التوصية على عدم تعيين مهر ثقيل، ولكن على أية حال للمرأة الحق في المهر، وبعد الزواج لها الحق في طلب المهر من الرجل في أي وقت كان، وعلى الرجل الدفع، إن مسألة المهر مهمة في الاسلام حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من ظلم إمرأتاً مهرها فهو عند الله زانٍ».[٧]

إن المرأة في المنزل غير مُلزمة بأن تؤدّي أعمال المنزل وغير واجب عليها، أو بأن تعتني بالأطفال، وإذا قامت بتلك الأعمال فإنها قد أدّت أعمال مستحبة ولكن ليست واجبة، وتستطيع في مقابل أدائها لأعمال المنزل وعنايتها للأطفال حتى إرضاعهم طلب الأجرة، على الرغم من أن نفقتها واجبة على الرجل من جانب الكسوة والطعام والمسكن بصورة يناسب شأنها.

لذلك إذا بحثا في تلك المسألة بصورة كلية فإن السؤال أو الاعتراض السابق سيُعكس وسيكون:

لماذا يجب على الرجل بالاضافة إلى نفقة المرأة أن يدفع لها المهر؟....

لماذا يجب أن يتحمّل الرجل المسكين كل تلك المسئوليات الثقيلة؟.....

طبعاً، لقد تمّ الاجابة على ذلك السؤال، ونتيجةٌ لذلك نجد أن حقوق المرأة في الاسلام بصورة جامعة عادلة جداً وكاملة، ولم يظلم الاسلام المرأة أو يحقّرها ي هذا المجال بتاتاً.

وأيضا نستطيع في هذا المورد أن نضرب مثال كالجهاد والذي له قيمة عالية ومكانة عظيمة عند الله حيث أنه غير واجب على المرأة، لأنها نوعاً ما لا تستطيع المقاومة بدنياً أمام العدو، ولكن إذا كانت محرومة في هذا المجال فإنها قد عُوّضت في جهادات أخرى وكمثال قال الامام الكاظم عليه السلام:

«جهاد المرأة حُسْنُ التّبعُل».[٨]

وطبقاً لبعض الروايات، أنه حدّي النّبي صلى الله عليه وآله عن القيمة والمكانة والثواب العظيم للجهاد، فجاءت إمرأة عند الرسول صلى الله عليه وآله نيابة عن النسوة الأخريات، وقالت: «إن النساء مسكينات لأنهن ممنوعات عن الجهاد، وهنّ محرومات عن أجره العظيم».

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن جهاد المرأة حسن التبعل، فإذا أحسنت وظيفتها فإنها ستنال الأجر العظيم للجهاد في سبيل الله».

وقال أيضاً صلى الله عليه وآله: «كل من تصبر على سوء أخلاق زوجها فإن لها أجر السيدة آسية (امرأة الفرعون) عند الله».

وأيضاً نُقل في عصر الرسولﷺ أنه جاءت امرأتاً عند الرسولﷺ وتُدعى «أسماء بنت يزيد الأنصاري» نيابةً عن المسلمات، وقالت:

«بأبي وأمي يا رسول الله... لقد جئتكم نيابةً عن النساء، وقد بعثك الله للرجال وللنساء أيضاً ونحن (أيضا مثل الرجال) آمنّا برسالتك واعتقدنا بوحدانية الله سبحانه وتعالى (اذن لا فرق بيننا وبين الرجل)، والذي أريد أن أقوله هو: أننا نحن النساء بسبب الحدود قد لزمنا البيت ونقوم بإشباع غريزتكم ونربّي أولادكم في أرحامنا، ولكننا قد حُرمنا من الأعمال المقدّسة والعظيمة مثل الاشتراك في صلاة الجمعة وصلاة الجماعة وتشييع الجنازة وعيادة المرضى و... والأهم من كل ذلك الجهاد في سبيل الله، حيث ليس لنا نصيب في ذلك، بالرغم من أننا عندما يذهب الرجال إلى الحج والجهاد نحفظ أموالهم وحيثيتهم ونغزل الخيوط لنهيء لهم الكسوة، ونربّي أولادهم، فهل في هذا الحال نحن محرومون من الأجر الكبير للجهاد؟ ولماذا؟»

تعجّب الرسولﷺ من حديث أسماء وقال للأصحاب:

«هل سمعتم من قبل امرأتاً تسأل عن مسائلها الدينية بحديثٍ أجمل وأبلغ من هذا الحديث؟»

ثم قال الرسولﷺ لأسماء:

«اعلمي يا أسماء وأخبري النسوة الأخريات، إن حُسن تبعُّل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتّباعه موافقته، يعدل ذلك كلّه».[٩]

٣- نظرة لبعض الاختلافات بين الرجل والمرأة

وهنا يُطرح هذا السؤال: إذا كانت المرأة انسان فلماذا هي ليست متساوية مع الرجل في كل الأمور؟ ولماذا هذه الاختلافات؟

للإجابة على هذه المسألة، سنتطرق إلى الشرح القصير والتحقيق العلمي التالي...

وجود الاختلافات الطبيعية والتكوينية بين الرجل والمرأة

لقد ثُبت علمياً، بلا ترديد، أنه يختلف الرجل عن المرأة جسمياً وروحياً، مع ان كلاهما انسان، ولكن الله سبحانه وتعالى جعل هذه الاختلافات بينهما لمصالح حياتهما حيث اذا لم تكن هذه الاختلافات وكانا متساويان فإن النظام الاجتماعي والعائلي سيختل، كما يقول العلامة الأستاذ مرتضى المطهّري:

«فالاختلاف بين الرجل والمرأة تعادل وتناسب، وليس نقصاً أو كمالاً، فقد استهدف قانون التكوين بهذا الاختلاف خلق تناسب أكبر بين الرجل والمرأة اللذين خُلقا لحياة مشتركة، وما حياة

العزوبة إلا انحرافاً عن قانون التكوين».[١٠]

ثم يقول: «مسألة الاعتقاد باختلاف تكوين المرأة والرجل ليست مسألة جديدة، بل جاءت من قبل ٢٤٠٠ عام وطُرح في مكتاب «جمهورية أفلاطون»، ولكن في الدنيا القديمة تم البحث أكثر في الاختلافات الظاهرية والأمور المحسوسة، ولكن اليوم ومع التقدم العلمي، ثُبت وجود اختلافات عميقة في تكوين المرأة والرجل».

وقد رسم العلماء بصورة كلية ثنائية الرجل والمرأة واختلافاتهما من الزاويتين الجسمية والنفسية:

وأمّا من الزاوية الجسمية:

فالرجل بشكل عام ضخم البنية، والمرأة ليست كذلك.

الرجل أطول من المرأة.

الرجل أخشن، المرأة ألطف.

صوت الرجل أضخم وأكثر خشونة، وصوت المرأة ألطف وأكثر نعومة.

المرأة أسرع نمواً من الرجل.

النمو العضلي للرجل أكبر من نمو المرأة العضلي والبدني.

المرأة أسرع إلى البلوغ الجنسي من الرجل، كما أنها أسرع منه في العجز عن الانجاب.

البنت أسرع من الصبي إلى النطق.

متوسط دماغ الرجل أكبر من متوسط دماغ المرأة، مع أخذ نسبة الدماغ إلى مجموع البدن بنظر الاعتبار.

رئة الرجل تستوعب حجماً أكبر من الهواء.

ضربات قلب المرأة أسرع من ضربات قلب الرجل.

وأمّا من الزاوية النفسية:

يميل الرجل بدرجة أكبر من المرأة إلى الألعاب الرياضية والصيد والأعمال الحركية.

إحساسات الرجل معارضة وحربية، وإحساسات المرأة سلمية.

الرجل أكثر عدواناً وصخباً، والمرأة أهدأ.

تحجم المرأة عن استخدام العنف ضد الآخرين ومع نفسها، ولذا تنخفض نسبة الانتحار بين النساء.

الانتحار عند الرجال أبشع حيث يتوسل هؤلاء بإطلاق النار، والقذف بأنفسهم من شاهق، بينما تتوسل النساء بالأقراص المنومة والمواد المخدّرة.

المرأة أكثر انفعالاً من الرجل وأسرع هيجاناً، يعني أن المرأة تنفعل وتخضع تحت تأثيرها أحاسيسها بشكل أكبر من الرجل.

تميل المرأة بشدة إلى الجمال والزينة والأزياء المختلفة على عكس الرجل.

المرأة أكثر ثباتاً من الزاوية العاطفية من الرجل.

المرأة أكثر حيطةً من الرجل، وأكثر تديّناً وألْسَن، وأكثر خوفاً وأكثر تقيداً بالعرف.

عواطف المرأة أمومية، ويظهر هذا الاحساس منذ مرحلة الطفولة، للمرأة علاقة أكبر بالأسرة وهي تلتفت بشكل لا شعوري لأهمية محيط الأسرة قبل الرجل.

لا تصل المرأة إلى حد الرجل في العلوم البرهانية والمسائل العقلية الجافة، إلا أنها لا تقل عنه في مجال الأدب والفن وسائر المسائل المرتبطة بالذوق والعاطفة.

الرجل أكثر قدرة على كتمان السر، وكتمان الأخبار المزعجة في داخله، ولذا هو أسرع للإبتلاء بالمرض الناشئ جراء كتمان السر.

المرأة أكثر رقّة من الرجل، وهي سريعة التوسل بالبكاء والحيلة أحياناً.

الرجل أسير شهوته، والمرأة أسيرة حب الرجل.

يعشق الرجل المرأة التي يميل إليها ويختارها، وتعشق المرأة الرجل الذي يدرك قيمتها ويعلن حبه لها.

يبتغي الرجل مصاحبة المرأة، وأن يجعلها تحت تصرفه، والمرأة تريد امتلاك قلب الرجل والسيطرة عليه عن طريق قلبه، فهو يريد التسلط عليها من فوق وهي تريد النفوذ إلى داخل قلبه.

يريد الرجل أن تستهويه المرأة، وهي تريد أن تستهويه.

تريد المرأة من الرجل الشجاعة والرجولة، وهو يريد منها الجمال والعاطفة.

تعد المرأة حماية الرجل لها أغلى الأشياء.

المرأة أقدر في السيطرة على الشهوة من الرجل.

شهوة الرجل بدوية وهجومية، وشهوة المرأة انفعالية وتدريجية.

يقول الخبير النفسي الامريكي المعروف «البروفسور ريك» والذي قضى سنوات في الدراسة والبحث عن أوضاع الرجل والمرأة والاختلافات التي بينهما حيث حرّرها في مؤلف ضخم:

«تختلف دنيا المرأة عن دنيا الرجل اختلافاً كلياً، فحينما لا تستطيع المرأة أن تفكر أو تعمل، كما يفكر وعمل الرجل فذلك لأن دنياهما مختلفان...»

إن المرأة والرجل كالنجمين يتحركان حول مدارين مختلفين، يمكنهما أن يفهما بعضهما البعض

الآخـر، ويكمـل كلّ منهما صاحبه، ولكن لا يصبحـان واحداً على الاطلاق، من هنا اسـتطاع الرجل والمرأة أن يعيشا معاً، ويعشق كل منهما الآخر، ولا يميل كل منهما مزاج الآخر وسجاياه».(١١)

أقام البروفسـور ريك مقارنة بين نفسية الرجل والمرأة وانتهى إلى اختلافات بينهما، ومن جملة ذلك يقول:

«السـعادة بالنسـبة للرجال هي أن يحصلوا على المركز والشـخصية المحترمة في الوسط الاجتماعي، ولكن السعادة بالنسبة للمرأة هي الحصول على قلب الرجل وحفظه لنهاية عمره.

يريد الرجل على الدوام أن يُدخل المرأة التي يحب دينه ومذهبه.

كما يسهل على المرأة تغيير لقبها الأسريّ بعد الزواج، يسهل عليها أيضاً تغيير دينها ومذهبها لأجل الرجل الذي تحب».(١٢)

ومؤخّراً، علماء العلوم الطبيعية والفسيوليوجية أعلنوا:

بأن خلايا مع الرجال تزيد عن خلايا مع المرأة بنسبة ١٦٪.

يقول «كوستاولبون» العالم الاجتماعي الفرنسي المعروف:

«ليس خافٍ أنني من الأشخاص التي لديها هذه العقيدة (الاختلاف التكويني بين الرجل والمرأة)، وقـد ذكرت وشرحـت هذا المطلب في نشرية بعنوان البحوث التشريحيـة والرياضية في تحوّلات حجم الجمجمـة، وفي تلـك النشريّـة أردت إثبات أن اختـلاف الأفراد في الذكاء يؤدّي إلى أنـه كلما تتقدم إلى التمدّن والحضارة تتضح هذا الاختلاف ويظهر ويبرز».(١٣)

نظرية العلماء الفسيولوجيين[١٤]

يعتقد العلماء الفسيولوجيين أن الرجل والمرأة يختلفان في الأمور التالية:

«القامة، الوزن، العظام، العضلات، الحواس الخمسة، الجهاز التنفسي، القلب، المخ، الجمجمة، الرئة، الجلد والعين، الرأس والجبهة، الجهاز الهضمي، النبض، الدم».

مخ المرأة: أخف من مخ الرجل حيث يبلغ وزن مخ الرجل من ١٢٠٠ الى ١٤٠٠ جرام بينما يبلغ وزن مخ المرأة من ١١٠٠ الى ١٣٠٠ جرام.

جمجمة المرأة: أصغر من جمجمة الرجل بنسبة ١٥٪.[١٥]

يقول الدكتور ألكسيس كار الفسيولوجي، الجرّاح وعالم الأحياء الفرنسي (١٨٧٣-١٩٤٤م) في كتاب «الانسان موجودٌ مجهول»، بعد اعتقاده بأن كل الاختلافات الفسيولوجية ترتبط بالنطفة والغدد التناسلية: «إن القوانين الفسيولوجية هي أيضا مثل قوانين عالم الكواكب غير قابلة للتغيير وغير ممكن أن تؤثر الميول الانسانية فيها»، ثم يقول:

«إن الأنشطة النفسية ترتبط بالأنشطة الفسيولوجية، والروح والجسم هما كالشكل والمرمر، اللذين صنعا تمثالاً ولا يمكن بدون نحت المرمر أو تكسيره تغيير شكل التمثال».

ويستنتج الدكتور ألكسيس كارل بعدما صرّح بالفروقات المختلفة بين الرجل والمرأة في تكوينهما الوجودي، ويقول:

«إنه غير منطقي بأن يحرّف توجه النساء عن وظائف الأمومة، وتجعل للفتيات نفس طريقة الفكر ونفس نوع الحياة ونفس الهدف وغاية الذي جعلناه للشباب، يجب على متخصصين التعليم والتربية الأخذ بعين الاعتبار الاختلاف العضوي والنفسي بين جنس الرجل والمرأة ووظائفهما الطبيعية مع التوجه للنقطة الأساسية لبناء مستقبل التمدّن والحائز لكمال الأهمية».[١٦]

النتيجة والخلاصة

نستنتج من المطالب العلمية السابقة أن: بدون ترديد، هناك اختلاف في هيئة الخلقة ونظام تكوين المرأة والرجل بصورة واضحة وجلية، ولذلك فإن تساوي الرجل والمرأة في الحقوق والأحكام من كل جانب مخالف تماماً عن هيئة خلقتهما.

إن دُعاة الحرية المطلقة للنساء ومساواتها في كل جانب، في الحقيقة يريدون إبطال المقررات الغير قابلة للتغيير والثابتة للخلقة والفطرة، من البديهي أنهم بهذا العمل لن ينالوا شيئاً غير الحرمان من المواهب التي وهبها مقررات الخلقة للرجل والمرأة تناسباً مع تكوين وجودهما: مخالفة مقررات الطبيعة والخلقة تعني ضرب جذور سعادتهم.

وإذا دافع وحمى رجالٌ عن هذه الفكرة، تلقائياً ولاشعورياً وبلباس الفقة سيوفّر وسائل التعاسة للنساء.

إن هذه المسألة أقلقت محققون عظماء حيث يكتب الدكتور «ابرام كارديز» البروفسور النفسي في جامعة كولمبيا:

«إنني لا أوافق بأي صورة كانت عمل السيدات خارج المنزل، السيدة التي تدّعي أن لديها وقت إضافي في الحياة وفي إدارة المنزل، خاطئة تماماً، وأصولاً، ادارة الحياة الزوجية والعائلية تحتاج إلى صرف الوقت أكثر مما تتصور، السيدة التي تعمل خارج المنزل، تصرف اقسم الأعظم من وقتها وطاقتها في ذلك، ولهذا السبب لا يوجد لديها الفرصة والطاقة الكافية لادارة الأطفال ومنحهم المحبة، والأطفال يحسّون بالضيق من ذلك، وخلاصة أن وظيفة الأمومة عملٌ كبير».[١٧]

وهنا ندرك ونعي تماماً سر الاختلافات بين المرأة والرجل في بعض المسائل الحقوقية والأحكام الجزائية، والتي هي على أساس مقررات الخلقة وليس خلاف ذلك، لذلك يجب على المرأة أن تكون امرأة، والرجل رجل، وتعتمد قيمتها ومنزلتها على زيادة علمها وتقواهها وخدماتها، وكل من يتفوق من الرجل والمرأة في تلك الأمور يكون هو الأفضل وإلا لن يكون الأفضل.

وعلى سبيل المثال: لماذا الطلاق بصورة طبيعية - فيما عدا الأمور الاستثنائية - بيد الرجل؟

الجواب: إن هذا الاختصاص ليس لتحقير المرأة بل كان ذلك لأن الطلاق عمل غير مرغوب به وعُرف في الاسلام بأنفر عمل، حيث قال الرسولﷺ:

«تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز منها العرش».[١٨]

إن فصم رابطة الزوجية لَأمْرٌ خطير يترتب عليه آثار بعيدة المدى في حياة الأسرة والفرد والمجتمع، فمن الحكمة والعدل ألا تعطي صلاحية البت في ذلك وإنهاء الرابطة تلك إلا لمن يدرك خطورته،

ويقدّر العواقب المشؤومة التي تترتب عليه حق قدرها ويزن الأمور بميزان العقل قبل أن يقدم على الإنفاذ بعيداً عن النزوات الطائشة والعواطف المندفعة والرغبة الطارئة.

والثابت الذي لاشك فيه أن الرجل أكثر إدراكاً وتقديراً لعواقب هذا الأمر، وأقدر على ضبط أعصابه، وكبح جماح عاطفته حال الغضب والثورة، وذلك لأن المرأة بطبيعة تكوينها خلقت بطباع وغرائز تجعلها أشد تأثراً وأسرع انقياداً لحكم العاطفة من الرجل، لأن وظيفتها التي أعدت لها تتطلب ذلك، فهي إذا أحبت أو كرهت وإذا رغبت أو غضبت اندفعت وراء العاطفة، لا تبالي بما ينجم عن هذا الاندفاع من نتائج ولا تتدبر عاقبة ما تفعل، فلو جعل الطلاق بيدها بصورة طبيعية - مثل الرجل - لأقدمت على قصم عُرى الزوجية لأتفه الأسباب وأقل المنازعات التي لا تخلو منها الحياة الزوجية وتصبح الأسرة مهددة بالانهيار بين لحظة وأخرى.

لذا، لم يمنح الاسلام المرأة الحق في الطلاق - إلا في بعض الموارد الاستثنائية والتي وضّحها الفقه الاسلامي - ولكن أيضا من الناحية الأخرى لم يُقيّد يديها حيث تستطيع الاستفادة من الاستثناءات في الموارد التي حلّها وطريقها الوحيد هو الطلاق.

تستطيع المرأة الاستفادة من أنواع الطلاق التي جاءت في الاسلام مثل الطلاق المشروط في العقد، الطلاق القضائي و.... غيره، ثم تُخلص نفسها.

إن سربقية الاختلافات الأحكامية والحقوقية بين المرأة والرجل أيضا من هذا القبيل، وطبعاً شُرّعت لمصلحة المرأة ولحكمة الحياة الأسرية، وليست دليل على التحقير والظلم وحماية الظالم.

المهر ضمان وحماية اقتصادية واجتماعية للمرأة

من أحد الأمور التي هي مظهر للاختلافات بين المرأة والرجل هي مسألة المهر عند الزواج، والتي جُعلت للمرأة وليس للرجل، حيث المرأة طالبة للمهر والرجل مدين به.

في الاسلام يجب تعيين مهر عند الزواج سواء كان قليل أو كثير حيث يُحدد عى حسب الإتفاق بين المرأة وزوجها، روى أن أمير المؤمنينعليه السلام قال:

«إني لا أكره أن يكون المهر أقل من عشرة دراهم».[١٩]

قال الامام الصادقعليه السلام:

«السُّراق ثلاثة: مانع الزكاة ومستحلّ مهور النساء، وكذلك من استدان ولم ينو قضائه».[٢٠]

وحتّى عند إجراء العقد اذا لم يُعين المهر فالعقد صحيح، ولكن يجب على الزوج إعطاء زوجته المهر ولو بمقدار «مهر المثل» (المقدار العادي والذي يُعطى لأمثالها من النساء ومن طرازها)، وهو ديْنٌ على عاتقه.

سأل شخص الامام الصادقعليه السلام: أتزوج المرأة أيصلح لي أن أواقعها ولم أنفذها من مهرها شيئاً؟ قال الامامعليه السلام: «نعم إنما هو ديْن عليك».[٢١]

إن موضوع دفع المهر عند مطالبة الزوجة به مهم جداً في الاسلام حيث يقول رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم:

«إن الله يغفر كل ذنب يوم القيامة إلا مهر إمرأة، ولم اغتصب أجيراً أجره ومن باع حرّاً».[٢٢]

قال الامام الصادقعليه السلام:

«من أمهر مهرا ثم لا ينوي قضاءه كان بمنزلة السارق».[٢٣]

وقال أيضا:

«من تزوج المرأة ولا يجعل في نفسه أن يعطيها مهرها فهو زنا».[٢٤]

وهنا يُطرح سؤالان عن حقوق المرأة والرجل:

١- بالرغم من أن الزوج والزوجة متساويان في الاستفادة من حق الزواج إلا أنه يجب على الرجل المهر (حسب الاتفاق بين الطرفين) والمرأة مطالبة بالمهر وليست مدينة به، فلماذا؟

٢- أليس هذا الموضوع صدمة لشخصية المرأة؟ حيث يَتخذ الزواج شكل البيع والشراء وتكون المرأة كالسلعة (وفي النتيجة تحقير المرأة)؟

الاجابة على السؤال الأول:

إن الإسلام راعى طبيعة تكوين كل من الرجل والمرأة والفطرة القويمة التي تتفق مع سنة الكون العادلة ورسالة كل منهما في الحياة.

فالرجل بما حباه الله من قوة في الجسم وقدرة على الكسب ومهارة في معرفة دروب العيش كلّفه الله بالقيام بالكسب والنفقة والحماية والمهر.

أما المرأة فلضعفها في مجال الكسب والقوة الجسمية من خصائص الرجل، حيث تعاني من متاعب الحمل ورعاية الأطفال فإن استفادتها من اقتصاد المجتمع أقل من الرجل، هذا الضعف والنقص في الاستفادة يجب أن يُعوض من جهات أخرى.

فالمهر عطيّة وهديّة إلهية للمرأة والذي أقرّه الاسلام لحماية المرأة اقتصاديّاً حتى تعوّض قلة استفادتها الاقتصادية في المجتمع.

وبعبارة أخرى، لا تستطيع المرأة نوعاً ما العمل بأعمالٍ شاقة وصعبة مثل عمل العامل والفلاح والصانع و.... غيره حيث الابتكار في الأعمال بيد الرجل، وخاصة تضعف قوة المرأة أثناء الحمل، لذلك تحتاج إلى حماية اقتصادية، وقد جعل الله سبحانه وتعالى لها المهر كعطيّة إلهية لحمايتها اقتصاديّاً.

وقد سُئل الامام الرضا عليه السلام بهذا السؤال (لماذا يجب أن يدفع الرجل المهر؟)

فقال عليه السلام بعد البيان:

«مع أن النساء محظوراتٌ عن التعامل والمتجر وعللٌ كثيرةٌ».[٢٥]

الاجابة على السؤال الثاني:

يجب ألا نضع في عين الاعتبار الوضع الفعلي للمرأة فقط، وإنما يجب الأخذ بعين الاعتبار مستقبلها وذلك لحفظ حيثيتها ومكانتها الاجتماعية، حيث في حالات الشيخوخة أو الانفصال عن الزوج تتحمّل المرأة خسارةً أكثر من الرجل.

يستطيع الرجال بسبب وضعهم الفيزيائي الجسمي (وعدم الحمل ومتاعب الأطفال) تأمين اقتصادهم المستقبلي تماماً، ولكن المرأة لا تستطيع ذلك.

إن للأرامل إمكانياتٍ أكثر للزواج مرة أخرى ولكن للأرملات إمكانيات أقل للزواج مرة أخرى وخاصــة بعد انقضاء مرحلة الشـباب، لذلك يظل المهر كديْن على الرجـل، ويكون كذخيرة إقتصادية لتأمين حياة المرأة في المستقبل ولحفظ مكانتها الاجتماعية من خطر الانهيار.

فالمرأة ليسـت سـلعة أو متاع والمهر قيمتها بل إن المهر تعويض للخسـارة وحماية إقتصادية لإحترام حقوق المرأة.

نعم، إذا كان المهر ثقيل فإنهم جعلوا المرأة كالسـلعة والمتاع، وهنا يكمن الاشـكال، ولكن إذا كان المهـر معقـول وصحيح فليس هنـاك أي تحقير لمكانـة المرأة، بل المهـر لازم عند الزواج حتى تسـتطيع المـرأة بحمايتـه تلافي وتـدارك النقص في اقتصادهـا وحفظ حيثيتهـا ومكانتها الاجتماعيـة فلو أبيح أن يتزوج الرجل بدون مهر لكان في ذلك إبتذال للنسـاء وحـط لأقدارهن، فيراها الرجل بعين الاحتقار والمهانة، ولا يعز ذلك على الرجل لأنه ما فقد شيئاً ولا أنفق في سبيل الوصول إليها شيئاً، وهو المالك لأمر الافتراق فكان إيجاب المهر بمثابة إشـعار له بأن الزوجة شيء لا يسـهل الحصول عليه إلا بالبذل والإنفاق حتّى لا يفرّط فيه بعد الحصول عليه.

إن الإسلام ينادي بخفض المهر إلا أنه لا يقر بحذف المهر بصورة كلية لأنه لازم لحفظ شخصيتها، مـع التوجـه بأن المهر في الاسـلام ليس مـن أركان عقد الـزواج، ولا يجب اعتباره أصـل، بل جُعل في الحاشية لأن الركنين الأساسيين للزواج هما المرأة والرجل، فلذلك اذا لم يتعين المهر في صيغة العقد فإن العقد غير باطل، وفي هذه الحالة يجب على الزوج بعد المعاشرة تعيين مهر لزوجته كمهر النسـاء اللاتي من طرازها، لذلك الزواج ليس بيع وشراء.

المهر الثقيل لزوجة موسى عليه السلام، لماذا؟

جاء في قصة موسى عليه السلام وشعيب عليه السلام في القرآن الكريم: أنه عندما أراد موسى عليه السلام الخروج من مصر حفظاً لنفسه من خطر الفراعنة، وتحركه إلى مَدْيَن، رأى خارج المدينة رعاة للغنم عند البئر يسقون أغنامهم، فرأى عندهم بنتان متديّنتان تنتظران دورهما لسقي أغنامهما، فذهب عندهما وساعدهما في سقي أغنامهما.

هاتان البنتان كانتا ابنتا شعيب عليه السلام لأن شعيب لم يكن لديه ولد وكانت البنتان مسئولتان عن رعي أغنامه.

ثم عادتا البنتان إلى أبيهما، وحدّثتاه عن موسى عليه السلام وقصته معهما، فأرسل إحداهما خلفه ودعاه لبيته، قَبِل موسى عليه السلام الدعوة وجاء إلى بيت شعيب عليه السلام.

وتعرّف شعيب عليه السلام على الشخصية المعنوية لموسى عليه السلام وأحب أن يكون زوجٌ لإحدى ابنتيه، فقال موسى عليه السلام:

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدَنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (القصص – ٢٧)

فأجابه موسى عليه السلام بالقبول وأصبح زوج ابنته.

نستفيد من هذه الآية عدة مطالب وهي:

١- ان المهر كان موجوداً في القرون الماضية قبل الاسلام.

٢- كانت الخطبة من طرف البنت أيضاً كما أن شعيب عليه السلام من ناحية ابنته خطب موسى عليه السلام لذلك الخطبة من جهة البنت وأهلها ليست عيب.

٣- كان المهر عمل وليس مال.

٤- ليس واجب دفع المهر دفعة واحدة ولكن يكفي بأن يكون الرجل مسئول عن المهر برضا المرأة.

ولكن يُطرح هنا سؤالان:

١- لماذا جعل شعيبعليه السلام المهر ثقيلاً لابنته على عاتق موسىعليه السلام؟ وقد نقل القرآن هذه القصة حتى يأخذ المسلمين عبرة منها، وإذا لم تكن عبرة لم ينقلها القرآن أو ينقلها بعنوان إنتقاد...

٢- مع أن المهر مال البنت، إذن لماذا جُعل المهر ثماني سنوات خدمة للأب (شعيب) في القصة السابقة، هل أن البنت سلعة حتّى تُباع؟

الاجابة على السؤال الأول:

يجب التوجه إلى أن الزواج لم يكن زواجاً عادياً، بل كان مقدمة لأن يظل موسىعليه السلام عند شيخ مدْين شعيب، ويكسب العلوم والمعارف في ظل مذهب شعيب وعلى مدى سنواتٍ طوال ينال ويصل إلى مقام عالي وراقي من العلم والكمال.

صحيح أن موسىعليه السلام في هذه المدة الطويلة عمل لشعيبعليه السلام لكن شعيب أيضاً أمّن حياة موسىعليه السلام وزوجته وتحمّل عنه تكاليف معيشته، فإذا قلّلنا تكاليف معيشة موسىعليه السلام وزوجته من أجر عمله، نجد أنه يبقى مبلغٌ ضئيل وغير كثير ونتيجتاً لذلك نرى أن المهر كان خفيفاً وسهلاً على موسىعليه السلام، لذلك هذا المهر الثقيل كان مقدمة لتكامل موسىعليه السلام في مذهب شعيبعليه السلام وتأمين للحياة المادية والمعنوية لموسىعليه السلام.(٢٦)

وأما الإجابة على السؤال الثاني:

كان عقد شعيبعليه السلام بموسىعليه السلام بعنوان الوساطة والوكالة من طرف ابنته، وتم برضايتها، مع التوجه بأن (كما قلنا) أجر عمل موسىعليه السلام كان يُصرف على مؤونة وحياة موسىعليه السلام وزوجته.

نماذج من حقوق المرأة في الإسلام

ملاحظة:

ظهر دين الاسلام في العصر والمحيط الذي كانت المرأة تواجه أنواع التحقير والظلم ولم يكن لها أية علاقة بالأمور السياسية والأصول الاجتماعية والحقوقية بل حتّى الحيوانات كانت لا تُعامل كما تُعامل النساء.

كانت المرأة أقل من الرجل في شئون الحياة وظهرت مسافة كبيرة بين المرأة والرجل.

كانت تُعامل معاملة الانسان الذي لا شخصية له ولا إعتبار ولم يكن لها كيان مستقل، ولم تكن للمرأة الارادة والاختيار لدرجة أن الرجل يُأجّرها للآخرين للحصول على رزق وذلك بسبب الحرمان من التمدّن والإبتلاء بالفقر، فابتلت المرأة بتصرفات عجيبة وخشنة حيث ارتكب في حقّها الجناية المعروفة «الوأد» والتي شرحناها من قبل.

ومع ظهور الاسلام، ظهرت أرقى القوانين المناسبة لتكوين المرأة كإنسان كامل - وليس ناقص - لنجاتها من الظلم والقهر، وهنا للمزيد من الايضاح ولمعرفة جزء من حقوق المرأة نلفت انتباهكم إلى النماذج التالية...

١- المساواة في أجر أعمال المرأة والرجل

طبقاً لروايات أهل السنة: أن أم سلمة - زوجة الرسولﷺ - قالت لرسول اللهﷺ:

«يا رسول الله! لا أسْمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيءٍ».

فنزلت الآية ١٩٥ من سورة آل عمران:

﴿فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ

هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾[٢٧]

شرح قصير:

في هـذه الآيـة عرّف القرآن المرأة والرجل بأنهما إنسانان وموجودان من نـوع واحد وبيّن أن ثواب أعمالهما الحسنة محفوظٌ عند الله من قبيل الهجرة، الأذى في سبيل الله للحصول على أهداف الاسلام، قتال الأعداء والقتل في سبيل الله و.... وغيرها.

وقـد جـاءت آيات كثيرة ومتعدّدة في القرآن تبيهن مساواة الرجل والمرأة في ثواب الأعمال عند الله مثل الآية ٢٤ من سورة النساء، الآية ٩٧ من سورة النحل، الآية ٤٠ من سورة الغافر والآية ١٣ من سورة الحجرات.

إن هذا الموضوع يدلّ على أن الرجل والمرأة سواء في ميزان ثواب أعمالهما وليس لأي منهما فضل أو ميزة على الآخر.

وطبقـاً لروايـات الشـيعة، بعد مضي أيام على هجرة الرسـولﷺ من مكة إلى المدينـة، هاجر الامام عـليّعليه السلام مع الفواطم (السـيدة فاطمة الزهراءعليها السلام وفاطمة بنت أسـد وفاطمة بنـت الزبير) من مكة إلى المدينـة، وانضـم إليهم في «ضجنـان» أم أيمن مع عدد آخر مـن المهاجرين، وتوجّهـوا إلى المدينة حتى التحقوا بالرسـولﷺ، فنزلت الآية السـابقة (١٩٥ - آل عمران) وبيّن أن ثواب الأعمال الحسنة سواء للمرأة والرجل عند الله سبحانه وتعالى.[٢٨]

ورُوي أيضـاً أن أسـماء بنـت عُميـس زوجة جعفـر الطيّار بعد مُضي خمسـة عشر سـنة لهجرتها إلى الحبشة، عادت إلى المدينة في سنة ٧ هجرية، وعند اجتماع النساء عندها للسؤال عنها سألت: هل نزلت شيئاً في النساء؟

قالت النساء: لا.

فذهبت أسماء إلى الرسولﷺ وقالت: لقد تضرّرت النساء.

قال رسول اللهﷺ: لماذا؟

قالت أسماء: لأنهن لم يذكرن بالخير والسعادة كالرجال.

فنزلت الآية (٣٥) من سورة الأحزاب والتي تقول:

﴿إنَّ المسـلمين والمسـلمات، والمؤمنين والمؤمنـات، والقانتين والقانتات، والصّادقـين والصّادقات، والصّابرين والصّابرات، والخاشعين والخاشـعات والمتصدّقين والمتصدّقات، والصّائمين والصّائمات،

والحافظين فروجَهم والحافظات والذّاكرين الله كثيراً والذّاكرات أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغفرةً وَأَجْراً عظيماً﴾[٢٩]

وبنزول هذه الآية تم التوضيح للجميع بأن النساء كالرجال في ثواب وأجر كل القيم الانسانية، وكلاهما يستطيع بالاتكاء الفكري والعمل على هذه القيم الوصول إلى التكامل والهدف العالي والسّامي والرّاقي للتكوين والخلق.

في الروايات الاسلامية أيضا وبتعبيرات مختلفة تم التصريح بأن المرأة كالرجل في الأجر والجزاء وكمثال نطرح هذه الرواية:

في عصر الرسول ﷺ، كانت هناك إمرأة تحترم زوجها كثيرا، وحتّى في أصعب الظروف لم تكن تخرج من المنزل بدون إذنه، فقال لها الرسول ﷺ:

«إن الله قد غفر لك ولأبيك بطاعتك لزوجك».[٣٠]

٢- مشاركة النساء في البيعة والأمور السياسية

على خلاف قول المغرضين الذين يقولون: «أن الاسلام لم يجعل قيمة لنصف المجتمع الانساني (ويعني النساء) ولم يحسب لهم حساب» فالاسلام أخذ المرأة بعين الاعتبار في أهم المسائل الاجتماعية والسياسية.

من أحد المسائل الاجتماعية والسياسية المهمة هي مسألة البيعة، جاءت كلمة البيعة من مادة «بيع» وتعني المبايعة والمصافحة عند عقد معاملةٍ ما، ثم المصافحة للإطاعة وهي إذا أراد شخص ما أن يعلن وفاءه للآخر ويُعرّفه بصورة رسمية ويطيع أوامره يقوم بالبيعة معه.

إن البيعة هي معاهدة بين شخصين ومحتواها هي الطاعة والحماية والدفاع عن الشخص الذي تمت مبايعته، ولها درجاتٍ مختلفة بناءاً على الشروط التي ذكرت فيها. وفي عصر الرسول ﷺ قامت النساء بالبيعة عدة مرات وهنا نذكر عدة نماذج منها...

الف: بيعة النساء بعد فتح مكة

بعدما فتح مكة المسلمون وبقيادة الرسول ﷺ في السنة السابعة لهجرة نزلت الآية (١٢) من سورة الممتحنة في يوم فتح مكة حيث تقول:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا جَاءَكَ الْمُؤْمِناتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ باللهِ شَيْئاً وَلا يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

وفي ذلك اليوم صعد الرسولﷺ على جبل الصفا وبايع الرجال، وأيضا بايع نساء مكّة اللاتي آمنت برسول اللهﷺ.

وجاءت النساء إلى النّبيﷺ للبيعة معه ونزلت الآية السابقة وتم شرح الشروط الخاصة لبيعة النساء مع الرسولﷺ،

كانت هذه أول بيعةٍ يقوم بها الرسولﷺ مع النساء بصورة رسمية لأداء الوظائف التالية - والتي استفدناها من الآية السابقة -:

١) ألا يشركن بالله شيئاً.

٢) ألا يسرقن.

٣) ألا يزنين.

٤) ألا يقتلن أولادهن.

٥) ألا يأتين ببهتانٍ يفترينه ولا ينسبن أولاد الآخرين لأزواجهن.

٦) ألا يعصين الرسولﷺ في معروفٍ.

طريقة بيعة النساء بالرسولﷺ:

أمر الرسولﷺ بإناء مملوءٍ بالماء، ثم وضع يده في الماء ثم أخرجها من الإناء، ثم أمر النساء بإدخال أيديهن في الماء وعملت النساء بذلك.[(٣١)]

وبهذا الترتيب، قامت النساء مع الرجال بالبيعة ودخلوا في هذه البيعة الإلهية وحتّى كانت للنساء شروط أكثر من الرجال، الشروط التي تحيي هوية المرأة الانسانية وتنجّيها من إبدالها إلى متاع وسلعة رخيصة أو وسيلة لإمتاع الرجل.

نقل في التاريخ والأحاديث قصة بيعة هند بنت عتبة (زوجة أبو سفيان) بالرسولﷺ، بأن آخر قول للرسولﷺ معها كان التالي:

«يجب عليك الطاعة في كل معروف»، فقالت هند: «ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا نعصيك في شيءٍ يعصينك في معروف».[(٣٢)]

يقول الشيخ المفيد (ره) في كتاب الارشاد:

«حدثت قصة غدير خم عند الظهر وبعد هذه الحادثة، قام المؤذن فأذّن بالناس، وصلّى الرسولﷺ مع المسلمين جماعة ثم جلس في خيمته وأمر علياً أن يجلس في خيمةٍ له بإزائه، ثم أمر المسلمين أن يدخلوا عليه فوجاً فوجاً، فيهنئوه بالمقام، ويسلّموا عليه بإمرة المؤمنين، ففعل الناس ذلك كلّهم».

ثم قال عن بيعة النساء (زوجات النبي وغيرهن):

مشاركة النساء في المباهلة

من الحوادث المهمة في الاسلام والتي حدثت في السنة العاشرة للهجرة هي حادثة المباهلة والتي خلاصتها هي ما يلي:

أن جماعة من المسيحيين من مدينة النجران والتي قاطنيها من المسيحيين، جاءوا بمراسيم وتشريفات إلى المدينة للمناقشة مع الرسول ﷺ في بعض الأمور، فلم يقتنع المسيحيين في مناقشتهم مع الرسول ﷺ فنزلت آية المباهلة (آل عمران - ٦١) على رسول الله بأن يقوم بالمباهلة معهم، بمعنى أنهم يذهبون إلى الصحراء ويقومون بالتضرع والدعاء ويطلبون من الله بأن يلعن الكاذبين ويبعث بعذابه عليهم، فقبل المسيحيين بدعوة المباهلة.

والآية هي:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾

وبناءاً على هذه الآية، أخذ الرسول ﷺ معه الامام علي عليه السلام وفاطمة (س) والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام وذهبوا إلى الصحراء للمباهلة.

فقال المسيحيّون لبعضهم البعض أنه إذا كان الرسول ﷺ قد قدم بجيشٍ معه دلالةً على القدرة المادية إلى ميدان المباهلة، فنعرف بأن الرسول ﷺ غير صادق في إدّعاءاته، وإذا جاء بأولاده وأطفاله بعيداً عن المادّيات فنعرف بأن ادّعاءاته صادقة، لأن الانسان لا يعرّض فلذات كبده للعذاب وخطر القضاء، وبينما هم كذلك رأووا الوجه المنير للرسول ﷺ مع علي عليه السلام وفاطمة (س) والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام، فتعجّبوا وأدركوا بأن الرسول ﷺ صادق في دعوته وثابت وراسخ ومحكم في تلك الدعوة، فقال أسقف نجران:

«يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصرانيٌّ إلى يوم القيامة».

فانصرفوا عن المباهلة وأنهوا المسألة بالصلح.[٣٥]

النتيجة والخلاصة

نستفيد من آية المباهلة وقصتها ما يرتبط ببحثنا مطلبين وهما:

١ - أن الرسول ﷺ في هذه الحادثة المهمة الاجتماعية والعالمية الاسلامية بأمر من الله أشرك النساء

بها، وجاء بفاطمة الزهراء (س) إلى الصحراء، في حين بينما كان جمعٌ كثير من النصارى والمهاجرين مجتمعين في الصحراء كأحد المراسم المذهبية والسياسية العظيمة، حتّى يشاهدوا مصير ونهاية المباهلة.

٢- يستفاد من آية المباهلة أن الله سبحانه وتعالى لقّب بأبناء البنات بـ«إبن»، على خلاف عُرف الجاهلية والتي كانت تُسمّى وتُلقب هذا اللقب فقط على أولاد الأبناء حيث قالوا:

بنونا بنوا أبنائنا وبناتنا
بنوهُنّ أبناء الرّجال الأباعد

كان أسلوبهم في التفكير هذا هو عين الغلو الجاهلي، حيث لم تكن النساء والبنات في نظرهم من الأعضاء الأصلية للمجتمع الانساني وأنهن مجرّد أوعية ومستودعات لأبنائهم كما قال الشاعر:

وإنّما أمّهاتُ النّاس أوعيةٌ
مُستودعات وللإنسان آباءُ

حارب الاسلام هذه الفكرة وهذا الاعتقاد، وأجرى أحكام الأبناء على الأبناء الذكور والإناث.

وكما نستفيد أيضا من الآية (٨٥) في سورة الأنعام هذا المطلب والتي هي بخصوص عيسى عليه السلام والذي عُرّف بأنه من أبناء إبراهيم عليه السلام، بالرغم من أنه لم يكن لمريم عليها السلام زوج وكانت حفيدة إبراهيم عليه السلام من جهة البنت.

وأيضا تم التأكيد في روايات كثيرة على أن الحسن والحسين عليهما السلام هما أبناء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

النتيجة

لقد اهتم الاسلام بحقوق النساء إلى حدّ أنه جعل أجر وثواب أعمالها الحسنة وثواب الأعمال الحسنة للرجال سواء، وأشركها في أمور مهمة في الاسلام كالبيعة والمؤتمرات العظيمة كالمباهلة، وبهذا الترتيب عرّف المرأة بالانسان الكامل ودافع عن حقوقها الانسانية عمليّاً وحماها.

حماية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام الحقوقية للمرأة

خطب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع (آخر حجّة في السنة العاشرة للهجرة حيث شارك أكثر المسلمين بها) في مكة بين اجتماع فريد من نوعه من الناس وجاء في مقاطع من خطابه للناس التالي:

«أيها الناس فإنّ لكم على نسائكم حقّاً، ولهنّ عليكم حقّاً... واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهنّ عندكم عَوانٍ لا يملكن لأنفسهنّ شيئاً، وإنّكم إنّما أخذتُموهُنّ بأمانة الله، واستللتم فروجهن بكلمات

الله، فاعقلوا أيُّها النّاس قولي». [٣٦]

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصية للإمام الحسن عليه السلام:

«ولا تُملِّك المرأةَ من أمرها ما جاوز نفسها، فإن المرأةَ ريحانةٌ وليست بقهرمانةٍ، ولا تَعْدُ بكرامتها نفسَها ولا تُطعمها في أن تَشْفَعَ بغيرها، وإيّاك والتّعايُر في غير موضع غيرةٍ، فإن ذلك يدعو الصّحيحة السَّقَمِ، والبريئةَ إلى الرّيب». [٣٧]

نظرة إلى الوظائف والحقوق المتقابلة بين الزوج والزوجة

إن الحقوق والوظائف المتقابلة بين الزوج والزوجة مختلفة، قسمٌ منها واجبة ودستورية وقسمٌ منها مستحبة وأخلاقية، وقسمٌ آخر تعتمد على الاتفاق والعقد بين الزوجين و... وغيرها.

وهنا سنتطرق بصورة مختصرة إلى العناوين الكلية لوظائف وحقوق الأزواج في الموارد التالية:

١- الاحترام والمحبة لبعضهما البعض

إن الأساس لتقوية رابطة الأسرة واستمرارها هي محبة واحترام الزوج والزوجة لبعضهما البعض، المحبّة والاحترام التي تدفئ جو الأسرة وتمنع التفكك والانفصال، فإذا الزوج يحقّر الزوجة بدلاً من منحها المحبة والود، فلا يتوقّع منها أن تمنحه الصفاء والمحبة، وأيضا إذا الزوجة لم تطيع الزوج في الأمور الواجبة وتواجهه بقلة المحبة، فلا تتوقع بأن تدخل في قلبه بل ستوجب بأن يميل إلى الأخريات.

إذن، يجب أن تكون المحبة من الطرفين، ولكن لوجود العواطف الجيّاشة في المرأة وحاجتها الروحية، تقتضي بأن يمنحها الزوج محبة واحترام أكثر.

وقد جاءت في الأخبار: أن امرأتاً أعلنت في المحكمة بأنها مستعدة بالإضافة إلى العفو عن مهرها، تدفع عشرة آلاف تومان لزوجها حتّى يطلّقها بالرغم من أنه قد مضى على زواجهما أربعة أشهرٍ فقط، وعندما سألوها عن السبب، قالت: «لأن زوجي يحب بغبغاءاته أكثر من حبه لي، وقد نفد صبري ولا أستطيع العيش معه».(٣٨)

قال الامام الصادقعليه السلام: «من يحبنا أكثر هو الذي يحب زوجته أكثر».[٤٠]
وقال أيضا: قال والدي (الامام الباقرعليه السلام): «من اتخذ امرأتاً فليكرمها».[٤١]
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أحد أحاديثه:
«من استخف بأهله خسر طيب عيشه».[٤٢]
هـذا يستحق التذكـير بأنـه إذا لم يكن هنـاك محبّـة قلبية بـين الزوجين، فإنهـما إذا تظاهـرا بالمحبة، فإنها ستكون مفيدة، وأحيانا هذا التظاهر يكون سبب لمقدّمة المحبة القلبية، على هذا الأساس، قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «قول الرجل للمرأة: أحبك، لا يذهب من قلبها أبداً».[٤٣]
وأيضـا يجـب التذكر بأنه لابـد من إظهار آثار المحبـة وإعلانها، والامتناع عن أسباب قطع جذور المحبـة، مثـلاً مدح وتشـجيع الزوجة في حـدود الاعتدال بحضورهـا وفي غيابها توجـب زيادة المحبة وتقويتهـا ولكـن ذمّهـا قطعاً سـيكون لـه تأثير سـلبي عـلى الزوجة ويـؤدي إلى ضعف المحبـة وقطع جذورها.
من أحد الأمور التي تسبب قطع جذور المحبة والوصال هي عدم الشكر وعدم القناعة من جانب النساء، البعض منهن يسبب التجمّلات والظـواهـر وبالرغم من توفّر كل احتياجاتها إلا أنها لا تقتنع وتريـد المزيد وبدلاً عن شـكر الـزوج والرضا تقوم بانتقـاده وتعييبـه، بالتأكيد مثل هـذه النوعية من النسـاء غير مرغوبة في الاسـلام والنساء الشـاكرات والقانعات هنّ أفضل النسـاء، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:
«خير نسائكم التي إن أُعطيت، شكرت وإن مُنعت رضيت».[٤٤]
قال الامام الصادقعليه السلام:
«التي تقول لزوجها: لم أر منك خيراً قط، حبطت جميع أعمالها».[٤٥]
وقال أيضا: أن قوماً أتوا الرسـول صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: يا رسـول الله إنا رأينا أناسـاً يسـجد بعضهم لبعض. (فكيف ذلك)
نهى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن هذا العمل وقال:
«لو أمرت أحداً أن يسجد لأحدٍ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها».[٤٦]
شكا إبراهيمعليه السلام إلى الله عزّ وجلّ مما يلقى من سوء خلق سارة، فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه: «إنما المرأة مثل الضلع المعوج إن أقمته كسرته وإن تركته استمتعت به، اصبر عليها».[٤٧]

٢- حقوق الرجل على المرأة

جاءت إمرأة مسلمة إلى النبيﷺ وقالت: يا رسول الله، ما حق الزوج على المرأة؟

قال الرسولﷺ: «أكثر من ذلك». (أي حقوقهم أكثر من أن تُذكر)

فقالت: فخبّرني عن شيء منه.

قال الرسولﷺ: «ليس لها أن تصوم تطوّعاً إلا بإذنه، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، وعليها أن تطيب بأطيب طيبها وتلبس أحسن ثيابها وتزيّن بأحسن زينتها وتعرض نفسها عليه غدوة وعشيّة وأكثر من ذلك حقوقه عليها».[٤٨]

قال الامام الباقرؑ: جاءت امرأة إلى النبيﷺ فقالت: يا رسول الله، ما حق الزوج على المرأة؟

فقال لها: «أن تطيعه ولا تعصيه ولا تصدّق من بيته إلا بإذنه ولا تصوم تطوّعاً إلا بإذنه، ولا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب (ما يوضع على سنام البعير ويركب عليه) ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، وإن خرجت من بيتها بغير إذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض وملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتى ترجع إلى بيتها».

فقالت: يا رسول الله من أعظم الناس حقّاً على الرجل؟ قال: والده.

فقالت: يا رسول الله من أعظم الناس حقاً على المرأة؟ قال: زوجها.

قالت: فما لي عليه من الحق مثل ما له عليّ؟

قال: «لا ولا من كلّ مائة واحدة...»[٤٩]

٣- الحق الأصلي والمهم للمرأة

طبيعة تكوين وفطرة المرأة تتطلب قبل كل شيء أن تتفكر في ثلاثة أعمال وتستعد جدّياً لها وهم:

١) رعاية الزوج.

٢) الأمومة وتربية الأطفال.

٣) رعاية البيت.

وقد خلقت فطرة المرأة وتكوينها على هذا الأساس، وبكل أسف تركت دنيا الغرب وأذنابها الأصل وتمسّكت بالفرع.

يجب أن تدرك المرأة قبل شيء أنها ربة بيت، وإدارة المنزل من مسئوليّاتها بناءاً على فطرتها، وتحمّلها لهذه الأعمال الثلاثة ليست تحقير وإهانة للمرأة بل دلالة على أنها لائقة لتحمّل الأعمال الكبيرة والقيّمة جداً، وأي عملٍ أفضل من إدخالها الصفاء والهدوء والدفء والمحبة في جو العائلة وتربية أناسٍ رفيع القدر ذو شأنٍ عالي، وتكون أساس الهدوء والراحة والسكن لزوجها.

راحة البال وراحة المعيشة ليست بالمال والحصول على المنزل الجليل والسيارة والرئاسة والقدرة، إذا كان البيت قصراً ولم تكن صاحبة القصر ربة بيت فإن ذلك القصر كالمقبرة لزوجها.

إذا أمر الزوج زوجته ولم تطيعه ولم تعرف شيئاً عن أمور منزلها فقد أضحى البيت خراباً ووبالاً، عندما يكون الزوج والزوجة سكناً لبعضهما البعض يكون البيت عامراً وما يأتي السكن والهدوء إلا بعد معرفة عوامله ثم إجرائها.

يجب أن تتحد قوى المجتمع لتفكّر فيحياة بناتها كما تفكّر في دراستهن وحصولهن على الشهادة العلمية، فالبناء الأصلي لحياة النساء يقوم على ثلاثة أسس: رعاية الزوج، تدبير المنزل، الأمومة، بشرط أن تكون هذه الأسس تحت إشراف التعاليم الاسلامية القيّمة.

وقد جاء في القرآن عن رعاية الزوج التالي:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكِنُوا إِلَيْهَا﴾ (الروم - ٢١)

هذه الآية تقول بكل صراحة: أن حياة المرأة والرجل بُنيت على هذا الأساس حيث كل منهما أساس لسكن الآخر.

يجب أن يراعي الزوج زوجته والزوجة زوجها، وعندما تُرهق أعصابهما من متاعب الحياة ومشقتها، يسكُن كلاهما الآخر وبهذه الخصلة ترتاح أعصاب كليهما. لذلك، يجب على المرأة استناداً للآية السابقة أن تكون ماهرة في التدبير حتّى توفّر الراحة والهدوء للزوج.

وهذه من علائم وبركات الله سبحانه وتعالى حيث غرز مثل هذه الاستعدادات في كل من الرجل والمرأة حتّى يُؤانسا بعضهما البعض.

وعن رعاية الأطفال والبيت قال رسول الله ﷺ: «كل امرأةٍ تقوم بنقل شيئاً من مكان إلى مكان آخر في بيت زوجها قاصدة الخدمة، ينظر الله إليها بالرحمة، وكل من تحت رحمة الله سبحانه وتعالى، فهو ي أمانٍ من عذاب الله».

سألت أم سلمة: «يا رسول الله، إن الرجال (بتأديتهم للجهاد والأعمال الاجتماعية) استحقّوا أجورهم وحصلوا على مراتب ومقاماتٍ عالية، فماذا يوجد للنساء؟

قال رسول الله ﷺ: «عندما تحمل المرأة تكون كالصائم نهاره والقائم ليله والمجاهد في سبيل الله بروحه وماله، وعندما تلد، فإن لها أجر واسع ولا يمكن إدراك عظمته، وعندما ترضع طفلها، فكل رضعة يعتق رقبة من أولاد إسماعيل، وعندما تفرغ من إرضاع طفلها، يدنو منها ملاك ويقول لها: قد غفر الله لك، والآن ابدئي بأعمالك (كأنك في بداية التكليف)».(٥٠)

٤- حقوق المرأة على الزوج

قال رسول الله ﷺ: «أوصاني جبرئيل بالمرأة حتّى ظننت أنه لا ينبغي طلاقها إلا من فاحشةٍ مبينّةٍ». (٥١)

جاءت امرأة إلى النبي ﷺ وقالت: ما حق المرأة على زوجها؟

قال رسول الله ﷺ: «يشبعها ويكسوها وإن جهلت غفر لها».

سأل شخص الامام الصادق عليه السلام: ما حق المرأة على زوجها؟

قال: «يشبعها ويكسوها ولا يقبح لها وجهاً». (٥٢)

قال الامام السجاد عليه السلام في حديثه عن حقوق الأفراد بعضهم لبعض:

«أما حق الزوجة، فأن تعلم أن الله جعلها سكناً ومُستراحاً وأنساً وواقية وتعلم أنها نعمةٌ إلهية لك، فأكرمها وإرفق بها وأنها مُقيّدة بك، فأعطف عليها ووفّر لها الطعام والملبس، وإن جهلت فاغفر لها». (٥٣)

قال الإمام الصادق عليه السلام: «كل من يحسن إلى زوجته وعياله يطوّل الله في عمره».

قال رسول الله ﷺ: «الرجل الذي يضع لقمة طعام في فم زوجته: له الأجر والثواب عند الله». (٥٤)

قال وأيضا: «جلوس المرء عند عياله أحبُّ إلى الله تعالى من اعتكافٍ في مسجدي هذا». (٥٥)

نهاية الفصل الثاني

هوامش

(١) بخصوص ذلك راجعوا كتاب الحقوق الأساسية للدكتور قاسم زاده، وكتاب الحقوق المدنية للدكتور إمامي، ج٤، ص٦٥.

(٢) الميزان، ج٢، ص٢٨٤.

(٣) نظام حقوق المرأة في الاسلام، ص١٤٤-١٤٥.

(٤) النساء - ٣٤.

(٥) أصول الكافي، ج٢، ص١٥٩-١٦٠.

(٦) أعلام الورى للعلامة الطّبرسي، ص٣٥.

(٧) وسائل الشيعة، ج١٥، ص٢٢.

(٨) فروع الكافي، ج٥، ص٥٠٧ - نهج البلاغة، الحكمة ١٣٦.

(٩) أعلام النساء، ج١، ص٦٧ - أسد الغابة، ج٥، ص٣٩٨.

(١٠) نظام حقوق المرأة في الاسلام، ص٢٠١ و٢٠٢.

(١١) نظام حقوق المرأة في الاسلام، ص٢٠٨ و٢٠٩.

(١٢) نظام حقوق المرأة في الاسلام، ص٢٠٨ و٢٠٩.

(١٣) تمدن الاسلام والعرب، ترجمة سيد هاشم الحسيني، ص ٥٠٩.

(١٤) الفسيولوجيا هو علم وظائف وتكاليف أعضاء وتشكيلات الجسم.

(١٥) لمزيد من الاطلاع يرجى مراجعة الكتب الفسيولوجية.

(١٦) الانسان موجودٌ مجهول، ص ٨٦ و٨٧.

(١٧) صحيفة كيهان، بتاريخ يوم السبت ٣ مهر، العدد ٥١٧١.

(١٨) وسائل الشيعة. ج١٥، ص٢٦٧.

(١٩) البحار، ج١٠٣، ص٣٤٧.

(٢٠) البحار، ج١٠٣، ص٣٤٩.

(٢١) فروع الكافي، ج٥، ص٤١٤.

(٢٢) وسائل الشيعة، ج١٥، ص٢٢.

(٢٣) فروع الكافي، ج٥، ص٣٨٥.

(٢٤) فروع الكافي، ج٥، ص٣٨٥.

(٢٥) عيون أخبار الرضا، ج٢، ص ٩٤و٩٥.

(٢٦) إن قول شعيب‬ؑ لموسىؑ: ﴿وما أريد أن أشق عليك...﴾ بيان لهذا المطلب بأن الهدف لم يكن مشقة موسى وإنما كان الهدف صلاح وكمال موسىؑ.

(٢٧) تفسير الميزان، ج٤، ص٩٥.
(٢٨) تفسير الميزان، ج٤، ص٩٥ و٩٦.
(٢٩) تفسير الميزان، ج١٦، ص٣٣٦ - مجمع البيان، ذيل الآية ٣٥ من سورة الأحزاب.
(٣٠) فروع الكافي، ج٥، ص٥١٣.
(٣١) تفسير نور الثّقلين، ج٥، ص٣٠٧ و٣٠٨ - وسائل الشيعة، ص١٥١ و١٥٢.
(٣٢) مجمع البيان، ج٩، ص ٢٧٦ - تفسير القرطبي والدّر المنثور، ذيل الآية ١٢ سورة الممتحنة.
(٣٣) الغدير، ج١، ص٢٧١.
(٣٤) إرشاد الشيخ المفيد (قصة غدير خم) ص ١٦٦ - البحار، ج٢١، ص٣٨٨.
(٣٥) قصة حديث المباهلة مُتفق عليها بإجماع من المحدّثين الشيعة والسنة (إقاق الحقوق، ج٣، ص٤٧ و٤٨).
(٣٦) سيرة ابن هشام، ج٤، ص٢٥١.
(٣٧) نهج البلاغة، كتاب ٣١.
(٣٨) صحيفة الاطلاعات بتاريخ ٦/ ١١/ ١٣٥٠ شمسية.
(٣٩) البحار، ج١٠٣، ص٢٢٨.
(٤٠) البحار، ج١٠٣، ص٢٢٧.
(٤١) قرب الاسناد، ص٣٤.
(٤٢) المواعظ العدديّة، ص١٥١.
(٤٣) الشافي، ج٢، ص١٣٨ - الوسائل، ج٤، ص١٠.
(٤٤) البحار، ج١٠٣، ص٢٣٩.
(٤٥) وسائل الشيعة، ج١٤، ص١١٥.
(٤٦) وسائل الشيعة، ج١٤، ص١١٥.
(٤٧) فروع الكافي، ج٥، ص٥١٣.
(٤٨) وسائل الشيعة، ج١٤، ص١١٢.
(٤٩) فروع الكافي، ج٥، ص٥٠٧ - وسائل الشيعة، ج١٤، ص١١٢.
(٥٠) وسائل الشيعة، ج١٥، ص١٧٥.
(٥١) فروع الكافي، ج٥، ص٥١٢.
(٥٢) فروع الكافي، ج٥، ص٥١١.
(٥٣) البحار، ج٧٤، ص٥.
(٥٤) المحجّة البيضاء، ج٣، ص٧٠.
(٥٥) ميزان الحكمة، ج٤، ص٢٧٨.

الفصل الثالث

بحث وتحقيق في مسائل الخطبة، الزواج، تعدد الزوجات، الأمومة، قانون الحجاب، الميراث والطلاق

ملاحظة

مـن أحـدث البحوث الحقوقيـة في حقوق المرأة هي حق الـزواج والخطبة، وتُطرح في هذه المسـألة الزواج المؤقت وتعدّد الزوجات وأمور أخرى.

إن المغرضـين في هـذا المجـال بعنوان الحماية عـن حقوق المـرأة، يعتبرون الخطبة مـن ناحية الرجل وليـس المـرأة، والـزواج المؤقت وتعدد الزوجات وأمـور أخرى من هذا القبيـل، ضياع وهدر لحقوق المرأة، لأنهم جعلوا المحور في كل ذلك «المساواة في حقوق المرأة والرجل».

وبناءاً على هذا، كل أمرٍ يكون بعيد عن هذا الأساس يعرّفونه بالضائع لحقوق المرأة، غافلين عن أن بعض الاختلافات إجمالاً ينفع المرأة وحيثيّتها، ليس فقط انها لم تتعدّى حقوقها بل راعتها على أسـاس تكوين وجودها وفطرتها بصورة دقيقة.

وللتوضيح نلفت نظركم الى البحوث التالية....

ألف: مسألة اختيار الزوجة والخطبة

هنا يُطرح هذا السؤال بأن: من الذي يخطب؟ وإجابة هذا السؤال مرتبطة بمن يختار الزوج (رجل أو امرأة)؟

هل حق اختيار شريك الحياة بيد المرأة أم الرجل، أم الوالد أم الوالدة أم كلهم؟

إن الركنان الأساسيان والأصليان للزواج هما الزوج والزوجة، لأن كليهما يريدان أن يكونا شريكان في الحياة إلى نهاية العمر، ويحافظان على دفء العائلة كروحٍ واحدة في جسمين، لذا اختيار شريك الحياة من حق المرأة والرجل كلاهما، ورضايتهما وتوافقهما هو الأساس الأول للزواج.

ولكن إذا كانت الزوجة بكراً ولم تتزوج من قبل، فبالاضافة إلى رضا البنت فإن رضا الوالد أو الجد من جهة الأب شرطٌ أساسي للزواج (إلا في الحالة التي ليس لها أب أو جد أو لا تستطيع الوصول اليهما والمتقدم للخطبة مناسب وترى أن الزواج لازم وضروري)، لأن البكر في مستوى لا تستطيع اختيار الزوج إلا بمساعدة فكرية، ورضاها الوحيدلا يكفي لهذا الموضوع المهم والحسّاس ورضا الوالد وتوافقه حماية جيدة لها.[١]

ولكن بالنسبة الى الرجل فرضاه يكفي للزواج.

وهنا نعطف أنظاركم الى الروايات التالية:

١) يقول ابن أبي يعفور: قلت للامام الصادقعليه السلام: إني أريد أن أتزوج امرأة وإن أبويّ أرادا غيرها.

قالعليه السلام: «تزوج التي هويت ودع التي يهوى أبواك».[٢]

٢) سأل أحد الشيعة الامام الجوادعليه السلام وقال: ما تقول في صبية زوّجها عمّها فلمّا كبرت أبت التزويج؟

قال الامام الجوادعليه السلام: «لا تكره على ذلك والأمر أمرها».[٣]

٣) قال الامام الصادقعليه السلام عن الأب الذي اختار زوجةً لوالده:

«ذاك الى ابنه».[٤]

ولكن يجب التوجه الى أن صحيح أن الركنين الأصليين للزواج هما المرأة والرجل إلا أن غالباً وقطعاً أخذ موافقة الأب والأم والأفراد المهمة في العائلة وكبارها سيكون باب خير وفرج وبركة على الزواج، وخاصةً في بعض الشروط الاستثنائية السياسية والاجتماعية، ثم التأكيد كثيراً على موافقة كبار العائلة.

وبخصوص هذا الموضوع نلفت انتباهكم كمثال إلى القصة الآتية:

اعتراض الامام الحسينعليه السلام على زواج أم كلثوم من يزيد

كتب معاوية الى مروان عامله على الحجاز يأمره أن يخطب أم كلثوم بنت زينبعليها السلام وعبدالله بن جعفر لابنه فأتى عبدالله بن جعفر وأخبره بذلك فقال عبدالله:

«إن أمرها ليس إلي إنما هو الى سيدنا الحسينعليه السلام وهو خالها».

فأخبر الحسينعليه السلام بذلك فقال: «أستخير الله تعالى، اللهم وفّق لهذه الجارية رضاك من آل محمد».

فلما اجتمع الناس في مسجد رسول اللهصلى الله عليه وآله أقبل مروان حتى جلس الى الحسينعليه السلام فتكلم مروان وحمد الله وأثنى عليه وقال: «إن أمير المؤمنين أمرني بذلك وان أجعل مهرها حكم أبيها بالغا ما بلغ مع صلح ما بين هذين الحيين مع قضاء دينه واعلم أن من يغبطكم بكم والعجب كيف يستمهر يزيد وهو كفؤ له وبوجهه يستسقي الغمام فرد خيراً يا أبا عبدالله».

فقال الحسينعليه السلام: «الحمد لله الذي اختارنا لنفسه وارتضانا لدينه واصطفانا على خلقه....» الى آخر كلامه.

ثم قال: «يا مروان قد قلت فسمعنا، أما قولك مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ فلعمري أو أردنا ذلك ما عدونا سنة رسول اللهصلى الله عليه وآله في بناته ونسائه وأهل بيته وهي اثنتا عشرة أوقيّة يكون أربعمائة وثمانين درهما، وأما قولك مع قضاء دين أبيها فمتى كن نساؤنا يقضين عنا ديوننا وأما صلح ما بين هذين الحيين فإنا قوم عاديناكم في الله ولم نكن نصالحكم للدنيا، فلقد أعيا النسب فكيف السبب[٥]، وأما قولك العجب ليزيد كيف يستمهر فقد استمهر من هو خيّر من يزيد ومن أبي يزيد ومن جد يزيد، وأما قولك أنّ يزيد كفؤ من كفؤ له فمن كان كفؤه قبل اليوم فهو كفؤه اليوم ما زادته إمارته في كفاءته شيئاً

وأما قولك بوجهه يستسقي الغمام فإنما كان ذلك بوجه رسول اللهﷺ وأما قولك من يغبطنا به أكثر ممن يغبطه بنا فإنما يغبطنا به أهل الجهل ويغبطه بنا أهل العقل».

ثم قال‌عليه‌السلام بعد كلام: «فاشهدوا جميعاً أني قد زوّجت أم كلثوم بنت عبدالله بنت جعفر من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر على أربعمائة وثمانين درهما، وقد نحلتها ضيعتي بالمدينة (أو قال أرضي بالعقيق)، وأن غلتها في السنة ثمانية آلاف دينار ففيها لهما غنى إن شاء الله».

فتغير وجه مروان وقال: غدرا يا بني هاشم، تأبون إلا العداوة.

فقال الحسين‌عليه‌السلام: واحدة بواحدة.

فيئس مروان من الأمر الذي أتى إليه وخرج من المسجد هو وأصحابه مخذولاً.[٦]

لقد جئنا بهذه القصة الهادفة والتي هي درس تعليمي عن الأمور الاجتماعية المختلفة كالزواج والمهر و... وغيرها حتى يتوضح لنا أنه أحيانا يجب الاحترام لآراء الأفراد المهمة في العائلة في الأمور المهمة، والاستفادة من تجاربهم وخبراتهم وعلومهم والتي حتماً ستكون مفيدة ونافعة للمستقبل، وأحيانا الاختيار العاجل بدون استشارة كبار العائلة يكون خطر على حياة الفرد.

عدم تدخل الأقارب في زواج الرجل والمرأة

كما قلنا، أن تدخل الأقارب فيما عدا والد البنت - وذلك في بعض الموارد - ليس شرط لصحة الزواج، لذا فالزواج حق المرأة والرجل ولا يجب على الأقارب التدخل في شئونهما إلا للإرشاد والنصيحة، لأن بتدخلهم في أمورهما سيُهدر حق المرأة والرجل، وفي القديم كانت من أحد الأمور التي تؤدي إلى الاختلال وأحيانا العُقد في الزواج هي تدخل الأقارب أو عدم إتفاق الوالدين في مسألة الزواج، والكثير من المحرومين من نعمة الزواج كان المتسبب في ذلك هو تدخل الأهل بنيّة حسنة، فبدلاً من حل العقد، تزداد العقد على أسباب واهية.

في نظر الاسلام، المرأة والرجل لهما الإرادة والاستقلال في اتخاذ المصير، وموافقتهما ورضاهما هما الركنان الأصليان للزواج.

بالنسبة إلى الرجل فإن موافقة أولياؤه ليست شرط بتاتاً في الزواج وأما بالنسبة إلى المرأة، فإذا كانت ثيّباً فإن موافقة أوليائها ليس شرط، ولكن إذا كانت بكراً وأول زواج لها فإن موافقة أباها (أو جدها من ناحية الأب) شرط، وفي هذا المورد إذا كانت قد وصلت الى سن الرشد ولها المقدرة على تشخيص مصلحتها فإنها - على حسب فتوى كثير من مراجع التقليد - عندما يتقدم إليها زوجاً مناسباً فإن موافقة الأب أو الجد ليس شرط.

نعـم، من الناحيـة الأخلاقية ولتقوية روابط الأسرة فإن رضا الأقارب مهم، لذا في نظر الاسـلام، عدم موافقة الأقارب ليس مانع أو مشكلة في طريق الزواج، ومثل هذه المشكلة ترتبط بالجاهلية حيث كانـت النسـاء محاصرة بقيـود الخرافات حتـى كان أحياناً رضا الاخـوة والأم شرط أسـاسي للزواج، وكانت المرأة لعبة بين أيديهم.

ولكن الاسلام كسر هذه القيود ورفع هذه الموانع والمشاكل عن طريق الزواج، جاءت في الروايات: أن «معقل بن بسار» أحد أصحاب النبيﷺ قد عارض زواج أخته «جملاء» مرة أخرى بزوجها السابق «عاصـم بـن عدي» فقـد طلّقها وأراد بعد إتـمام الـعدّة الـزواج مـنـها مـرة أخـرى بـعـقـد جديد، ولـكـن «معقـل» منع هذا الـزواج المُجدد فنزلت[٧] الآية (٢٣٢) من سـورة البقـرة في «معقل» حيث نقرأ:

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُـمُ النِّسَـاءَ فَبَلَغْـنَ أَجَلَهُـنَّ فَـلا تَعْضُلُوهُـنَّ أَنْ يَنْكِحْـنَ أَزْوَاجَهُـنَّ إذا تَراضَـوْا بَيْنَهُـمْ بِالْمَعْرُوفِ....﴾

بناءاً على الآية السابقة نجد أن المرأة والرجل هما الركنان الأساسيان للزواج، وأن الأهل والأقارب ليس لهم الحق في التدخل والاختيار وأن مخالفتهم لن توجب إحباط الزواج أو منعه.

نسـتنتج من المطالب المذكورة: أن كل من المرأة والرجل (الفتى والفتاة) يسـتطيعان خطبة الآخر، لأنهما الركنان الأساسـيان للزواج ومن حقهما أن يخطبا الآخر، ولكن الذي يبدأ بالخطبة أولاً، تسـقط من الجهة الثانية الخطبة وليس لها معنى أو مبرر فقبول الطرف الثاني للخطبة يكون إتمام للخطبة وعدم قبوله يكون رد للخطبة.

هل تستطيع المرأة الخطبة؟

كما قلنا أن الخطبة ليست منحصرة بالرجل، وإنما تستطيع المرأة الاقتراح بالزواج من الرجل والذي هو الخطبة.

في عصر الرسـولﷺ، كانت المرأة تحضر عند رسـول اللهﷺ وتقول: أريد الزواج وإني أوكّلك بأن تخطبني لأحد من الرجال.

مثلما نقل عن الامام الباقرعليه السلام أنه:

جاءت امرأة إلى النبيﷺ وقالت: زوّجني.

فقال الرسولﷺ بين جمعٌ من الناس: «من لهذه؟»

فقام رجلٌ وقال: أنا يا رسول الله زوّجنيها.

فقال الرسولﷺ له: «ما تعطيها؟»

قال: ما لي شيء.

فقال الرسولﷺ: لا، قال: فأعادت، فأعاد الرسول الكلام، فلو يقم أحدٌ غيرالرجل ثم أعادت.

فقال الرسولﷺ في المرة الثالثة: «أتحسن من القرآن شيئاً؟»

قال: نعم.

فقال: «قد زوّجتكها على ما تحسن من القرآن فعلّمها إياه».

فقبلت وبكل سهولة تم زواج ذلك الرجل بالامرأة.[٨]

ولكن مسألة حفظ الحجاب والعفة والشخصية تقتضي بأن تكون الخطبة من طرف الرجل، لأن وجودهما التكويني يؤدي إلى تعرضها للأذى أكثر من الرجل، لذا من الأفضل أن تتم الخطبة عن طريق الرجل وخصوصاً في مجتمعات المسلمين وفي آدابٍ خاصّة.

النتيجة:

الخطبة من جهة الرجل ليست إلزامية حتّى نقول ان حق المرأة قد هُدر، وبالعكس اذا كانت الخطبة من جهة الرجل فقد حُفظ الحق الشخصي للمرأة بصورة أفضل.

بعض الجَهَلَة اعترضوا على تخصيص الخطبة للرجل وقالوا:

خطبة الرجل تعني الزواج والذي مفهومه هو «إقتناء المرأة» بالنسبة للرجل حيث يصبح الرجل مبتاعاً، كما تصبح المرأة نوعاً من أنواع السلع.

إن أمثال هذه العبارات في القوانين الاجتماعية تترك أثراً نفسياً في غاية السلبية والسوء، حيث تترك آثاراً على العلاقة بين الرجل والمرأة، فتمنح الرجل سيادةً ومالكية، وتكبّل المرأة بطوق المملوكية والعبودية.

نظريّة العلامة مرتضى المطهري

يقول العلامة مرتضى المطهّري:

«إن من أحد الأخطاء الكبيرة هي أن نعتبر الخطبة من جهة الرجل نوع من المالكية، وهذا الخطأ نفسه أدّى الى اقتراح إلغاء المهر والنفقة.

إن العرف القائم منذ القدم، والذي يقضي عليالرجال بالذهاب لطلب يد المرأة، أكبر عامل من عوامل حفظ اعتبار وحرمة المرأة وحيثيتها، فطبيعة الرجل التكوينية جاءت به على شكل طالب

وعاشق، كما أن طبيعة المرأة التكوينية جاءت بها على صورة مطلوب ومعشوق.

المرأة وردة بحكم الطبيعة، والرجل مغرّد بنفس الحكمة، وما هذا إلا تدبير عاقل وواحدٌ من أروع مظاهر الخلق، حيث جاءت غريزة الرجل على شكل حاجة وطلب، كما جاءت غريزة المرأة على شكل غنج ومطلوبية، وعن هذا الطريق يُجبر ضعف المرأة الجسمي مقابل قوة الرجل الجسمية.

متابعة المرأة لخطبة الرجل يتعارض مع حيثيتها واعتبارها، ان طبيعة الرجل تهضم الرفض الذي يحصل عقيب خطبة المرأة، ويتحمّل هذا الرفض ويشرع في الخطبة الثانية والثالثة حتى يحصل على المرأة التي تبرز موافقتها على الزواج منه، أما بالنسبة للمرأة التي تبتغي فطرياً أن تكون محبوباً ومعشوقاً، وتريد نفوذاً إلى قلب الرجل لتستطيع أن تحكم على أرجاء وجوده، فهي لا تهضم ولا تطيق وجدانيّاً ردّ من تطلب زواجه، ومن ثم تذهب صوب الآخر...!

يعتقد وليام جيمس الفيلسوف الأمريكي المعروف ان حياء وغُنج المرأة ليسا غريزة، بل استطاعت بنت حواء عبر تجربة التاريخ أن تجد عزّتها واحترامها كامنة ي عدم متابعتها للرجل، وتجنب نفسها الابتذال، وتبقى عزيزة غير يسيرة المتناول، لقد استوعبت النساء هذا الدرس عبر تجربة التاريخ وعلمنها الفتيات.

ولا تنحصر هذه الظاهرة بجنس البشر، بل تشاركه فيها الحيوانات الأخرى أيضا، فقد أوعز للجنس الخشن على الدوام أن يظهر مظهر احتياج الجنس الآخر ويسعى لطلبه، كما ان الايعاز الذي أعطي للجنس اللطيف هو عبر التحلّي بالجمال واللطف والغنج الذي يأسر الرجل، ويدفعه عن طريق التأثير الوجداني ومع الحفاظ على ارادته واختياره الى تقديم الخدمة له.

نتساءل، هل أن كل مبتاع ينتهي أمر معاملته الى نوع من المالكية والمملوكية؟ فالطالب والمتعلم مبتاع للعلم والمعلم، ومحب الفن مبتاع للفنان.... فهل يتحتم أن نطلق على علاقة هؤلاء اسم المالكية، ونعدها حينئذ متعارضة مع اعتبار العلم والعالم والفن والفنان؟

الرجل مبتاع لوصال المرأة لا لرقبتها، فهل أن ذلك إهانة للمرأة، أم أنه أرقى ألوان الاحترام؟

ألا يضحى مركز المرأة حيّاً متحركاً في القلوب، حيث يخضع الرجل أمام جمال المرأة وحسنها بما له من رجولة وعنفوان، ويبدو الرجل خلاله محتاجاً لعشقها، وهي مستغنية عن ذلك؟

لقد كان فن المرأة هو أنها استطاعت أن تجرّ الرجل الى حوزتها في أي مركز ومقام كان». [٩]

النتيجة:

ان خطبة الرجل للمرأة هي منفعة للمرأة ودفاع عن حقوقها الطبيعية وليست العكس، ولكن

العجب كل العجب في أولئك الجهلة الذين يسيئون الى أكبر وأعظم ميزة وشرف وحيثية للمرأة بعنوان الدفاع عن حقوقها، نعم إن مثل هؤلاء الرجال بعنوان حفظ اعتبار المرأة المسكينة يقومون بإعمائها وإضلالها.

ب: بحث في الزواج بآراء مختلفة ومتعددة

١- أهمية الزواج في الاسلام

كان ولازال الـزواج أمـرٌ طبيعي ودائمي وعادي لكل البشر ولا يمكن الاسـتغناء عنه لذلك يجب رفع كل المشـكلات والعثرات في طريق الزواج وتسـهيله للجميع، كما أن الماء والخبز تُوفّر للناس وفي متناول أيدهم بكل سـهولة حيث أنهما من المواد الأساسـية والمطلوبـة والعادية، كذلك يجب أن يكون الزواج سهلاً ويسيراً في متناول أيدي الناس.

ولكن بكل أسـف، نرى في مجتمعاتنا إجراء مراسـم الزواج بتكاليف باهظة وظهور ظاهرة الغلاء في المهـور وزيـادة الاسراف الهـدّام يوماً عن يوم، فاسـتعصب أمر الزواج المقـدّس وأحياناً أصبح غير ممكـن لأكثـر الأفراد، وكان ليس هناك قانون ونظام لهذا الأمر المقدس، وكان الاسـلام لـم يبيّن شـيئاً عـن هذا الأمر، ورخّى حبـل الحرية في أيديهم بدون أية ضوابط، ونتيجة لذلك حُرّمت غالبية الأفراد المحرومـة والمحتاجة أيضا من الأمـر المقدّس الزواج، وكـان منهم من استسـلم للواقع الـمرّ فتحمّل ثـقــل المشـاكل والقروض وغيرها وتحمّـل عواقبها الوخيمة وآلامـهـا لمدة سـنوات مـع التـوجه إلى أن هذا النوع مـن المشـاكـل في الزواج لا ينقطع بانتهاء الزواج وإنما تدوم هذه المشـاكل لمراحل ما بعد الزواج.

وهنا يجب إعلان الخطر وإطلاق صافرات الانذار للتوجه الى المساكين والفقراء والمحتاجين....

إن الاسـلام مـن أفضل المذاهب وأرقى المناهـج الذي وضع مناهج وبرامـج في مقتضيات الوقاية وعـلاج الآلام، لذلـك مـن الأفضل للبشر قبول رسـالة الاسـلام في منهج تشـكيل الأسرة والتعاون وتسـهيل الأمور وعدم الزيادة في المشـاكل والتوجه الى أن المراسـيم الثقيلة والباهظة الثمن والغلاء في المهور توجب حرمان البشر سواء كان رجل أو امرأة من حقهم الطبيعي والأزلي ألا وهو الزواج.

إن للاسـلام اهتمامـات عميقـة في الحقيقـة الطبيعية للمـرأة والرجل من جميع الأبعـاد والجهات وأعطى أهمية بالغة لمسألة الزواج، ولتوضيح هذا المطلب نلفت نظركم إلى ايات في القرآن وأقوال قادة الاسلام في ذلك...

أكّد القران والروايات الاسـلامية بمسـألة الـزواج ووصّى كثيراً به، حيث نقـرأ في الاية (٣٢) من سورة النور:

﴿وَانكَحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ، أَنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

في هذه الآية خاطب الله سـبحانه وتعالى جميع الناس حتّى بالتعاون والوسـاطة والمساعدات المالية وتهيئة أسـباب العمل، تسهيل زواج الشباب والفتيات، وعدم إهمال هذا الأمر المقدّس والمهم الزواج والذي هو أمرٌ ضروري لحفظ عفة المجتمع.

ان موضوع تهيئة أسـباب العمل لتحقيق الزواج مهم جداً في الاسلام فقد قال رسول الله ﷺ: «من أنكح المؤمنين والمؤمنات كان له أجرٌ عظيم وكان له بكل خطوةٍ خطاها أو بكل كلمةٍ بها في ذلك عمل سنةٍ قيام ليلها وصيام نهارها».[١٠]

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «من زوّج أعزباً كان ممن ينظر الله إليه يوم القيامة».[١١]

قال رسول الله ﷺ: «شِراركم عُزّابكم».[١٢]

وقال أيضا: «رُذّال موتاكم العُزّاب».[١٣]

وقال أيضا: «من تزوج فقد أحرز نصف دينه، فليتّق الله في النصف الآخر».[١٤]

ومما لاشـك فيـه أن الـزواج يوجـب الطهـارة ومضاعفـة أجـر العبـادات، لذلـك قـال الامـام الصادق عليه السلام:

«ركعتان يصلّيها المتزوج أفضل من سبعين ركعةً يصلّيها عَزَبٌ».[١٥]

قال رسول الله ﷺ:

«مـا مـن شـابٍ تـزوّج في حداثة سـنّه إلا عـجّ شـيطـانه: يـا ويلـهُ! يـا ويلـهُ! عَصِمَ مني ثُلُثَيْ دينه».[١٦]

نزل جبرئيل على رسول الله ﷺ وقال: «يا محمد! إن الله يبلغك السلام ويقول: الأبكار بمنزلة الثمر على الشـجر، إذا أدرك ثمره فلم يُجتن أفسـدته الشـمس ونثرته الرياح، وكذلك الأبـكار إذا أدركن ما تُدرك النساء فليس لهن دواء إلا البعولة وإلا لم يئمن عليهن الفساد لأنهن بشر».

فاجتمع الرسول بالناس وعلا المنبر وأبلغهم بقول الله سبحانه وتعالى.[١٧]

٢- الزواج أو وسيلة الاتفاق بين جميع المخلوقات

يوجد بصورة عامة نوع واحد من الزواج ليس فقط في عالم البشر وإنما بين كل المخلوقات حتى الجمادات، وهو علامة إلهية ووسيلة للتكامل في كل الوجود.

اكتشف «لينه» الباحث والعالم والبيولوجي السويدي المعروف في أواسط القرن الثامن عشر الميلادي أن مسألة الزوجية في دنيا النباتات قانون عام تقريباً وتتكون النباتات أيضا مثل الحيوانات عن طريق تلقيح نطفة الذكر والأنثى ثم تنمو وتُنتج الثمار.

ولكن القرآن المجيد منذ قرون وقبل هذا الباحث أشار مراراً الى الزوجية في عالم النباتات في آيات مختلفة، كما نقرأ في الآية (٧) من سورة الشعراء:

﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا الى الأَرْضِ كَم أَنْبَتْنا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيم﴾[١٨]

بل يعتبر القرآن بأن قانون الزوجية يشمل كل الموجودات حيث نقرأ في الآية (٤٩) من سورة الذاريات:

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكّرُون﴾

ويقول سبحانه في الآية (٢٦) من سورة يس:

﴿سُبْحَانَ الّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلّها مما تُنْبِتُ الأرْضَ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمما لا يَعْلَمُون﴾

يعلن صانع هذا الكون وموجده في تلك الآيات سر صناعته، ودقيق كونه، فيبين أن جميع ما في الكون: من انسان، وحيوان ونبات، وكائنات أخرى، نامية وغير نامية، قد خلقت أزواجاً.

فقانون الزوجية نظام أزلي، يلتئم به شمل كل شيء في هذا الكون، ويصلح به وجوده، وتخرج به ثماره، ولا يعلم أحد - إلا الله سبحانه - مدى سعة تلك «الكلية» التي تضمنها قوله «كل شيء» فإنها في مفهوم اللغة تنسحب على الأشياء جميعاً: ما نعلم وما لا نعلم، من حي وجامد، وصامت وناطق.

ونجد أن في العصر المعاصر تتكون «الذرات» من أجزاء مختلفة، وإجمالاً تتكون من جزأين، الجزء الأول سالب ويسمى «الالكترون» والجزء الثاني ويسمى «البروتون» مع التوجه بأن كل شيء في الكون يتكون من الذرات.

ومن الواضح أن الزوجية في كل الكائنات (كلّ على حسب تكوينه) تسبب الحمل والنمو والزيادة وأنها علامة ووسيلة للتكامل، إذن أليس المخالف للزواج وصلة شاذة في كل الوجود، ومخالف لقانون الوجود العام؟

من المسلّم به أن مثل هذا الانسان قد تخلّف عن قانون التكوين، ويسير ضد اتجاه الفطرة والخلق.

٣- الزواج من الناحية العلمية والنفسية

لقد خُلق الانسان بغرائز متعددة ومختلفة، والتي يجب إشباع كل منها بصورة طبيعية وصحيحة وقضاء حاجتها، وقطعاً إهمال الاحتياجات الفطرية الغريزية في الانسان يُسبب الطغيان والاضطرابات الروحية والنفسية والانحراف عن الطريق المستقيم.

من أحد الغرائز القوية في الانسان هي الغريزة الجنسية والتي يجب إشباعها بصورة صحيحة وسليمة ومناسبة، والزواج هو الطريق الوحيد السليم لإشباع الغريزة الجنسية، ولا يوجد شيئاً آخر يحل محل الزواج.

وبعبارةٍ أوضح، وضع قانون التكوين الجاذبية الجنسية - كعامل بقاء لنوع ونسل الانسان وراحة الروح - بين الجنسين المختلفين، وكل انحراف وتغيير عن هذا المسار يكون ضد الموازين الفطرية والعلمية وأيضا يكون سبب لتعكير الراحة الروحية، لذلك لا يمكن كبت وإخماد الغريزة الجنسية وتعطيلها، ولا يمكن تركها بل يجب تعديلها بالزواج الصحيح، ولكن إذا تعدّت عن هذا الحدّ، فمن المؤكد أنها نوع من المرض وأحياناً تصل إلى حدّ الجنون، ويسمى بـ«الجنون الجنسي».

وفي يومنا هذا، شرح العلماء في كتبهم أنواع وأقسام هذا المرض الروحي والذي ظهر من طغيان هذه الغريزة والاستسلام للملوّنات الجنسية والاجواء الملوّثة.

يقول العالم المعروف «ويل دورانت» عن الترغيب في الزواج:

«اذا وجد طريق للزواج الطبيعي فسوق يقل الفحشاء والأمراض النفسية والوحدة اللانهائية والعزلة الغير المرغوبة والانحرافات التجريبية التي شوّهت الحياة، إلى النصف....

والعشق الجنسي ينضج في الشباب قبل استطاعتهم الاقتصادية، فيجب ألا نفر ونهرب من هذه الحقيقة، ولا نجعل ذلك العشق يندثر، فالزواج الذي يُبنى على أساس العشق الحي والحديث للشاب والشابة يجعل الحياة معطّرة وسعيدة على مدى السنوات الطويلة، وإلا لن يكون الزواج عميق وطبيعي والموافق للمرام.[١٩]

يقول الدكتور «جهرازي» أحد الأطباء النفسية المعروف في إيران:

«عندما يكون إشباع الغريزة الجنسية عن الطريق الطبيعي والزواج، فإن مركز الإثارة الجنسية في مخ الشاب يتأثر ويتهيّج عن طريق المشاهدة واللمس وسائر الحواس، ومن الناحية الفسيولوجية، فالتأثيرات التي تنتقلإلى مراكز المخ بسبب العين واللمس وغيرهما، تصنع إنعكاسات جنسية وتتم العملية الجنسية بصورة طبيعية، وأما إطفاء الشهوة الجنسية عن طريق آخر غير الزواج (مثل الاستمناء)، تنعكس العملية تماماً وتنقلب، ويحل التخيّل وتصوّر المناظر الخاصة واللمس الموضعي

محل العوامل الطبيعية للإثارة، وبهذا الترتيب يظهر نظام انعكاسي انحرافي في المدار الجنسي، وبتكرار هذه الطريقة تظهر الأمراض النفسية... وتؤدي إلى ضعف الجسم، وضعف الشخصية، وضعف الارادة وقلة القدرة، والانطوائية وتقليل القوة النفسية».[٢٠]

حقاً أي بلاءٍ أعظم من ضعف الارادة والاضطراب والمرض النفسي...!

يقول الطبيب النفسي الأمريكي المعروف «ديل كارنكي»:

«يقول أفلاطون: إن من أكبر أخطاء الأطباء هي سعيهم في معالجة الجسم ولا يعملون للحظة واحدة في صدد شفاء الفكر والروح، بالرغم من أن الفكر والجسم توأمان ولا يمكن فصلهما عن بعض ومعالجتهما بصورة منفصلة».

ثم يقول: «التلفات الناشئة عن الأمراض الروحية تتزايد سريعاً، حيث يوجد شخص واحد بين كل عشرين شخص ساكن لأمريكا، قد قضى جزء من حياته في المستشفى النفسي.

الأخوان «مايو» الذين يملكون مستشفى مشهور ومعروف أعلنوا بأن أكثر من نصف الأسرّة في المستشفى محجوزة للمرضى الذين يعانون من أمراض عصبية ونفسية، وتنبع أمراضهم من الهيجان النفسي، الحرمان، التشويش، القلق، الخوف، عدم التوفيق واليأس».[٢١]

النتيجة:

من أحد الطرق والسبل للنجاة من الأمراض النفسية والروحية والتشويش هي تعديل الغريزة الجنسية عن طريق طبيعي ومشروع ألا وهو الزواج، حيث لا يوجد طريق آخر لذلك.

الخلاصة:

للانسان غرائز مختلفة ومتعددة، مثل غريزة الغضب، غريزة حب الدنيا، غريزة الجوع، غريزة العطش، الغريزة الجنسية و.... وغيرها، ويجب إشباع كل من هذه الغرائز في حدود عادلة ومناسبة لها، تعطيلها وتركها ليس صحيح ولا طغيانها صحيح، مثلاً غريزة الجوع تخبر الانسان بأنه في أي وقتٍ يجوع، ولإشباعها (يعني لرفع الجوع والاجابة الايجابية لتلك الغريزة) يجب على الانسان أن يأكل نصف كيلو من الطعام مثلاً، فإذا لم يأكل الانسان شيئاً فسوف يؤدي ذلك إلى القضاء على تلك الغريزة ونتيجةً لذلك يجرّه الى خطر الموت.

وإذا أكل زيادة عن الحدّ الطبيعي واللازم أو أكل أطعمة غير مناسبة، فسوف يُصيب بأنواع الأمراض وأحيانا بالموت، لذلك يجب الاستجابة إيجابياً لها بصورة عادلة ومناسبة.

وأيضـا يجب التعامل مع الغريزة الجنسـية بمثل ذلك، والتي هي من أقـوى الغرائز، ويوجد ثلاث طرق للتعامل مع هذه الغريزة:

١) تعطيل الغريزة الجنسية.

٢) الزواج وإشباعها بصورة صحيحة وسليمة ومناسبة.

٣) طغيان الغريزة الجنسية وإشباعها بطرق منحرفة.

الطريـق الأول: ويعنـي القضـاء عـلى الغريـزة الجنسـية، وهـذا الطريـق غير عاقـل بتاتـاً لأن هذا الأسـلوب يعتبر نـوع من المبارزة والقتال ضـد قانون التكوين والفطرة، ولن يـرضى أي عاقل بنقص العضو والقضاء على الغرائز وتعطيلها.

والطريـق الثالـث: يـؤدي أيضـا إلى الانحرافـات المتعـددة وآثارها المشـؤومة، والعلاقـات الغير مشروعة وأنواع الأمراض الجسـمية والروحية وآلام اجتماعية، إذن هذه الطريقة أيضاً ليست الطريقة المثلى والمعقولة وهي غير مطلوبة وغير مرغوبة.

لذلك، فالطريق الصحيح والسليم والمعقول هو الطريق الثاني حيث يتم إشباع هذه الغريزة بصورة صحيحة ومعقولة والاستفادة منها في مسير البناء والسير والتكامل، وهذا الطريق المعقول والصحيح ليس إلا الزواج، حيث لا يُسبب القضاء على الغريزة وتعطيلها ولا الابتلاء بالانحرافات الجنسية.

٤- الآثار المشرقة والايجابية والنافعة للزواج

للـزواج وبناء الأسرة آثار إيجابيـة ومفيدة في جهاتٍ مختلفة، حيث قال الرسـولﷺ: «تُفتح أبواب الرحمة في السـماء في مواضعٍ أربعة: عند الغيث، عند رؤية الوالد إلى وجه والديه، عند فتح باب الكعبة وعند الزواج».[٢٢]

وهنا نذكر عدة نماذج من الآثار المشرقة للزواج:

الاستقلال:

لا يوجد مفهوم أقيم وأرقى عن الاسـتقلال عند الانسـان، حيث يتحرر الانسـان من قيود التبعية والطفيليـة، وينتقـل الى مرحلة جديدة من الرشـد والكـمال، حيث يتعهد بإدارة الحياة بـالارادة القوية والفكر الحر والاستقلال في الرأي.

مثـل الشـجرة التي تظل قوية أمام الريـاح بعكس الزرع والطفيلي الذي يتّكـئ عليها فيُقضى عليها بمجرد هبوب رياح الخريف.

واعتبر القرآن الاستقلال من خواص أتباع الرسولﷺ ويضرب بهذا المثال:

﴿كَزَرْعٍ أُخْرَجَ شَطْئَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ (الفتح - ٢٩)

هذه الآية تبيّن مراحل حركة وكمال الفرد المسلم، حيث يصل الى الاستقلال بعد خروج البرعم والمساعدة في التربية والاستواء، وينمو نمواً ملحوظاً وملفتاً للناظرين، فيسبب غيظ الكافرين.

يعتبر الزواج مرحلة جديدة من الاستقلال والرشد، ومُخرج الانسان من التطفّل والفوضى والاضطراب ومانح للانسان التمركز والنظام.

جاءت في رواياتٍ متعددة بأن لا تجعلوا الفقر سبب لترك الزواج - مثلما سنقول، جاء رجل الى الرسولﷺ يشتكي من الفقر، قال له الرسولﷺ: «تزوج»، فتزوج الرجل ونجى من الفقر.[٢٣]

وقد صرّح القرآن أيضا في الآية (٣٢) من سورة النور بهذا المطلب، وقال الامام الصادقعليه السلام: «الرزق مع النساء والعيال».[٢٤]

إذا توجّهنا بدقة، نجد أن الدليل على هذا المطلب هو استقلال الانسان وإحساسه بالمسئولية بعد تشكيل الأسرة، فيزيد سعيه وحركته والتزامه ونتيجةً لذلك ينجو من الفقر، لأن الانسان العازب لا يحس بالمسئولية، ولا يُطوّع ابتكاراته وقواه واستعداداته بصورة كافية لكسب الرزق المشروع، وعندما يحصل على رزق لا يسعى على حفظه واستغلاله استغلالاً نافعاً، لذلك نجد أن العازب غالباً يكون فقير ولكن بعد الزواج، تتبدّل شخصية الانسان الى شخصية اجتماعية ويرى نفسه مسئول جداً عن حفظ الزوجة وحيثية العائلة وتأمين وسائل حياة أطفال المستقبل، ولهذا السبب، يستخدم كل ذكاءه وقواه وابتكاراته واستعداداته ولا يسرف في دخله ورزقه، ويقضي على الفقر في مدة قصيرة.

ولهذا قال رسول اللهﷺ:

«من نكح لله وأنكح لله استحق ولاية الله».[٢٥]

ويعني بذلك بأنه سيستفيد من ولاية الله سبحانه وتعالى وقيادته، ويحس بالمسئولية كمدير وقائد لمجتمع صغير.

بقاء النسل والسكينة

من الأهداف الأصلية للزواج هي بقاء نوع البشر وسكن الأزواج في ضوء الزواج، ويعتبر هذين الموضوعين المهمين والقيّميْن من فوائد الزواج حيث اذا لم يكن للزواج فوائد غير هذين الفائدتين، لكانتا كافيتان لمعرفة الأهمية القصوى والبالغة للزواج.

وبالنسبة للموضوع الأول نقرأ في سورة البقرة (٢٣٣) الآتي:

﴿نِسَائِكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتوا حَرْثَكُمْ أَنّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ....﴾

بيّن القرآن بضرورة وجود المرأة في المجتمع الانساني والحياة الانسانية، وألا تكون النظرة اليها بأنها وسيلة لإطفاء الشهوة، بلإنها وسيلة لبقاء النسل ونوع الانسان ولحفظ نوع البشر، ومركز ومدرسة لتربية أطفال لائقة.

أما بالنسبة إلى الموضوع الثاني، قال الله سبحانه وتعالى في الآية (٢١) من سورة الروم:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكِنُوا إِلَيْهَا وَجعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾

تبيّن هذه الآية بأن الهدف من الزواج ليس إلا السكن والهدوء للأزواج حيث ذكر الله سبحانه وتعالى أن من خاصة إلتقاء ذوي الانسان أنه له من وراء الزوجية مقصداً أسمى وأجل وهو أنه يجب ألا تكون بين الزوجين علاقة شهوة فحسب بل تكون بينهما علاقة حب ومودة وأنس وعلاقة تتألف بها القلوب وتتصل الأرواح ويكون بينهما من الملازمة والاتصال الأبدي ما يكون بين الروح والجسد، وتربط بينهما حياة مشتركة وآمال مشتركة وآلام مشتركة ومستقبل مشترك يلتقي في الذرية المرتقبة التي تنشأ في العش المشترك.

فيجب على كلاهما أن يكونا موضع الراحة والسكينة وهدوء البال للآخر.

وقد جاء نظير هذا المطلب في الآية (١٨٩) من سورة الأعراف.

لذلك، فالزوج من أحد المواهب العظيمة الإلهية للبشر، لأنه يسبب السكينة للأزواج، روحياً وجسمياً وفردياً واجتماعياً.

أما من الناحية الجسمية، فالأمراض والاضطرابات التي تصيب الانسان من جرّاء ترك الزواج غير قابلة للإنكار.

وأما من الناحية الروحية، عدم التعادل الروحي والاضطرابات النفسية التي تصيب الانسان العازب ظاهرة للناظرين.

ومن الناحية الاجتماعية، نجد أن العازب إحساسه بالمسئولية أقل من المتزوج، ولهذا السبب تنتشر ظاهرة الانتحار بين العزّاب أكثر من المتزوجين، وتكثر جناياتهم الوحشيّة المخيفة أكثر من المتزوجين.

عندما يتعدى الانسان من مرحلة الحياة الفردية إلى مرحلة الحياة العائلية، تظهر له شخصية جديدة مستقلّة، فيحس بالمسئولية أكثر من قبل ويعتمد على نفسه، وهذا هو معنى الاحساس بالسكينة في ظل الزواج.

من جهة أخرى، يسبب الزواج علاقة عاطفة ومحبة ومودة، وهذه المحبة والرحمة هي التي تقوّى الرابطة والعلاقة بين أفراد المجتمع.

قال الامام الرضا عليه السلام:

«من السنة التزويج بالليل لأن الله جعل الليل سكناً والنساء إنما هن السكن».[٢٦]

النتيجة: يحصل الأزواج في ضوء الزواج الصحيح على السكينة الفردية وأيضا السكينة الاجتماعية.

الاحساس بالمسئولية

عندما يكون الانسان وحيداً، يفكر بنفسه أكثر وتسهل حركته الى السفاهة وتكون غير صعبة، وبعبارة أخرى اذا لم يكن ذو دين، لن يحس بالمسئولية، ولكن اذا تزوج، فسيفكّر بأنه غير وحيد، بل يحس في ضميره ووجدانه بالمسئولية تجاه الزوجة والأطفال، ومن منطلق ذلك يصعب اتجاهه إلى السفاهة والتشرد، ويصبح الزواج مثل السّد في طريقه، فيتحكّم به ويراقبه.

وتدل شواهد كثيرة على أن الكثير من الشباب استقاموا بعد الزواج وتركوا وابتعدوا عن السفاهة والطرق الملتوية والمعوجّة، وقد انتشر في المجالس هذا القول من الشباب بعد زواجهم:

«إننا قد تزوجنا ولا نستطيع مثل السابق الذهاب إلى أي مكان، يكفي لنا بأن لنا زوجة وأطفال، عيب لنا بأن نخطو في أي طريق....»

هذا هو «الاحساس بالمسئولية» الذي يظهر بهذا الشكل، سيكون الاحساس بالمسئولية الأساس للمراقبة والابتعاد عن كل عملٍ قبيح وإدمانٍ هالك وسائر الانحرافات.

الاحساس بالمسئولية هو ذاك الوجدان الأخلاقي «والنفس اللوّامة» والتي لها دور كبير في الطهارة والتقيد في السلوك.

الوجدان الأخلاقي والاحساس بالمسئولية في الحقيقة هما محكمة صغيرة باطنية في روح الانسان، حيث عند عمل الخير يولد إحساس بالاطمئنان النفسي، ويملأ روح الانسان بالسعادة والنشاط وعند عمل الجناية والشّر تظهر عاصفة من الهم والغم في نفس الانسان، ومثلهذا الاحساس، قطعاً يكون قوة مهمة وسبب لجلب السعادة والابتعاد عن آية انحرافات.

نعم، إن للزواج الصحيح دور بنّاء في إيجاد مثل هذا الاحساس في الانسان.

النتيجة:

الزواج يبعد الانسان عن الانحرافات الجنسية مثل اللواط والاستمناء وغيره.

الزواج يُنجّي الانسان من الضياع والوحدة.

الزواج جعل سوق العلاقات الغير مشروعة والزنا والملوّثات الجنسية في كساد، وقلّل من عواقب الجنايات والعداوات والحقد والضغينة الناتجة من جرّائها.

الزواج يقضي على طغيان الأفراد الشريرة والمغرورة.

الزواج يضاعف عشرات المرات وأحيانا مئات المرات أجر وثواب عبادات الانسان.

الزواج عامل لتحكم الانسان عن التجاوزات والاعتداءات.

الزواج ينجّي الانسان من الوحدة والانطواء والتعقيد والبعد عن المواهب الاجتماعية.

الزواج يخرج الانسان من الرهبانية المشئومة المسيحية ويجعله في دنيا جديدة من تجلّيات المجتمع.

الزواج يؤدي إلى الزيادة في حيثية الانسان واعتباره.

الزواج يؤدي إلى ظهور براعم حياة جديدة وغنية.

ج: مسألة الزواج المؤقت

الزواج المؤقت من زاوية الشيعة الجعفرية

أحـد القوانين الناصعة للتشريع الاسـلامي - من زاوية المذهب الجعفـري - هو أن الزواج يمكن أن يأتي على نحوين:

١- زواج دائم

٢- زواج مؤقت

لقد قمنا بالبحث في مسألة الزواج المؤقت في هذا الكتاب لأن البعض يرى بأن الزواج المؤقت هو نوع من التحقير لمقام المرأة، ويجعله قانون في الاسـلام أدّى لضياع حق المرأة وهدره، لأن حفظ حيثية وشرف المرأة من حقوقها المسلّمة وحق كل مسلم، لذلك مثل هذا الزواج غير صحيح.

وأحيانا يقولون: أن الزواج المؤقت لون من الاسـتئجار الآدمي، وإباحة شرعية لبيعه، حيث تهب المرأة وجودها مقابل شيءٍ من المال تأخذه من الرجل.

وجاءت هذه التعبيرات بخصوص الزواج المؤقت بسبب أن الزواج المؤقت غير واضح للمغرضين وأحيانا يكون السبب سوء الاستفادة من البعض لهذا القانون وإنسابه إلى الاسلام.

إن البحـــث والتحقيـــق في مســألــة «الــزواج المؤقـــت» والإجـابة على المغرضـين يحتاج إلى شرح واسـع، وهـذا خارج عهـدة هذا الكتـاب، ولكن سـنبحث هذه المسـألة بصورة مختصرة مـن زاويتين وهما:

١- وجود قانون الزواج المؤقت في الاسلام في رؤية القرآن والروايات.

٢- فلسفة وحكمة الزواج المؤقت.

وبهـذا التوضيح سـيتضح لنا أن الزواج المؤقت ليس فيـه تضييع لحق المرأة، وإذا تم الزواج المؤقت

على أساس الاسلام من غير سوء استفادة، فسوف يكون نوع من الحماية الاجتماعية السلسيمة واللائقة للمرأة.

ما هو الزواج المؤقت؟

قبل أن نبحث في الموضوعين السابقين، بدايةً سنتطرق إلى شرح وكيفية الزواج المؤقت بصورة مختصرة.

الزواج المؤقت هو أن المرأة والرجل يتفقان على الزواج لمدة معينة في مقابل مهر يتم تعيينه والاتفاق عليه فيجري عقد الزواج على هذا الأساس.

في هذا الزواج نفقة الزوجة ليست على الزوج، ولا تورث المرأة من الرجل ولا العكس، ويستطيع الزوج بعد العقد الانفصال عنها وإعفائها بعد مضي المدة المحددة أو جزء منها، وةذا لم يعفيها المدة المحددة، فعند إتمام المدة ينفض الزواج تلقائياً (بدون طلاق) ويحصل الانفصال.

لذلك، الزوجة في هذا الزواج ليست الشريكة الدائمة في الحياة، حتى توسوس وتصعّب في اختيارها له، ولا يوجد مشاكل ومنازعات الطلاق فيه (بفرض عدم الطاعة)، بل بمجردالعفو عن المدة، ينتهي الزواج وفي نفس الوقت هو زواجٌ مقدّس، ويطبّق عليه سائر أحكام الزواج، ويجب على الطرفين حفظ حرمة الآخر ومراعاة الاداب الزوجية.

الزواج المؤقت في نظر الاسلام

جاء في جزء من الآية (٢٤) من سورة النساء ما يلي:

﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ الفَرِيضَةِ﴾

جاءت كلمة «المتعة» من الجملة «استمتعتم» وهي بمعنى «الزواج المؤقت» في الاسلام، وإذا لم تفسّر بالمعنى المذكور فهي يجب أن تفسّر بالمعنى اللغوي ألا وهي الاستفادة ونتيجةً لذلك نجد أن معنى هذه الآية هو: «اذا استفدتم من النساء دائما فآتوهن مهرهن»، بينما نعلم أن دفع المهر ليس شرط للاستفادة من النساء، ولذلك والمشهور بأن بمجرد إجراء عقد الزواج الدائم يصبح كل المهر أو نصف المهر واجب.

وكثير من الأصحاب الكبار والمسلمين بعد الصحابة مثل ابن عباس، وجابر بن عبدالله

الأنصاري، وأُبيّ بن كعب وعمران بن حصين وسعيد بن جبير ومجاهد وقتاده وسُدى ومجموعة كبيرة من المفسرين من أهل السنة، وكل مفسرين أهل البيت عليهم السلام فهموا من الآية السابقة حكم الزواج المؤقت.

والبعض مثل فخر الرازي يقول: «لا يوجد جدال حول الاية السابقة، حيث نفهم منها جواز المتعة، بل نقول أن الحكم المذكور ممكن بعد مدة إبطاله».(٢٧)

وأيضاً فسّر أئمة أهل البيت عليهم السلام الآية السابقة بالزواج المؤقت، واعتبروا المتعة زواج صحيح.(٢٨)

قال الامام الباقر عليه السلام في الجواب على سؤال أبي بصير بخصوص المتعة:

«نزلت في القرآن ما استمتعتم به فآتوهُنّ أجورهُنّ فريضةً».(٢٩)

قال الامام الصادق عليه السلام: «المتعة نزل بها القرآن وجرت به السّنّة».(٣٠)

وأيضا قرأ الامام الصادق عليه السلام الآية ﴿فاستمتعتم....﴾ ثم قال:

«هذه الآية تدل على جواز المتعة».(٣١)

وأيضا قرأ هذه الآية (٢) من سورة فاطر:

﴿مَا يَفْتَحَ اللهُ للنّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا﴾، ثم قال:

«هذه الآية تشمل المتعة».(٣٢)

يقول أبي ليلى: سألت الامام الصادق عليه السلام: «هل أبطلت اية المتعة؟»

قال عليه السلام: «لا ولو لا ما نهى عنها عمر ما زنى إلا شقيٌّ».(٣٣)

يقول جابر بن عبدالله الانصاري: «كنا في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وخلافة أبوبكر نتمتع وأيضا لفترة في عهد الخليفة عمر: حتى نهى عنها عمر».(٣٤)

قال الامام الصادق عليه السلام: «ليس منا من لم يؤمن بكرّتنا ولم يستحلّ متعتنا».(٣٥)

النتيجة:

بإتفاق علماء الاسلام بل من ضروريات الدين، كان الزواج المؤقت مباحاً في بداية الاسلام، وكان المسلمون يعملون به في بداية الاسلام وفي عهد خلافة أبوبكر، وكان من سنّة الرسول صلى الله عليه وآله، حتى حرّمه عمر بن الخطاب وجاءت هذه العبارات المعروفة على لسانه: «متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا محرّمهما ومعاقبٌ عليهما، متعة النساء ومتعة الحج».

إن قول عمر يبين إباحة المتعة في عهد النبي صلى الله عليه وآله، لذلك نقول: ليس من حق أي شخص إبطال حكم الله، ما عدا الرسول صلى الله عليه وآله الذي يبطل جزء من الاحكام بأمر من الله، والذي بعد رحيله سُدّ باب الابطال

نهائياً.

الزواج المؤقت الحل الأسهل

من أحد حِكَم الزواج المؤقت هو أنه يجب إباع الغريزة الجنسية بصورة طبيعية وسليمة، والطريق الصحيح للإشباع هو الزواج، ولكن في أكثر الظروف والأجواء، يوجد الكثير من الافراد في أعمارٍ خاصة غير قادرين على الزواج الدائم، أو نجد أن بعض الأفراد المتزوجون يواجهون مشكلة عدم إرضاء الغريزة الجنسية في الرحلات الطويلة والسفر الطويل أو في المهمات الرسمية.

لقد أخذ هذا الموضوع شكلاً حاداً وخاصةً في العصر المعاصر الذي ارتفع فيه سن الزواج نتيجةً لطول الفترة الدراسية والمسائل الاجتماعية المعقدة ويستطيع القليل من الشباب الزواج في السنين الأولى من فترة البلوغ الجنسي.

ماذا نستطيع أن نفعل بهذا الوضع؟

لحل هذه المشكلة يوجد أربع طرق:

١) الزواج الدائم.

٢) تعطيل الغريزة الجنسية.

٣) الانحراف الجنسي والفحشاء وإرضاء الغريزة عن طريق غير مشروع.

٤) الزواج المؤقت.

الطريق الأول حل جيد جداً لهذه المشكلة ولكن إذا لم تكن شروطه متوفرة يصل الدور الى الطرق الثلاثة الأخرى، أما الطريق الثاني فيؤدي إلى النقص والرهبانية وترك الحياة والذي هو طريق المرتاضين وغير مقبول وغير مقبول لجنس البشر.

أما الطريق الثالث فيؤدي الى الانحراف والفساد والعواقب الوخيمة له والخطرة، لذا يجب أن يكون هناك طريقاً آخر سهل ويسير حتى نستطيع به حل مشكلة إرضاء الغريزة الجنسية، وقد طرح الدين الاسلامي «الزواج المؤقت» لحل هذه المشكلة حيث لو تمّ بشروطه وأحكامه، لن يكون هناك أية مشكلة، ولن تُهدر حيثية المرأة.

نعم، ليس للزواج المؤقت الشروط الثقيلة للزواج الدائم حتّى لا يُعمل بها بسبب عدم الاستطاعة المالية أو الاشتغال بالدراسة وغيرها، وليس له أضرار وفجائع جنسية والفحشاء.

في الحقيقة، إن المتعة موهبة إلهية للمسلمين حتّى تُأمّن لذاتهم النفسية المشروعة عوضاً عن الأشربة المحرّمة، كما قال الامام الباقر عليه السلام:

«إن الله رأف بكم فجعل المتعة عوضاً لكم من الأشربة».[٣٦]

برتراند راسل ونظرية الزواج المؤقت

يقول «برتراندراسـل» الفيلسـوف الانجليزي المعروف في كتابه «العلاقـة الزوجية والأخلاق» ما يلي:

«اقترح القاضي «ليندزي» حلاّ باسـم «زواج الصداقة» في ضوء ما أتاح له عمله في محكمة «دنور» سنين طويلة من ملاحظةٍ للكثير من الحقائق».

وقد أبدى برتراندراسل رأيه وموافقته على هذا المطلب حيث قال: «يتحتم على الشباب أن يبادروا لإقامة «زواج الصداقة»، الذي يختلف عن الزواج الاعتيادي في ثلاث نواح:

أولاً: لا يُقصد من وراء هذا الزواج إنجاب النسل.

ثانياً: يتيسّر الطلاق برضا الطرفين، مادامت الفتاة لم تحمل ولم تنجب.

ثالثاً: تستحق المرأة حال الطلاق مساعدة مالية، لتغطية نفقاتها الغذائية.

ليس لدي شكٌ في فاعلية اقتراحات ليندزي، ولو كان القانون موافقاً على هذه الاقتراحات فسوف يكون لها تأثير كبير على تهذيب الأخلاق».[٣٧]

رغـم أن مـا أسـماه ليندزي وراسـل بـ«زواج الصداقـة» ويختلف مع الـزواج المؤقت الاسـلامي بشـيئ مـن الاختلاف إلا أنه يحكي عـن خلوص مفكّرين نظير ليندزي وراسـل الى: أن الزواج الدائم والاعتيادي لا يفي بكل الحاجات الاجتماعية.

يقول برتراند راسل في موضع آخر:

«في العـصر المعاصر، الضروريات والمشـكلات الاجتماعية والاقتصادية أخّرت في زواج الشـباب عـلى خـلاف تدابيرنا وميولنا، حيث منذ قبل مئة سـنة ومأتين سـنة مثلاً كان الطالب ينهي دراسـته في السن الثامن عشر والعشرين، وكان مستعد للزواج في بداية ضغط الغريزة الجنسية أو في مطلع بلوغه، وكانـوا قلـة هم الذين يتعبون لدراسـة التخصصـات العلمية والتخصّصية ويصل سـنّهم الى الثلاثين والأربعين سنة ونتيجة لذلك لم يكن لديهم الاستعداد للزواج.

بينما يسـتحيل ذلك في زمننا المعاصر، فالشـاب المعاصر ينهي مرحلته الثانوية في سـن الثامن عشر والعشريـن، وبعـد ذلك يدخـل في التخصصـات العلمية والصناعيـة، وبعد الفراغ من الدراسـة يبدأ بالبحث لمدة عن وسـيلة لتأمين معاشه ولتهيئة الأسباب الأولية والمسـتلزمات العامة للحياة العائلية، وعادةً يكون في السن الخامس والثلاثين قادر على الزواج وتكوين الأسرة، لهذا السبب يكون الشباب

المعـاصر في صراع ومقاومـة ضـد الأهـواء وظواهر الحياة الخدّاعة لمـدة طويلة في الفترة مـا بين البلوغ والزواج التي هي جزء حساس جداً ومرحلة البلوغ الجنسي وطغيان الغريزة.

فهم مضطرّون للتحمّل بأي صورة كانت...!!

ويجب ألا نسقط هذا الجزء الحساس من حساب العمر أو النظام الاجتماعي للبشر، وإذا لم نحسب حسـاب للجزء الطويل والحسـاس للعمر، ولم نفكر فيه، تنتج من ذلك شـيوع الفسـاد وعدم الاعتناء للصحة والنسل والأخلاق والأصول بين الرجال ونساء المجتمع.

إذن ماذا يجب أن نعمل؟».

يقول الفيلسوف في جواب ذلك السؤال:

«إن حـل هذه المشـكلة هو أن تسـنّ القوانـين المدنية لهذا الجزء المهم الحسّـاس مـن العمر «الزواج المؤقت» للشـباب والشابات حتى لا يُحمّلوا عبء مشكلات الحياة العائلية والزواج الدائم، وفي نفس الوقت يقيهم ويحفظهم من المفاسـد المختلفة والأعـمال الغير مشروعة والتحمّل الروحي لثقل الذنب والتخلّف عن الأصول والقوانين وأيضا عن الأمراض المتعددة».[٣٨]

هذا النوع من الزواج يطلق عليه الفيلسوف زواج بلا أولاد.

نظرية ويلم ونلوم

«ويلـم وَنْلُوم» أحد الأعضاء السـابقة لبرلمان أمريكا، ومن أسـاتذة جامعـات أمريكا والذي لديه قراءات ومطالعات في الأمور الجنسية، اقترح لبرلمان أمريكا ما يلي:

«أثبتت التجربة والقوانين العلمية والنفسـية، أن الرجال والنسـاء بعد طـي مدة من عمر علاقتهم الزوجيـة، لا يوجد لديهم اللذة الجنسـية المنشّـطة اتجاه الآخر، لذلك يتّجهـون إلى الانحراف الجنسي، مثلـما تبين الاحصائيات هـذا الموضوع، وطبقاً لإحصائيـة بأن ٦٥،٣٪ من الرجـال المتزوّجين، قاموا بخيانة زوجاتهم ومارسوا العلاقة الجنسية مع نساء أخرى وارتبطوا بهن، وكذلك النساء».[٣٩]

ثم يستنتج الأستاذ التالي:

«للانتهـاء مـن هـذه الانحرافات، ومن ثم تخفيـف ثقل العلاقـة الزوجية، يجب عـلى الدولة قبول العلاقة الزوجية المؤقتة، بأن يقوم الطرفان في ظروفٍ معينة وبرغبة كل منهما انتخاب الآخر وتوقيعها بالمدة التي يرغبون بها».[٤٠]

بـدون ترديد، في يوم من الأيام سـتُعمل بهـذه الاقتراحات الاصلاحية، وتنتهـي هذه الانحرافات الجنسـية والمـضرّات الحارقة للبيـت والأسرة، ولكن الاسـلام منذ أربعة عشر قرن أبـاح المتعة (زواج

المتعة) بشروطٍ سهلة وفي نفس الوقت حفظ احترام الرجل والمرأة.

مع التوجه بأن الفقه الاسلامي يجوّز للرجل بأن يمنع نفسه من حصوله على الأطفال وذلك بعزل النطفة، ونتيجةً لذلك ستستمر الحياة الاجتماعية السليمة بدون مشاكل.

للمزيد من التوضيح:

الزواج المؤقت بالمزايا والوصف الذي هو عليه، لا يرتبط بتاتاً بالإجازة وبيع الانسان، لأن الزواج المؤقت لا يتفاوت مع الزواج الدائم من ناحية الماهيّة، حيث كلاهما زواج، ويتحتم أن يأتي كلٌ منهما بصيغة الزواج، غير أن المرأة التي تُجري عقد الزواج بمحض إرادتها وبكامل رضاها مع رجلٍ خاصٍ، فهي ليست إنسان أجرة، ولم تمارس عملاً يتناقض ويتنافى مع كرامتها الانسانية، نساء الأجرة هي التي تعمل وتقضي حياتها بدون أية قيود أو حدود في دور السينما وشركات التصوير والأفلام الخليعة وفي الكباريهات والفنادق، وتُقاد الى الانحراف الجنسي.

يقول المتفكّر الكبير العلامة مرتضي المطهري:

«وإذا أردت أن تعرف نساء الأجرة، وإذا أردت مشاهدة عبودية المرأة، فعليك بالسفر إلى أمريكا وأوروبا، والذهاب إلى شركات التصوير، لكي ترى ماذا تعني نساء الأجرة؟

وشاهد كيف تضع تلك الشركات حركات المرأة وأنوثتها وفنّها الجنسي في معرض البيع.

إن البطاقات التي تشتريها للدخول إلى المسارح وقاعات السينما، تعني في الحقيقة ثمناً تدفعه مقابل فعاليات ومشاركات «نساء الأجرة».

لاحظوا هناك، ما الذي تفعله المرأة المسكينة لكي تحصل على شيء من المال؟

فلابدّ لها من البقاء مدة من الزمن تحت إشراف خبراء الأعمال اللائقة والشريفة! لتتعلم أساليب الاثارة الجنسية، فتضع روحها وجسدها في خدمة مؤسسة تجارية، لتستطيع تلك المؤسسة أن تجلب عدداً أكبر من الزبائن.

لاحظوا ماذا يجري في المراقص والفنادق لتروا أي شرف كسبته المرأة؟ وكيف يتحتم عليها أن تدفع كرامتها وشرفها في خدمة الزائرين والضيوف، ثمن أجرة زهيدة، لتملأ جيوب أصحاب المراقص والفنادق الجشعين؟!

إن إمرأة الأجرة هي تلك المرأة التي تعرض نفسها على شاشة التلفزيون عبر آلاف التقليعات المصطنعة، لتؤدّي وظيفة الأجير وتكون دعاية لسلعةٍ من السلع التجارية، عسى أن تكسب عدداً أكبر من المشترين.

من الذي يجهل أن جمال المرأة على أرض العالم الغربي، وجاذبيتها الجنسية، وفنّها وروحها وبدنها

وبالتالي شخصية المرأة، تمثّل أداة هامشية لخدمة مصالح الرأسمالي الأوروبي والأمريكي؟».[٤١]

لا أدري لماذا إذا قامت المرأة بالزواج المؤقت مع رجل تحت ظل شروطٍ مفتوحة، يُعد هذا العمل تحقير وإهانة وضياع لحق المرأة، ولكن إذا قامت المرأة بالظهور بالطريقة التي يبغونها وبأطوارٍ مخادعة أمام أعينٍ حريصة، لتحصل على شيءٍ من المال، وتجر الآخرين إلى الفساد، ليس تحقير وإهانة للمرأة وتضييع لحقها؟؟

الاحصائيات تبين لنا الواقع، والذي حقاً لو طُبّق الزوج المؤقت بشروطه وحدوده في المجتمع، لصُدّت ومُنعت الكثير من الانحرافات والمفاسد.

وعلى حسب قول العلامة مرتضى المطهري:

«فهل ان الاسلام بوقوفه في وجه مثل هذا اللون من الاستغلال للمرأة، وتحذيرها من الوقوع في أسر هذا الشراك، ويمنعها من الارتزاق عن هذا الطريق، قد هبط بكرامة المرأة ومركزها؟ أم أن أوروبا القرن العشرين هي التي سحقت كرامة المرأة؟

حينما يأتي اليوم الذي تستيقظ فيه المرأة، وتتوفّر على الوعي السليم، فتبصر المطبّات التي أقامها رجل القرن العشرين مخفيّة على طريقها، فسوف تنهض لتقاوم كل ألوان الخداع، وعندئذٍ سيحصل لديها اليقين بأن الملجأ الوحيد والمدافع الجاد والصادق عنها هو «القرآن الكريم والاسلام».[٤٢]

إن الاسلام من أجل حمايته الشفيقة والعطوفة على المرأة والرجل من الناحية من جميع الجوانب النفسية، الاجتماعية والاقتصادية طرح قوانين - كالزواج المؤقت - ونظّمها، والتي حقاً لو طُبقت لرفرفت السعادة على جميع الناس، وولّت التعاسة.

وقد أكدت الروايات على أن الحكمة الأولية لهذا التشريع لم تتناول الرجال غير ذوي الحاجة، وإنما الرجال الذين لا ملجأ لهم لاشباع غريزتهم الجنسية، حيث نلاحظ أن الأئمة عليهم السلام منعوا الرجال المتزوجين عن المتعة، كما جاء في قول الامام الكاظم عليه السلام لعلي بن يقطين:

«ما أنت وذاك، قد أغناك الله عنها».[٤٣]

وقوله لآخر:

«هي حلال مباح مطلق لمن لم يغنه الله بالتزويج، فليستعفف بالمتعة، فإن استغنى عنها بالتزويج فهي مباح له اذا غاب عنها».[٤٤]

د: تعدد الزوجات

مـن أحـد الاعتراضـات التي تُطـرح بعنوان الحمايـة عن النسـاء والدفاع عن إعـلان حقوق البشر بأبواقٍ مختلفة الطنين، هي مسألة «تعدد الزوجات».

هل حقاً، يُعد «تعدد الزوجات» المطابق لحدود الاسـلام هتك لحرمة حقوق النسـاء؟ أم العكس، يُعـد تعـدد الزوجـات مع التوجـه للحدود الاسـلامية إجمـالاً، حماية عميقة وعطوفة وشـفيقة لنسـاء المجتمع؟

في البحـث التـالي، تطرّقنـا الى شرح هذا المطلـب، للمزيد مـن التوجه ودقة أعمـق في هذا البحث والتحقيق، نلفت نظركم الى التحليل التالي...

نظرة لتعدد الزوجات وتعدد الأزواج في الجاهلية

ظهر الاسلام في أجواءٍ مملوءة بأنواع من العلاقات الغير المشروعة بين المرأة والرجل وتحت عناوينٍ مختلفـة من النـكاح، كان للمرأة عدة أزواج وللرجل عدة زوجات، والـذي نعطف أنظاركم إلى أنواع الزواج بصورة مختصرة:

كان لعرب الجاهلية ثمانية أنواع من الزواج وهي:

١) نكاح الاستبضاع

وهـو أن يتيح الزوج لزوجتـه فرصة الزواج من آخر، لمدة محدودة، وهي في عصمته، كيما تنجب له نسـلاً أفضل، ويكون فيه أحد الصفات التالية والتي لا يملكها: مثلاً يكون شـجاع أو كريم وسـخي أو شـاعر أو كاهن وأمثال ذلك، وذلك بأن ينفصل الزوج عن زوجته ويوصي زوجته لتلقي بشـخص معين آخر لديه هذه الصفات، ويبقى الزوج بعيداً عن زوجته ما دامت لم تحمل من الشـخص الجديد،

وبعـد أن يتضـح حمـل الزوجة يقـترب منها ويعاشرهـا زوجها الأول بـدون أدنى إحسـاس بالضيق، ويصبح صاحب ذلك الطفل، وتأتي هذه الممارسة بغية تحسين النسل.

٢) نكاح الرهط

هذا النوع من الزواج كان من أنواع الزواج العادي والقانوني عند عرب الجاهلية، حيث يُعقد جمعٌ من الرجال، لا يزيد عددهم عن العشرة، علاقة مع إمرأة معينة، ويتكفّلون بنفقتها، وحينما تحمل هذه المرأة وتضع وليدها تدعو هذا الجمع إليها، ولا يستطيع أيٌّ منهم الامتناع - وفقاً لأعراف ذلك الوقت - فتعيّن من تشـاء أباً لوليدها، ولا يمكن للرجل أن يرفض نسـبة الوليد ةليه، ويُعد الوليد ابنه قانوناً، وبذلك ينجو الوليد من نقص «بلا أب».

٣) نكاح البدل

كان نوع من أنواع الزوج القانوني عند عرب الجاهلية، والذي يبين مدى تسلّط الرجال على النساء، وكان عـلى النحـو التالي: عندما يعجـب الرجل بإمرأة ما، يقـترح على زوجها بالتبديـل، فيهبه زوجته ويأخـذ إمرأتـه المعجـب بهـا، وكان التبديل يعتمد عـلى اتفاق الطرفـين، وكان من اللازم على النسـاء المسكينات الإطاعة والعمل بذلك.

٤) نكاح المقت

كان هذا اللون من الزواج من الألوان السائدة والرائجة في عصر الجاهلية، حيث إذا مات الرجل، تنتقل زوجته مثل سائر أمواله، في المرحلة الأولى إلى ولده الكبير (عندما لا تكون المرأة أمه)، فإذا كانت المرأة الجميلة، كان الولد يحتفظ بها وإلا يهبها إلى آخر ويأخذ مهرها.

وإذا لم يكن للمتوفى ولد كبير أو صغير، تنتقل زوجته إلى الأقارب من الرجال، كان من يميل إليها يرمـي إليهـا بقطعة من القماش فتنتقل المرأة إليه، وكل من يتزوجها كان له الحق بأن يمنعها من الزواج مع الآخرين إلى أن تموت.

٥) نكاح الجمع

كان من أحد أنواع الزواج بين عرب الجاهلية حيث يقوم الأغنياء والأثرياء بتهيئة جواري جميلة أم نساءٍ سفيهة للزيادة في ثروتهم، ويجمعهن بعقد إتفاق معهن، وكان أساتذة فن الإثارة وجذب الأفراد يعلمونهـن ذلـك (مثلـما تقوم شركات الإثـارة حالياً في دنيا الغـرب)، ثم يجعلـون كل منهن في منزلٍ، وينصبون علماً على ذلك المنزل، حيث يمكن لكل رجل أن يعاشرها ويقاربها، وبذلك العلم يُرفنّ.

وكانـت هؤلاء النسـاء تعـرف باسـم «ذوات الرّايات»، وحينما تلـد مثل هؤلاء النسـاء يجتمع كل الرجـال الذين تربطهـم بالمرأة التي أنجبت رابطة، ويدعى الكهنة وأصحاب الفراسـة، ليحددوا والد

هذا الوليد، على أساس الملامح المشتركة، ويضطر الرجل قبول تشخيص الخبير بالفراسة، ويعد الوليد ولده قانونياً.

٦) نكاح الخدن

تعني كلمة «خَدْن» بالصديقة والمعشـوقة، كانت النساء والرجال في الجاهلية الذين لأسبابٍ معينة لم يكـن لهـم نصيب بالاسـتمتاع الحرّ، يقيمـون روابط محرّمة مع الفـرد المرغوب والمراد، طبعاً ليسـت بالصـورة التـي لا يعرف أحـدٌ بذلك، وإنما كانت بالصورة التي لا تشـتهر بالفحشـاء وتصبح موضع طمع للجميع، ولكن لم تكن تُحسب كزواج عادي ورسمي.

٧) نكاح السّفاح

كان نـوع مـن الزواج في عصر الجاهلية والذي لم يكن له أي شروط وقيود، وكان زنا علني وعلاقة غير مشروعة.[٤٥]

٨) نكاح الشغار

وهو نكاح معروف في الجاهلية حيث كان يقول الرجل للرجل شاغرني أي زوجني أختك أو بنتك أو مـن تـلي أمرها حتى أزوجك أختي أو بنتـي أو من ألي أمرها ولا يكون بينهما مهر، ويكون بضع كل واحد منهما في مقابلة بضع الأخرى.

وقـد حرّم الاسـلام هـذا النوع من النكاح والرواية المعروفة «لا شـغار في الاسـلام» تدل على هذا النوع من النكاح.[٤٦]

هـذا الثـماني نوع من أنواع النـكاح في عصر الجاهليـة كان تعدد للزوجات وأيضـا تعدد للأزواج، وعلى ذلك كان التعدد موجود بهذه الأشكال المنحرفة.

تعدد الزوجات في الجاهلية

كان عـلاوةً عـلى تعـدد الأزواج، أيضـا تعدد الزوجات بأشـكال مختلفة رسـم وعُـرف عند قبائل العـرب، ولإرضـاء أهوائهم وإظهار رجولتهم ولزيـادة الأفراد والتفاخر عـلى القبيلة الأخرى، كانوا يقومـون بالـزواج من زوجات متعددة - بدون أيّ حـدّ - وأحياناً كان يصل عدد الزوجات لأحدهم أكثر من (٣٠٠) زوجة.

كان لرؤساء ومشايخ القبائل زوجاتٍ كثيرة، ويعتبرون ذلك نوع من الإفتخار، وكان هذا الموضوع سائد ورائج أيضا بين الأمم الأخرى بعناوين مختلفة.[٤٧]

يقـول «كوسـتـاوليـون» عـالـم الاجـتـمـاع الـفرنـسـي المعـروف في كـتـابـه «تمدّن الاسـلام

والعــرب» بعــد ذكره لــرواج تـعـدد الـزوجات قبل الاسـلام بين كل الأمـم بعناوين مختلفة فيما يلي:

«إن تعـدد الزوجـات المـشروع في الشرقيـين ليـس أسـوأ من تعـدد الزوجـات المخفـي والمتواري في الأوربيـين بـل العكـس، ذاك النحـو أفضل من هـذا النحو، ومن هنا نسـتطيع أن ندرك اسـتغراب الشرقيين الذين يزورون المدن الكبرى في أوروبا كسـياحة، من الاعتراضات التي تتّهمهم بها، وتفهم معنى نظراتهم الغاضبة في مقابل هذه الاعتراضات.

وأيضـا ندرك بسـهولة العلل التي أدت الشرائـع والقوانين الشرقية بإباحة مسـألة تعدد الزوجات بالرغـم مـن ما ذكرناه من قبل بأن العوامل الطبيعية والتكوين الجسـمي للنسـاء أيضا عامل مهم بهذا الخصوص».

ثـم يقول الفيلسـوف: «رؤسـاء الأسر الشرقية بسـبب ضرورة إدارة أسرهم، يلجـأون إلى الزواج من عدة نساء، وحتّى النساء بأنفسهن يجبرن رجالهن للزواج من أخريات، حتى يساعدن مع بعض في أعمال البيت والأسرة».(٤٨)

تعدد الزوجات من نظر الاسلام

أباح الاسـلام للرجال الزواج الى أربعة نسـاء زواج دائم بشروط وحدود، حيث نقرأ في الآية (٣) من سورة النساء الآتي:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا ما طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُباع، فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلا تَعْدلُوا﴾

لقد نقل المفسّرون شأنٌ خاص في نزول هذه الآية وهو:

كان مـن المألـوف قبـل الاسـلام أن الكثير من عـرب الحجاز يأخـذون اليتيمة إلى بيوتهـم لتكفّلها ورعايتهـا، ثم يتزوّجوها، ويملكون أيضا أموالها، ولأن حكمهـا كان بيدهم، فقد كانوا يخصصّون لها مهراً قليلاً، وعندما يتضايقون منها لأدنى سبب يتركونها بكل سهولة، وفي الحقيقة لم يكونوا مستعدين لمعاملتها كزوجة.

وهنا نزلت الآية السـابقة، فأمر كافلي اليتامى بمراعاة العدل والقسـط عند زواجهم باليتامى، وألا يمنعون أنفسهم عنهن ويختارون زوجاتهم من نساء أخريات.

العدالة أحد الشروط الأصلية لجواز تعدد الزوجات

عدم العدالة والظلم كان الموضع الأكثر للاعتراض في تعدد الزوجات وطُرح لحماية حقوق المرأة،

والذي نوعاً ما وُجِد قبل الاسلام بين الأمم المختلفة وبعد الاسلام، حيث كان الرجل يهتم أكثر بالمرأة التي يحبها أكثر ويفرق بينها وبين الأخريات، ولكن الاسلام أباح تعدد الزوجات بشرط رعاية العدالة بينهن، وصرّح في الآية السابقة بأنه إذا لم تتم رعاية العدالة بينهن فلا يجوز الزواج لأكثر من واحدة.

طبعاً، إن المقصود من العدالة هنا هي التي تختص بأمور الحياة مثل المبيت ومسائل الحياة والمعيشة والرفاه من جهة المأكل والمشرب والمسكن، وليست العدالة في القلب والعواطف الانسانية.

لأن العدالة في المحبة القلبية خارجة عن قدرة الانسان ولا يستطيع التحكّم بها ولا سلطان له عليها، لهذا السبب لم يكلف الله عزّ وجلّ على الانسان هذه العدالة (المحبة القلبية والميل النفسي)، ولكن الاسلام - مع هذا - يُحذّر من انسياق الرجل وراء عاطفة الحب والميل النفسي فيتحول تحولاً كلياً عن المرغوب عنها، فيتركها كالمعلّقة، لا هي ذات بعل ولا هي مطلّقة، بل عليه بالقصد في ذلك.

ففي الآية (١٢٩) من هذه السورة يقول الله عزّ وجلّ:

﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النّساءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾

لذلك إذا لم تُعلن المحبة القلبية وتُظهر ولم تكن سبب لترجيح بعض الزوجات على الأخرى، فهي ليست ممنوعة، ومن واجب ووظيفة الرجل أن يراعي العدالة في الأمور العملية والخارجية.

وعلى هذا، فالذين أرادوا أن يضمّوا آية إباحة تعدد الزوجات (الآية (٣) - النساء) بالآية المذكورة (١٢٩ - النساء) ويستنتجوا أن تعدد الزوجات في الاسلام ممنوع إطلاقاً، فهم خاطئون تماماً، لأن العدالة المقصودة في الآية (٣) من سورة النساء هي العدالة في نفقات الحياة والمبيت والعدالة في العمل، والمقصود من العدالة في الآية (١٢٩) من نفس السورة هي العدالة في القلب والتي هي خارجة عن سيطرة الانسان. والدليل على ذلك هو نفس الآية (١٢٩) من سورة النساء حيث نقرأ:

﴿فَلا تَمِيلُوا كُلَّ المَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالمُعَلّقَةِ﴾[٤٩]

هكذا وضع الاسلام القيود، واشترط الشروط لتعدد الزوجات حينما أباحه، مما جعل الرجل الذي تطالبه نفسه بالتعدد يتروّى فيه، ويحاسب نفسه على قصده وعزمه، وما يكون من مستقبل أمره في العدل الواجب، وذلك سعياً لمنع ما كان من ظلم النساء بقدر الاستطاعة.

فلسفة تعدد الزوجات في الاسلام

وهنا نتطرق بإيجاز إلى فلسفة تعدد الزوجات في الاسلام، حيث سنستنتج جيداً بهذا البحث أن تعدّد الزوجات إجمالاً ضرورة فطرية واجتماعية، وأنه ليس تحقير للنساء فقط وإنما خطوة في سبيل حمايتها، ولتوضيح هذا المطلب، توجّهوا إلى المطالب الآتية...

العوامل التي تبرر تعدد الزوجات في الاسلام هي عبارة عن:

١- زيادة عدد النساء على الرجال

عادة تهلك الحوادث والحروب الكثير من الرجال، تبين الاحصائيات بأنه من القديم كان عدد الرجال أقل من النساء، وتفوق عدد النساء على الرجال.

ويبين علم إحصاء السكان أن ذكور الآدميين بحسب طبيعتهم أكثر تعرضاً للوفاة من الإناث في أثناء الولادة، وفي الطفولة الأولى، كما تدل على ذلك الاحصائيات الخاصة بوفيّات الأطفال في جميع الشعوب الانسانية.

٢- بلوغ البنات قبل الأولاد واستعدادهن للعمل والانجاب[٥٠]

هذا الموضوع يدل على أنه إذا كان عدد المواليد الذكر والأنثى متساويان، فسيكون عدد البنات البالغات واللاتي لديهن الاستعداد للإنجاب في المجتمع أكثر من الأولاد البالغين.

مثلاً، إذا فرضنا أنه في منطقة معينة تولد كل سنة خمسون بنتاً وخمسون ولداً، بعد عشرون سنة (إذا لم يمت أحدهم)ت ستضاف ألف بنت وألف ولد لعدد سكان هذه المنطقة، ولكن من بين الألف بنت، خمسمائة منهن لديهن الاستعداد للإنجاب واللاتي متولدّون في السنة الأولى حتى السنة العاشرة، ولكن من بين الألف ولد، يكون مئتان وخمسون ولد فقط بالغين ومستعدين للانجاب والذين متولدون في السنة الأولى إلى الخامسة.

ونتيجةً لذلك، يصبح عدد البنات ضعف عدد الأولاد خلال عشرون سنة، وهذا من أحد المزايا الطبيعية التي وهبها الطبيعة والتكوين، ولا يمكن المبارزة والقتال ضد قانون الطبيعة والخلقة والتكوين.[٥١]

٣- منع معاشرة النساء في فترة الحيض وقبل الولادة وأثناء النفاس

إن الجماع بالنساء عند الحيض ممنوع، وكذلك ليس لديهن استعداد للجماع عند النفاس وعدة أيام قبل الولادة، بينما تكون الغريزة الجنسية في بعض الرجال قوية ولا يستطيع الصبر عليها وإقناعها في هذه الأوقات، ونتيجةً لذلك، من الممكن أن يلجأ إلى الانحراف الجنسي ومصرفاً آخر غير مشروع لشهوته، لذا ينبغي ومن الخير أن يكون هناك مصرفاً مباحاً مشروعاً لإقناع غريزته الجنسية ألا وهو الزواج مرة أخرى.

٤- طبقة السيدات اللاتي لا ينجبن بعد سن الخمسين

يكون الذكر مستعداً لوظيفة النسل والانجاب من سن البلوغ وحتى سن المائة - غالباً، والأنثى

تكون مستعدة لوظيفة النسل من سن البلوغ إلى سن الخمسين تقريباً، على أكثر تقدير، وتعني ذلك أن النساء لها الاستعداد لوظيفة النسل فقط في نصف عمرها الطبيعي، إذن لماذا الرجل ممنوع من الاستفادة من قدراته الطبيعية لزيادة النسل؟

فإذا لم يبح الزواج للرجل بأخرى، لعطل استعداده للنسل طيلة المدة الفارقة بين نهاية استعداده للنسل، ونهاية استعداد المرأة للنسل، فيتعطل بذلك الهدف الأساسي من الزواج ألا وهو النسل وبقاء النوع الانساني.

٥- الحل الأساسي عند عقم النساء

إذا كانت المرأة عقيمة ولا يرغبان - معاً - الانفصال عن بعض وإبقاء الرابطة الزوجية، حينئذٍ يكون الحل الأساسي هو أن يتزوج الرجل بإمرأة أخرى، ويكون من مصلحة الزوجة العقيمة أن تظل في عصمته مع زوجة أخرى، لتكون في كنف رجل ينفق عليها ويعولها، فيكون ذلك خيراً من أن يطلّقها.

٦- مرض الزوجة

عندما تمرض الزوجة بصورة يمنعها الطبيب من المعاشرة، حينئذٍ ليس هناك حل للزوج إلا الزواج مرة أخرى، أو تصيب المرأة بمرضٍ مزمن لا برء منه أو يطول برؤه فيدعو الرجل إلى الزواج بأخرى.

بالتوجه إلى هذه العوامل الستة، وُضحت لنا فلسفة وحكمة جواز تعدد الزوجات في الإسلام، وإذا توجهنا بدقة أكثر للوازم وآثار هذه العوامل عند البحث في هذه المسألة من الناحية الحقوقية، نجد أن الاسلام بوضعه لهذا القانون قد حفظ وراعى حق النساء وحق الرجال وحق المجتمع، وليس تضييع للحق والقضاء عليه.

تحليل العوامل الستة

بخصوص العامل الأول والثاني: أخذ الاسلام بعين الاعتبار حق النساء، لأنه طبعاً في هذين العاملين، عدد النساء المستعدة للزواج دائماً أكثر من الرجال، والاسلام الذي يضع ضرورات الحياة في مقدمة تشريعه للقوانين ولحفظ حق النساء بتشريعه لقانون تعدد الزوجات، أراد أن يكون لها زوجاً، وأطفالاً وأسرةً، ويقتضي العدل والانصاف بأن لا يكون هناك نساءً بلا أزواج حيث لا يُخفى على أحد العواقب الوخيمة من جرّاء ذلك، لتوضيح هذا المطلب توجّهوا إلى الخبرين الآتين...

١- تنوي خمسة ملايين من البنات في ألمانيا الانتحار بسبب هم وغم عدم الزواج والعنوسة.[٥٢]

٢- في سنة ١٩٥٥ في ألمانيا، اعترضت فئة من النساء العوانس بكل صراحة الجهاز المشرّع في ذلك

البلـد وطلبت إغاء قانون منـع تعدد الزوجات، وإباحة قانون تعدد الزوجـات كما هو الحال في قانون الاسلام بهذا الشأن.[٥٣]

النتيجة: إن الحقيقة هي أن العاملان الأوليان أوجبا بأن يجيب الاسلام إيجابياً للاحتياجات الفطرية والضرورية للنساء واحترام أحاسيسهن.

أما بالنسـبة للعامل الثالث والرابع والسـادس (عدم اسـتعداد المرأة للمعاشرة) يجب أن نذعن بأن في هـذه الحالـة يجب رعاية حق الرجال، وبدون تجويز تعدد الزوجات سـيضيع الحق الفطري للرجال ويُهدر.

وبالنسـبة للعامـل الخامس (عقم النسـاء) أيضـا هو حق من حقـوق الرجال الطبيعيـة وحاجتهم المشروعـة بأن يكـون لديهم أطفال، وبمنع تعـدد الزوجات يضيع الحق الصحيح واللائق والمسـتحق للرجال أيضا.

تبـيّن لنا ممـا ذكرناه بإختصار، وثبـت أن قانون تعدد الزوجات أقيم في الدرجة الأولى على أسـاس رعاية حقوق المرأة والرجل، ووُضع للإجابة على مطالبهم الطبيعية.

رعاية حق المجتمع

عـلاوةً عـلى أن من اللازم رعاية حق المـرأة والرجل، يجب مراعاة حق المجتمـع أيضا، حيث يعود ذلك أيضا إلى راحة وأمان المرأة والرجل في المجتمع.

فقـد حـلّ في الاجتـماع - الذي مُنـع فيه تعـدد الزوجات - محلّـه الروابط الجنسـية الغير المشروعة وحلّت أنواع المفاسد الاجتماعية والمدنية على البشر كما هي الحال في دنيا الغرب، وفي هذه الحالة ضاع حق المجتمع، وأعمى دخان المفاسد الاجتماعية عيون الجميع.

مفاسد مثل: شيوع الأمراض الناتجة من المعاشرة، مشكلة الأطفال الغير مشروعة، مشكلة إسقاط الجنين، الزيادة في مسـتوى الطلاق، اليأس من الحياة والزيادة في الانتحار، الهرج والمرج والالتجاء إلى الإدمان، و.... غيرها.

اعتراف علماء الغرب بالعواقب الوخيمة والمشؤومة لمنع تعدد الزوجات

يقول العالم الانجليزي «جان ديون بورت» في كتابه (العذر والتقصير في ظل محمد والقرآن):

«قانون منع تعدد الزوجات من جانب الكنيسة هو السبب لشيوع الفحشاء والانحرافات الجنسية بين الأمم المسيحية».[٥٤]

اعترض «اسحاق تيلر» في أحد خطبه التي ألقاها في أحد مدن ألمانيا بين جمعٍ من الكنائس، وقال: «صحيح أن المسيحيين لا يتزوجون بأكثر من زوجة واحدة، ولكن كلنا نعلم بأن وراء الجدران خفاء وخيم، ولديهم ارتباطات وعلاقات غير مشروعة بعدة نساء».[٥٥]

بعد الحرب العالمية الثانية، تم الاحساس بموضوع تعدد الزوجات والحاجة الشديدة والملحّة إليه في الدول المحاربة وخصوصاً في دولة ألمانيا والذي أجبر المتفكّرين على البحث لحل مشكلة منع تعدد الزوجات، وتجديد النظر فيه، حتّى طلبوا منهج تعدد الزوجات في الاسلام من جامعة الأزهر بمصر، وقاموا بمطالعته ودراسته، ولكنهم أجبروا على توقف هذا المنهج من قبل الحملات الصعبة للكنيسة، ونتيجةً لذلك، ظل الفحشاء المخيف والانحراف الجنسي وازداد واتّسع وغطّى الدول المشاركة في الحرب.[٥٦]

يقول «كوستاولبون» المتفكّر الاجتماعي الفرنسي:

«وأما بالنسبة للغرب فرغم أن الظروف الطبيعية فيه لا تقتضي ظهور مثل هذا العرف، إلا أننا نجد عرف «الزوجة الواحدة» مسطوراً في كتب القانون فقط، وأظن أنه لا يمكن إنكار، أن هذا العرف لا أثر له في واقع علاقات الجنسين.

حقاً إنني حائر ولا أدري: أي شيء ينقص نظام تعدد الزوجات المشروع في الشرق عن تعدد الزوجات الذي يمارسه أهل الغرب، ولمَ ينقصه؟ بل أقول أن الأول أفضل من الثاني من كل جانب وأكثر لياقة، إن أهل الشرق حينما يزورون بلداننا يستغربون اعتراضاتنا...».[٥٧]

آخر حديث

تعدد الزوجات بشروطه وحدوده، في الواقع هو رعاية للحقوق الفطرية للمرأة والرجل والاجتماع، ولكن معه هو تضييع لحقوق المرأة والرجل والمجتمع، ولحفظ تعادل الرجل والمرأة، وطهارة الأجواء، مضطرين لاختيار أحد الطرق الثلاثة الآتية:

١- أن يقتنع الرجال بزوجة واحدة في جميع الأحوال، وتبقى الكثيرات من النساء بلا أزواج لنهاية العمر، وتقضي على جميع احتياجاتها الفطرية ومطالبها النفسية.

٢- أن يكون للرجال زوجة قانونية واحدة فقط، ولكن يقيم علاقات جنسية حرة وغير مشروعة بالنساء اللاتي بلا أزواج واتخاذهن خليلات.

٣- إباحـة تعـدد الزوجات للذيـن لديهم القدرة عـلى إدارة أكثر من زوجة واحـدة، وليس لديهن مشـكلة من الناحية الجسـمية والمالية والأخلاقية ولديهم القدرة على إجراء عدالة كاملة بين الزوجات والأطفال.

بالتأكيد لا يوجد طريق آخر غير هذه الطرق الثلاثة.

اختيـار الطريـق الأول: يعنـي المبـارزة ضـد الفطـرة والاحتياجـات الروحيـة والجسـمية وإنكار إحساسات وعواطف النساء بلا أزواج وإبقائهن بلا بيت ولا طفل ولا أسرة، وفي ذلك الخطر الداهم على المرأة نفسها وعلى المجتمع الذي تعيش فيه.

وبتعبير أوضح، تعدد الزوجات في الحالات الضرورية يجب البحث فيه ليس فقط من نظر الزوجة الأولى وإنـما يجب البحث والمطالعة فيه من نظر الزوجة الثانية، أولئك الذين يرون مشـكلات الزوجة الأولى في تعدد الزوجات، يرون زاوية واحدة فقط من مسـألة بأربع زوايا، لأنه يجب النظر في مسـألة تعـدد الزوجات من أربع زوايـا: زاوية الرجل، زاوية الزوجة الأولى، زاوية الزوجة الثانية، وأيضا من زاوية المجتمع وحفظه من الانحرافات الجنسـية، ويجب القضاء والحكم آخذين بعين الاعتبار الزوايا الأربعة ومصالحهم جميعاً.

اختيار الطريق الثاني، يؤدي إلى تعريف الفحشاء والانحرافات بصورة رسمية، وظهور الكثير من المفاسد، وتحطيم الشخصية الانسانية والغير خافي عن كل عادل ومنصف.

اختيـار الطريـق الثالث، سـيكون الطريـق الوحيد المعقول والحـل الايجابي للإحتياجـات الفطرية للمـرأة والرجـل، وعلاوةً عليذلك سـتنجو المجتمع من دوامة الذنب والانحـراف والجنسي وعواقبه المشؤومة والوخيمة.

ولكـن مثلـما قلنا: يجب التوجه إلى رعاية العدالة، والاجتنـاب الجدّي عن أية أمور انحرافية والتي يتبرأ الاسـلام منها، وفي غير هذه الحالة اللجـوء إلى تعدد الزوجات غير صحيح، ويجب على الذين لا يستطيعون إجراء العدالة الامتناع جدّياً عن تعدد الزوجات.[٥٨]

حديث عن تعدد الأزواج

وهنا يسـأل البعض: من الممكن أن تكون الشروط والظروف التي أبيحت بسـببها تعدد الزوجات للرجال، تحصل عند النساء أيضا، فهل يسمح لها في هذه الحالة تعدد الأزواج؟

الجواب

إن جواب هذا السؤال غير صعب لأن:

أولاً: علـى خـلاف المعروف بين العامة، الميل الجنسي عند الرجال أكثر بمراتب عن النسـاء، وغالباً تُبتلى النساء بحالة «برود المزاج»، وليس له الميل إلى التعدد في الأزواج.

ونجد أيضا بين الكائنات الحيّة أن الإظهارات الجنسية تبدأ من جنس الذكر.

ثانيـاً: تعـدد الزوجـات عند الرجال لا يسـبب لهم أية مشـاكل اجتماعية وحقوقية، بينما إذا النسـاء اختارت زوجين، فسـتظهر من جرّاء ذلك مشـاكل كثيرة، مثل عدم معرفة نسب الإبن، النزاعات بين الأزواج في الاستمتاع بالمرأة، ومسائل أخلاقية أخرى.

ولا يمكن الاعتماد على وسائل منع الحمل أولاً، وثانياً يجب التوافق بين الأزواج للتحكم في المواليد حيث لا يمكن ذلك.

ثالثاً: برود المزاج عند المرأة هو بحدّ ذاته مشكلة أخرى والتي لا تستطيع لوحدها الإرضاء الجنسي لعدد من الرجال، وتزيد المشكلة في فترة الحيض والنفاس، ومثل هذا الزواج لن يكون عملي.

رابعـاً: إن الهدف الأصلي للزواج هو بناء وتكوين أسرة سـليمة وبلا مشـاكل، ومع تعدد الأزواج كيف يمكن إيجاد مثل هذه الأسرة؟

وأيضا تعدد الأزواج غير معقول وغير منطقي بتاتاً للمرأة، وإذا بالفرض تم تأمين المرأة من الناحية المالية، فمثل هذه الفائدة في مقابل الانحرافات ومفاسدها ومشاكلها تكون في حدّ الصفر.

بينـما تعـدد الزوجـات عند الرجـال، وبالتوجـه إلى شروطه، منطقـي وأيضا معقـول وأيضا عملي ومُريحٌ للبال.

هـ : تكوين الأسرة والأمومة

أجر بناء الأسرة والأمومة

إن الهـدف الأصلي للزواج هو تكوين أسرة سـليمة، والحصول على النسـل الصالـح، ويعني منبع لبناء الانسان والسعادة في جو البيت الصغير.

ولأن المـرأة هـي الركـن الممتاز للأسرة، ومجـرى الأسرة ولها دور أقرب من الرجـل وأكبر في تربية الأطفـال الصالحـة، فقد وهبهـا الخالـق والله سـبحـانـه وتعـالى ميــزة عاليـة، وتـلــك الميـزة هـي الأمومــة، فـإذا منعــت المرأة لأسـبـاب عـن بـعــض المسـئـولـيـات كـالجـهــاد، القضــاء، قـيادة الحكومة وجعل الطلاق بيدها (في غير الموارد الاسـتثنائية).... وغيرها، فإن لها مميزات تُعوّضها جميع تلـك الممنوعـات، فمقام الأمومة ليس أقـل من مقام القضـاء والحكم والوظائف الأخـرى، بل مهم جداً.

تربية الإبن تعني بناء الانسان حيث لا يوجد شيء يضاهيه، وواضح أن النساء لهم نصيب أكبر من الرجال في بناء الانسان.

رعاية الزوج وتكوين أسرة وإدارتها بُعدٌ آخر لمميزات المرأة والتي هي مقام خاص جداً وعظيم.

وبشأن الأمومة نلفت نظركم إلى الروايات الآتية:

١- قال رسول الله ﷺ: «الجنة تحت أقدام الأمهات».[٥٩]

٢- ونقل أيضا: جاءت إمرأة مع ابنها إلى الرسول ﷺ، وكان يريد الولد الذهاب إلى ميدان الحرب والجهاد ولكن والدته أمنعته، فقال الرسـول ﷺ للولـد: «عند أُمّك قَرَّ، وإنّ لك من الأجر عندها مثل ما لك في الجهاد».[٦٠]

٣- جاء رجلٌ مسيحي ويدعى زكريّا - والذي بعد مطالعته لآيات القرآن وصل إلى أحقيّة الاسلام

وأسلم – الى الامام الصادق عليه السلام، وبعدها أخبر الامام قصة اعتناقه الاسلام قال: إن والديّ مسيحيان و والدي أعمى، فهل أكون معهم، أم أبتعد عنهم؟

قال الامام الصادق عليه السلام: «هل يأكلان لحم الخنزير؟»، فقال: لا.

قال: «كن معهم واخدمهم».

ووصّاه الامام عليه السلام بخصوص والدته وقال:

«فانظر أمك، فبرّها، فإذا ماتت فلا تكلها إلى غيرك، كن أنت الذي تقوم بشأنها».(٦١)

٤–قال الرسول صلى الله عليه وآله: «إذا دعاك أبواك، فأجب أمّك».(٦٢)

٥– جاء رجل إلى الرسول صلى الله عليه وآله وقال:

«يا رسول الله! أتمنى بأن أقبّل عتبة الجنة وجبهة حور العين». (يعني أدخل الجنة)

قال له الرسول صلى الله عليه وآله: «قبّل رجلي أمّك، وجبهة أبيك».(٦٣)

٦– قال موسى عليه السلام لله سبحانه وتعالى: «أوصيني»، فقال الله عزّ وجلّ مرتان: «أوصيك بأمّك»، وفي المرة الثالثة قال: «أوصيك بأبيك».(٦٤)

مسئولية رعاية البيت

إن أجر وثواب ادارة البيت ورعايته كثير جداً فقد قال الرسول صلى الله عليه وآله:

«ساعة خدمة في البيت أفضل من عبادة ألف سنة وألف حجّة وألف عمرة، وعتق ألف رقبة».(٦٥)

وعن جزيل ثواب رعاية الزوج قال الرسول صلى الله عليه وآله:

«مَن تراعي زوجها وتهتم بشئون حياة أهل البيت وإدارته هي كالمجاهدين في سبيل الله».(٦٦)

وعن تربية الإبن، قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من قبّل ولده، كتب الله له حسنة، ومن فرّحه فرّحه الله يوم القيامة، ومن علّمه القرآن دُعي بالأبوين، فيُكسبان الحُلّة حُلّتين يُضيء من نورها وجوه أهل الجنة».(٦٧)

قال موسى عليه السلام في مناجاته مع الله سبحانه وتعالى: «يا رب أي الأعمال أفضل عندك؟»، قال عزّ وجلّ: «حبُّ الأطفال».(٦٨)

هذه الروايات والتي هي نماذج من عشرات والمئات من الروايات تبين عظمة مقام الأمومة، ورعاية الزوج والمنزل والأطفال، فإذا قارنّا القيم التي وضعت للمرأة نجد أنها أكثر وأعمق من القيم

التي عند الرجال.

لذلك المرأة في الحقوق الاسـلامية إجمالاً لم تحقّر فقـط وإنما مُنحت أعظم وأعلى وأفضل المميزات، والتـي هـي أفضل من جميـع قيم الرجـل، فهل يمكن في نفـس الوضع القول: أن النسـاء قـد حُقّرت وهُدرت كرامتها في نظر الاسلام.

ز- مسألة الحجاب ومحدوديّة المرأة

اعتراضات المعارضين في ستر المرأة

من أحد الأمور التي طُرحت لحماية حقوق المرأة، وتُعرف في دنيا الغرب بأنها مؤدّية لتضييع حقوق المرأة باسم الحرية، هي مسألة الحجاب، أو بعبارة أفضل مسألة «ستر المرأة في الاسلام»، يقولون:

١- أن الانسان سواء رجل أو امرأة خُلق حرّاً، والحرية مفهومٌ مقدس والتي الجميع معها وفي صفّها، ولكن الحجاب والستر الاسلامي هو قيد للمرأة، ويجعلها تنزوي فتُحرم من مواهب الحرية.

خلق الله سبحانه وتعالى - وعلى قول البعض الطبيعة - غرائز في كيان الانسان، والتي أحدها هي «الغريزة الجنسية»، ولا يجب حبسها وكبتها والقضاء عليها، بل إشباعها بكل حرية، وإلا ستؤدي الى العقد النفسية والأمراض الروحية.

٢- النساء نصف المجتمع ويجب أن تكون مع الرجال جنباً إلى جنب في أنواع السعي للتمدن السياسي والاقتصادي، ليس صحيح بتاتاً بأن يُجر نصف المجتمع الانساني في المجتمع إلى الإنزواء، ويُبعد عن ميدان السعي، إن الحجاب عامل مهم لهذا الانزواء لأنه قيد، وبالطبع ستتخلف النساء عن المشاركات والفعّاليات الأدبية والاقتصادية والسياسية.

٣- أدّى الحجاب وستر المرأة إلى إيجاد مسافة بين المرأة والرجل، وهذا الموضوع هو الذي جعل الرجال حريصين على النساء، فتُلهب نار الميل الجنسي لديهم، لأنه من القديم وثُبت من الناحية النفسية أن «الانسان حريص على ما مُنع».

٤- سيقضي ستر المرأة على الكثير من المصالح والمنافع، وأحياناً إهمال هذه المصالح يؤدّي الى السقوط وآلام أبديّة، مثلاً الشاب الذي يريد أن يتزوج بامرأة، كيف يمكن له أن يتعرّف عليها وهي

مخفية وراء الحجاب؟ ألن يكون زواج ذلك الشاب بتلك الامرأة، كاختيار أعمى لشريك الحياة إلى آخر العمر؟

٥- إذا كان الحجاب يحفظ النساء من الروابط الغير المشروعة، ومن بروز الانحرافات الجنسية والفساد، إذن لماذا يجب على المرأة في نظر الاسلام أن تراعي الحجاب كاملاً في الصلاة، بالرغم من وجودها في غرفة مغلقة، ألا يعتبر هذا النوع من العمل كوضع القيود على المرأة؟

الاجابة على هذه الاعتراضات

١- الحرية كلمة مقدّسة، ولكن لكل شيء حدود، مثلاً هل يمكن للإنسان الحر أن يأكل طعاماً مسموم؟ هل هو حرٌّ في أن يأكل أضعاف طعامه المعتاد عليه؟ هل هو حرٌّ في أن يقوم نصف الليل والجيران نائمون ويرفع صوت الطبل ويصحيهم؟ هل... وهل....؟

قطعاً للحرية حدود، تكون الحرية مقدّسة عندها لا تؤدّي إلى الضرر ولا تبعث على سلب حريّة الآخرين، جميع المتفكّرين يعتقدون بأن للحرية طريقتان:

- الحرية الصحيحة.
- الحرية الخاطئة.

لقد أثبتنا بالدليل والمنطق بأن الحرية التي تظهر فيها المرأة في الساحة أمام الملأ العام بدون ستر اسلامي هي حرية خاطئة ولا يقبلها العقل أبداً ومثل هذه الحرية فاسدة.

المساعي المختلفة للنساء في الساحات الاجتماعية

٢- صحيح أن النساء نصف المجتمع، ويجب أن تسعى في كل مجالات الحياة، ولكن الستر الاسلامي لا يجعلها أبداً في انزواء، وليست مقيّدة إطلاقاً ولا يعوقها عن مشاركتها في ساحات العمل والفّعاليات والمشاركات، لأن الحجاب ليس بمعنى قيد الستار، بل هو بمعنى سترٌ معقول، ولسنا بحاجة الى الاستدلال في هذا الاعتراض في عصرنا الحالي، لأننا نرى المرأة تعمل علناً وتسعى ليلاً ونهاراً بحجابها الاسلامي في جميع المجالات وميادين الحياة مثلاً في الدوائر الرسمية، والمستشفيات والجامعات والمحلات... وغيرها، ولا يعوقها الحجاب والستر الكامل عن المشاركة، فقد أصبحت بحجابها دكتورة وطبيبة ومهندسة وأخصائية ومدرّسة وغيرها من الوظائف، ولم تنزوي كما يقولون، بل إن الحجاب مانع لانحرافها وحافظ لعفتها وحياتها وحماية لها لتحقيق آمالها وعونٌ لها في مساعيها ومشاركاتها الحميدة في جميع مجالات الحياة.

ونتساءل، أليس رعاية البيت والأطفال هي عمل اقتصادي وأدبي مهم جداً؟

وبالنسبة لفعاليّات المرأة ومشاركاتها خارج المنزل بحجابها الاسلامي، يوجد شواهد في تاريخ الاسلام لذلك، في عهد الرسولﷺ والخفاء وفي عهد حكومة الإمام صاحب الزمان (عج)، والتي نلفت نظركم إلى عدة نماذج من ذلك:

ألف: يقول مفضّل بن عمر: قال الامام الصادقعليه السلام: إن مع الإمام المهدي (عج) ثلاثة عشر نساء، فقلت: ماذا تعمل هذه النساء؟ قال: «يداوين الجرحى ويمرّضن ويعالجن جروحهم، مثلما كانت تفعل النساء في عهد الرسولﷺ أثناء الحروب».[٦٩]

ب: نقل في الروايات أنه بعد غزوة أحد امتلأ جسم الامام أمير المؤمنين عليعليه السلام بالجروح، حيث بلغ عدد جروحه البليغة ستون جرحاً، وأمر الرسولﷺ امرأتان وهما أم سليم وأم عطيّة بمداواة ومعالجة وتطييب جروح الامام عليعليه السلام، فسارعتا للعمل بهذا الأمر، وقالتا: «لقد كانت جروحه بليغة وصعبة لدرجة أننا كنا نداوي جرح نجد الآخر قد انفك».[٧٠]

ج: قال الامام الباقرعليه السلام: «.... ويجيء والله ثلاث مئة وبضعة عشر رجلاً، فيهم خمسون إمرأة يجتمعون بمكة على غير ميعادٍ، قُزعاً كقُزع الخريف».[٧١]

وعلى هذا نجد أنه يجب أن تشارك النساء وراء الجبهة، وتحمل مسئولية إنسان كامل مثل فاطمة الزهراء (س) وزينب الكبرى (س)، وتؤدّي رسالتها بأحسن ما يمكن، لذلك الستر الاسلامي ليس قيد للنساء وسجنها في البيت أبداً.

٣- هذا الاعتراض هو نوع من المغالطة، وأيضا بلا أساس، لأن الستر في الاسلام ليس بمعنى حرمان المرأة والرجل من إشباع الغريزة الجنسية بالطريق الصحيح، حتى يؤدّي إلى المزيد من العطش والانفجار، بل إذا تم تطبيق الاسلام في الزواج وتم تسهيله، فإن الغريزة الجنسية تكون قد أُشبعت بالطريق الصحيح ولن تكون هناك مشكلة، وبالمقارنة بين وضع الدول التي تراعي الحجاب بالدول الغربية، نفهم بوضوح أن العشرات والمئات الأضعاف من الفساد التي تنشأ من قلة العفة والحياء، والسفاهة أقل من الدول الغربية، لذلك هذه السفاهة تزيد من العطش الجنسي لدى الرجل والمرأة، وليس الحجاب والتقيد في حفظ الحجاب والعفاف، والإحصائيات تشير إلى أن الفساد في الدول التي لا تطبّق الحجاب الاسلامي، أكثر بمراتب من الفساد في الدول التي تراعي الحجاب، وهذه شواهد عينية غير قابلة للخلل والتي تبيّن فوائد الحجاب وأنها وقاية للكثير من الرذائل وبعكس السفور الذيهو وسيلة قريبة وعامل مؤثر لزيادة الفساد واتساع الانحرافات.

٤- للإجابة على الاعتراض الرابع يجب القول:

أولاً: لستر النساء فوائد ومصالح مهمة جداً للمجتمع ولها، والذي لا يمكن الاستغناء عنه في بعض المصالح الفرضية والجانبية.

ثانياً: أمر الاسلام بوجوب الستر في الأمور التي فيها مصلحة مهمة، بل وأحياناً يرى بأن عدم الستر واجب، فقد رخّص الاسلام بالنظر إلى المرأة الأجنبية من الرجل الأجنبي إذا وجدت ضرورة إلى ذلك، كنظر الطبيب إلى المريضة في حالة عدم وجود طبيبة، وعلى سبيل المثال إذا غرق رجل أو احترق ولا يوجد رجل آخر لمساعدته ونجاته، ولكن توجد نساءٌ أجنبيات بالنسبة للرجل، فمن الواجب عليهن مساعدته وتغطيته ونجاته.

وكذلك أباح الاسلام بل ندب واستحب نظر الخاطب الى من يرغب في الزواج منها مع التوجه لمصلحة المستقبل، وأباح النظر إلى مواطن الزينة فيها حتى يعرفها.[٧٢]

حتى الرسول ﷺ أمر الخاطب - في هذه الحالة - بأن ينظر الى البنت المختارة، مثلما نقل في الرواية:

خطب مغيرة بن شعبة من إمرأة ما، فقال له الرسول ﷺ:

«انظر إليها فإنه أحرى أن يدوم بينكما».[٧٣]

ومن جهة أخرى، يستطيع الشباب مع رضا الطرفين وبإجازة من والد البنت، بإجراء عقد زواج مؤقت لمدة معينة، حتى يتعرّفان على بعض بصورة كاملة ومن ثم يتزوجان زواج دائم.

لذلك، لن تضيع أية مصلحة برعاية الستر الاسلامي وأوامر الاسلام.

٥- فلسفة الحجاب في الصلاة هي النقاط الآتية:

أ- الحجاب أفضل حالة للنساء، والصلاة أيضا أفضل عمل عبادي، وما أفضل من أن تصلي المرأة صلاتها في أفضل حالة من حالاتها، والتي هي حالة الستر.

ب - الصلاة ليست فقط عبادة وإنما تربية وتعليم ومدرسة كبيرة ذات حمل كثير، والتي تُعلّم دروسٍ مختلفة، وأحد دروسها هي درس الحجاب للنساء، وتدعوها عملياً للحجاب.

ج - بالتوجه إلى الخمس الصلوات الواجبة في الليل والنهار، ترتبط النساء المسلمات خمس مرات بالحجاب الاسلامي مع الله سبحانه وتعالى، وهذا التكرار في العمل يعلّمهن كيفية الحجاب، وهذا الأمر المقدّس يجعل الحجاب عادة حسنة لهن، ويقوّي ارتباطهن بالحجاب، قطعاً مثل هذا التكرار وفي الصلاة، سيكون تمرين عميق وحسن لرعاية حفظ الستر.

فلسفة الحجاب

ستر المرأة في الاسلام بُني على أساس الفطرة، العقل، الكرامة الانسانية للمرأة، وحفظ طهارة الأجواء المحيطة بها، ومنع أنواع الانحرافات المدمّرة، وفي نفس الوقت لن يؤدّي إلى توقف الفعّاليات والمشاركات السياسية، الاجتماعية، الأدبية والاقتصادية للمرأة، توضيح:

١- الحجاب من زاوية الفطرة

إن ستر النساء والرجال، قبل كل شيء من مطالب فطرتهم الطاهرة وتكوينهم الوجودي والذاتي، لأن من بداية خلق البشر حاول كل من المرأة والرجل تغطية أنفسهما بأي نحو كان، وبدون أن يتلقّوا بهذا الخصوص أي تعليم أو درس، هذا الموضوع يبين بأنه يوجد في نطفة الانسان عامل الهداية ألا وهو «الحياء» الذي يريد أن يحفظ الانسان من الأخطار والانحرافات ويهديه إلى الطريق الصحيح.

وعلى هذا الأساس جاء في القرآن:

عندما أخرج آدم وحوّاء من الجنة بعد أكلهم من الشجرة التي نُهي عنها، وجدا أنفسهما عاريان، ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفانِ مِنْ وَرِقِ الجَنَّةِ﴾[٧٤]

لم يكن آدم وحواء عراة قبل هذه الحادثة، بل كانا متغطّيان بستار من الجنة، ولكن بسبب خطأهما، أُخذت تلك الكرامة والستار منهما، وبعد هبوطهما إلى الأرض، وعندما وجدا أنفسهما عراة من تلك الكرامة، أسرعا وسعيا لتغطية كل منهما الآخر[٧٥]، سرعتهم في تغطية أنفسهما بورق الجنة تدل على أن الستر أمرٌ فطري وذاتي للمرأة والرجل، والبشر يجد نفسه مضطراً للردّ على نداء الفطرة ستر نفسه.

وطبقاً لرواية نقلها ابن عباس أنه بعد هذه الحادثة جاء وعلٌ من الجنة، وقاما بذبحه، فعملت حوّاء من جلد الوعل لباس طويل لآدمعليه السلام ولباس وحجاب لها.

وعلى كل حال تبين هذه القصة القرآنية أن موضوع الستر شيءٌ فطري، وأمر الستر ينبع من طلب تكوين وذات الانسان.

٢- الحجاب في نظر العقل

لزوم الستر في نظر العقلا يحتاج إلى توضيح، لأن كل عقلٍ سليم يرى استقامة الانسان في كل شيء يمنح الانسان الكرامة ويحفظه من الانحرافات والضلال والضياع، ويرى كل شيء يبعث على الفساد الأخلاقي والعواقب المشؤومة للسفور مذموم، وهذا مطلب وجداني وعقلي ويأتي بالاصطلاح «قياساتُها معها».

إن العقل كالنبراس المضيئ حيث يفرّق بين القبائح والأعمال الحسنة وبين عوامل السعادة والتعاسة، مثلما سنقول في فلسفة الحجاب، إن الحجاب عامل من عوامل السعادة، ويؤدّي لسلامة وتكامل الفرد والمجتمع، والسفور يبعث على الانحطاط وعواقب وخيمة، وعلى هذا الترتيب نحصل على نتيجة عقلية بأن الحجاب وسيلة لازمة ولائقة جداً للنساء والرجال، وبصورة كلية كل شيء يبعث على الفساد والانحراف يراه العقل بأنه حرام، وكل شيء يبعث على رشد وتكامل وسلامة الفرد والمجتمع يراه العقل بأنه لائق ويلزم الانسان على أدائه.

صفة «الحياء» من فروع العقل، ووجود الحياء في الانسان يدعوه إلى الستر والعفّة، وعلى عكس قلة الحياء والتي هي من فروع الجهل، تدعو الانسان إلى السفور وقلة العفّة.

٣- النظرة المنحرفة لبعض الرجال وتبرج النساء

دائماً الغريزة الجنسية في الرجل قوية جداً، حيث لشدّتها يجعل الرجل يتعلق بالنساء، إذا لم تُشبع هذه الغريزة بصورة صحيحة فستؤدّي إلى الانحرافات وعواقبها الوخيمة، وتظهر آثار هذه الغريزة في نظرات الرجال، فإذا كانوا أحرار وغير ملتزمين بالدين ولا يوجد حدود للتحكم، يلجأون إلى النظرات الخبيثة والمنحرفة ومن وراء ذلك ستظهر ارتباطات وعلاقات غير مشروعة وأنواع أخرى من الفساد، ومن جهة ثانية، تحب المرأة كثيراً التزين والتبرج وإظهار نفسها الى درجة أنه إذا لم تكن هناك قوانين وضوابط للتحكم بها، لظهرت عريانة.

النتيجة

إذا لم تكن العفة والستر الصحيح في المجتمع، فإن كل من المرأة والرجل سيتقاربان كالنار والقطن، ويشتعلان، ومن الواضح أن الدخان الأسود الخارج من النار سيجلب الضرر لعيون المجتمع، ويبعث على الأنواع المختلفة للفساد، وبالتالي إلى الجرائم المختلفة.

على هذا الأساس قال رسول الله ﷺ: «المرأة عورةٌ، فإذا أخرجت استشرفها الشيطان».[٧٦]

وبعبارة أوضح: للمرأة في خلقتها وتكوينها لطاقة أكثر من الرجل، فإذا دخلت في مجتمع لا يحكمه القانون ولا المجتمع فإن حكم العقل والمنطق فيه ضعيف، فإنها ستظلم من جهة الرجال الذين قدرتهم وخشونتهم الجسمية أكثر.

إن الحجاب والستر للمرأة والرجل هو الحصن المنيع لمنع الظلم والتعدّي على حقوق الآخرين، فإذا تحطّم سدّ الحجاب المنيع، ستصيب المرأة بنفس البلاء الذي أصاب دنيا الغرب والغربيين، وبحق

نستطيع أن نقول إن الخسارة التي خسروها في هذا الطريق (السفور) كثيرة جداً الى درجة لا يمكن مقارنتها بأية خارة أخرى.

إذا لم تُحدّ غريزة التبرج والتجمّل وإظهار النفس لدى النساء، فإنها ستجرها الى ارتداء الملابس الملفتة للنظر والضيقة والقصيرة، واستخدام أدوات الزينة المختلفة، ثم النظرات المنحرفة للرجال السفهاء تلحق تلك الزينة، ونتيجة لذلك ستسوق كل من الرجل والمرأة إلى الفراغ، والذي ليس إلا الضياع والتلف والبعد عن العلم والمعرفة والأخلاق وتشتت قوانين الحياة، وعلى هذا الأساس يقول القرآن بعد بيان حفظ النظر:

﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾[٧٧]

٤- حفظ حرمة وكرامة المرأة

المرأة في نظر الحقوق والشخصية الانسانية سواء مع الرجل، وجاءت حرمتها وكرامتها لأن الاسلام يعتبرها وينظر إليها كإنسان شريف، وليست وسيلة جنسية ووسيلة إعلان للسلع وديكور الغرف وسبب لجذب السيّاح و.... وغيرها.

تلك المرأة التي تخرج من بيتها سفور أو بحجاب ناقص، عشرات بل المئات من الأفراد المرضى بالقلب ينظرون إليها بنظرة شهوة أو يلقون عليها بكلمة تتأذى من ورائها، في الحقيقة مثل هذه المرأة نسيت هويّتها وسقطت في شبكة صيّادين الشهوة والانحراف، ألم تهدر تلك المرأة كرامتها؟ وهل تستطيع مثلها التخطّي في الطريق الصحيح للسعادة، وتكون امرأةً صالحةً وقدوةً حسنة لعائلتها؟

يجب ألا ننظر إلى ابتذال المرأة وسقوط شخصيّتها بنظرة سطحية وعابرة لأن الخسائر التي تنتج منها للبشر أكثر من العواقب الوخيمة للمخدرات، مع التوجه بأن أحد العوامل الرئيسية والمهمة للابتلاء بالمخدرات هي سفاهة الرجل والمرأة وعدم حفظ عفة المجتمع.

في المجتمع الذي سقطت فيه شخصية المرأة الى درجة أنها أصبحت لعبة أو سلعة رخيصة نتيجةً لانعدام قانون الحجاب فيه، يتم نسيان القيم المعنوية كليّاً، كيف يمكن للمرأة في مجتمعٍ كهذا إدراك هوّيتها وحفظ شخصيتها الانسانية من تلوث المجرمين؟

هل هناك سبب غير خسارة النفس وعدم التوجه لكرامة النفس، لجر البشر إلى الرذائل والتلوث والفراغ؟

لذلك يجب أخذ العبرة من كل تلك النتائج المشؤومة كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«من لم تقوّمه الكرامة، قوّمته الإهانة».[٧٨]

ملاحظة:

يجب أخذ العبرة برؤية المفاسد والعواقب المشؤومة للذنب، والتي تؤدّي إلى سقوط الشخصية، وإعادة المياه إلى مجاريها قبل فوات الأوان، إذا توجهنا إلى فوائد القوانين الناصعة للاسلام، على الأقل نأخذ عبرة من أضرار السفاهة والسفور.

٥- اتساع دائرة الفساد

من أحد العوامل المهمة للفحشاء والمنكرات والجرائم المُخرّبة في دنيا الغرب والتي ارتفعت الآهات الجميع منها هي السفور، طبقاً للإحصائيات القطعية والمستندة، يوماً بعد يوم بل ساعة بعد ساعة ولحظة بعد لحظة يزيد عدد تشتت الأسر والطلاق والأطفال الغير مشروعة والانحرافات الجنسية والذي كل منه سيكون عامل للجرائم والانحرافات المختلفة والكثيرة من غير ذلك، بصورة أن المتفكّرين التربويين يأسوا من إصلاح المجتمع، لأن من أحد العلل المهمة لذلك هي أن سوق السفور والبعد عن الحجاب والعفاف والحرية في الروابط جعلت النساء كالسلعة المشتركة، بحيث أن كل زوجين لا يملكان بعض، ونتيجة لذلك لا يوجد مفهوم للقداسة في العلاقة الزوجية وتبعاً لهذا المنهج تتلاشى كخيط العنكبوت وتظل الأطفال بلا وليّ، وهذا الوضع هو أساس للإدمان، الجرم والجنحة، الانحرافات الشديدة، والقتل والجناية، ويجعل المجتمع كالزمام المقطوع، إلى درجة أن إحصائية الطلاق في أمريكا وصلت إلى ٥٠٪، ويعني ذلك بأن من بين كل عائلتين، عائلة واحدة ينتهي بها إلى الطلاق والتفكك.

وتطالعنا الصحف - يوميا - الحوادث والجنايات المخيفة في المجتمع، ويمكن أن ندرك جيداً العواقب الوخيمة للسفور أو الحجاب الناقص، وعلى سبيل المثال، ذكرت إحدى الصحف: ذهب رجل إلى مجلس ضيافة، وبعد تناول طعام الغداء، خرج صاحب البيت إلياالخارج لقضاء حاجة ما، أثناء ذلك قام الضيف وقتل الزوجة من بعد الاعتداء عليها، وبعد القبض على القاتل، سألوه: لماذا قمت بهذه الجناية القبيحة والشنيعة؟

قال: «إنني في الليلة السابقة، رأيت تلك السيدة في حفلة عرس، فعشقتها ولم أستطع التحكم بنفسي والسيطرة عليها، في النهاية صمّمت على هذا العمل».

هذه الحادثة والعشرات بل المئات مثلها تحذّر المجتمع بأنه يجب على النساء مراعاة الجاب، حتّى لا تكون سبب للجنايات الموحشة، ويجب تطبيق موازين الاسلام في مجالس العرس، ويجب على الرجال الدقة في ارتباطاتهم بأصدقائهم، ولا يدخلونهم في بيوتهم حتّى يطمئنوا من عفتهم».

وهنا لنستمع إلى قسم من حديث السيدة «س،ص» الأمريكية المسلمة حديثاً بهذا الخصوص، المقيمة في أمريكا، تقول:

«في فصل الشتاء، حيث الناس مطرهة للستر أكثر من فصل الصيف بسبب البرد، تقل الاعتداءات العنيفة وجرائم الاغتصاب بصورة ملموسة، ولكن في الصيف حيث تقوم النساء علاوة على حر الجو وتقليدها للموديلات البحث عن حجة، حتى تخفف من ملابسها لأقصى درجة، وتظهر نصف عارية بحجّة الحره، فتزيد الاعتداءات العنيفة وجرائم الاغتصاب عليها وحتّى على العجائز، ويصل الوضع إلى درجة أن المجرمين يغتصبون الراهبات في هذا الفصل لأن الوضع الظاهري للنساء يثير الرجال المنحرفين ويزيد من هيجانهم الغير مطلوب ونتيجةً لذلك يسبب الاعتداء والاغتصاب العنيف وعواقبه المشؤومة.

لذلك سلامة الروح والمجتمع ترتبط ارتباطاً مستقيماً بالستر الصحيح، وبالعكس عدم رعاية الستر، قطعاً يؤدّي إلى مرض المجتمع».[٧٩]

٦- الأمراض النفسية

عندما لا تستر المرأة نفسها وتظهر دلالها ومحاسنها، طبيعياً سيصيب الرجال وخاصة الشباب الذين هم في مرحلة طائشة من الغريزة الجنسية باضطراب الأعصاب والهيجانات العصبية، وكما يقول أطباء النفس: «الهيجان المستمر يؤدّي إلى مرض النفس».

الاسلام بأوامره المتقنة مثل أمر الستر، يهدف لأن يكون للانسان أعصابٍ هادئة، وابعاد روحه ونفسه عن الهيجانات والأفكار التي تسبب الضيق والهم، ومثل هذا الموضوع يرتبط بالعين والأذن السليمة، النظيفة والطاهرة والروابط السليمة، من الواضح أن السفور والحجاب الناقص عامل مهم لتلويث العين والأذن وجعلها غير طاهرة، وسبب لبناء الروابط الغير سليمة.

بعبارة أخرى الستر يعدّل من الغريزة الجنسية للرجل والمرأة، ويسيطر عليهم من إتّباع أهواء النفس، وله دور مهم في منع طغيان النفس الأمّارة، ولكن بالعكس إذا تحطّم حصن الستر، ستتحول النفس الأمارة إلى وحشٍ قاسي، وتبلع صاحبها وتجعل حياته والمجتمع غير هادئة ومتزلزلة وفي اضطراب، ويظهر الوضع الروحي المريض في الانسان.

٧- رواج حضارة الغرب أو سهم من سهام الاستعمار

من أحد السهام المهمة التي يستخدمها الاستكبار العالمي والاستعمار لانحطاط وسقوط أمم

العالم الثالث المظلومة حتّى يفرّغونهم من الأعماق، ونتيجة لذلك سلب الاستقلال منهم، ويجعلونهم في حاجة إليهم دائماً، هي رواج حضارة الغرب المبتذلة، واصطلاح آخر هجوم حضارة الغرب.

استخدم الاستعمار هذا الطريق استخداماً سيئاً، وأيضا بهذا السهم تحكّم على المستضعفين وجعلهم تحت سيطرته.

مثلاً نرى في تاريخ كشف الحجاب بإيران، ان الاستعماريون وخاصةً استعمار الانجليز، أمروا عناصر قذرة بأن يشرعوا بالعمل لتنقية الاسلام وتفشّي ونفوذ حضارة الغرب في إيران وتركيا وأفغانستان في آنٍ واحد، فبدأوا بالعمل وبنفوذ حضارة الغرب في إيران ووجّهوا ضرباتٍ كثيرة للأصالة الانسانية، ولذلك حديث مفصّل.[٨٠]

٨- الحجاب رمز لمقاومة المرأة أمام هجوم حضارة الغرب

بلاشك أن المجتمع يتحمّل تجمّلات وتزيّنات النساء، لأنه مثلما قلنا أن المرأة تحب كثيراً التظاهر وإلفات النظر، وإذا لم يكن هناك قانون أو حدود، فإنها ستظهر زينتها وحُليها إلى أقصى حد ممكن، وعندما تزور الجيران وتجد عندهم أحدث الأثاث والزينة، ترجع إلى بيتها وتطلب كل ذلك من زوجها، وتبدأ بالوسوسة المستمرة في أذن زوجها حتّى تصل إلى مقصدها، إنّ حب إلفات النظر والتظاهر عندها شديد لدرجة أنه إذا لم يكن هناك رادع أو أي منهج للحدّ من ذلك، فإنها ليس فقط ستُظهر زينتها بل ستظهر جسمها للأجنبي.

جعل لها دين الاسلام الحجاب بمعنى الستر والعفة والحياء (وليس الانزواء والابتعاد عن المجتمع)، وإذا حفظت هذه الحرمة وعرفتها، فإنها ستكون عامل مؤثر للمبارزة ضد التجمّل والتزيّن وصدّ ومنع دخول وهجوم الحضارة الغربية المبتذلة.

الحجاب الاسلامي هو رمز لمقاومة المرأة المسلمة أمام إنحدار السلع المخادعة الغربية.

الحجاب الاسلامي هو اللباس الحربي للمرأة المسلمة الذي يمنع التلاعب بها ويجعلها تشمئز من العبث والحياة الصناعية والفارغة للغرب، كما يقول «فرانتس فانون» الاجتماعي الانقلابي الجزائري: «المرأة التي تراها في الخارج ولا ترى منها شيء، تلقائياً تُضايق الاستعمار».[٨١]

نعم، إذا عاشت المرأة في حُرمة الستر سترى الاستعمار ولكن لن يراها الاستعمار، والذي يُخيف الاستعمار السياسي من قبل دم الشهيد الأحمر هو سواد عباءة المرأة المسلمة، فهي تخيف حضارته.

الستر يجر المرأة إلى الحياة الانسانية الأصيلة بدلاً عن الحياة المخادعة للغرب.

إذن الحجاب رمز لمقاومة المرأة، فإذا فقدت المرأة هذا العامل البنّاء، فستُساق الى حياة التلاعب

وتُصبح وسيلة لإتساع التجمّلات والتشريفات والمراسيم الفارغة والمسرفة اللائقة لسلع الغرب.

يوجد لستر المرأة عدة فلسفة مثلاً: ان الحجاب يؤدّي إلى تقوية الأسرة ووقايتها من التفكك، وأنه العامل الاستقلالي الفكري للمرأة و..... غيرها، ومراعاةً للاختصار انصرفنا عن ذكرها.

حضور السيدة فاطمة الزهراء (س) في الميادين السياسية والاجتماعية مع حفظها للحجاب

ولإكمال وتهذيب المطلب وتبيين بأن الحجاب في الاسلام ليس التقيد بالستار وحبس المرأة، بل أباح الاسلام للنساء الاستفادة من حق الحرية في حدود معقولة ومطلوبة وبدون أضرار جانبية، وجدت أنه من الضروري ذكر كيفية مشي السيدة الزهراء (س) من البيت إلى المسجد لإلقاء خطبة بين ازدحام جمعٌ من النساء والرجال، حتّى يتضح لنا بأن السيدة الزهراء (س) التي هي قدوة منقطعة النظير للنساء المسلمات، في حين أنها كانت تراعي الستر الاسلامي بمستوى عالي، إلا أن ذلك لم يمنعها من الإشتراك في الخطابة للدفاع عن الحق، وأظهرت حضورها بالحجاب والعفاف في الميادين السياسية والاجتماعية، وهنا نلفت نظركم إلى كيفية مشي السيدة الزهراء (س) وسيرها إلى المسجد وشروعها بالخطبة:

نقل عبدالله بن حسن (حفيد الامام حسن المجتبى‏عليه السلام) عن أجداده، عندما استولى أبو بكر وعمر معاً على قدك، ووصل هذا الخبر للزهراء (س):

«لاثت خمارها[٨٢] على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لُمَةٍ من حقدتها، ونساء قومها، تطأُ ذُيُولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله، حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشدٍ من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فَنِيطت دونها ملاءةٌ[٨٣]، فجلست، ثم أنّت أنّةً أجهش القوم لها بالبكاء، فارتجّ المجلس، ثم أمهلت هنيئة حتى أسكن نَشيج القوم، وهدأت فورتهم، افتتحت الكلام.....»[٨٤]

التحليل:

في العبارة السابقة يوجد خمس نقاط تبين كل منها حفظ حرمة العفاف والحجاب لدى الزهراء (س) في هذه الحادثة:

١- أنها وضعت على رأسها حجاب يغطّي بصورة كاملة رأسها ورقبتها وصدرها، والكلمة «لائت» - أي لفّت - تعني بأنها غطّت رأسها ورقبتها بإحكام وليس بخفة حتى بأقل حركة يُرفع الحجاب عن رأسها ويظهر شعرها.

٢- أن الزهراء (س) ليست علاوةً على حجابها، لباسٌ فوق ملابسها مثل العباءة حيث غطّت

جسمها كاملاً (واشتملت جلبابها).

٣- اللباس التي كانت ترتديه كان طويلاً لدرجة أنها كانت تتعثر به (تطأ ذيولها).

٤- أنها كانت تمشي بمتانة ووقار كالرسول ﷺ (يعني لم يصدر منها أي حركة غير مناسبة وبعيدة عن النزاهة في مشيتها).

٥- علاوةً على ذلك، نصبوا لها ستاراً في المسجد وجلست خلفه وخطبت بينما كانت النساء تحيطها.

النتيجة:

إذا كانت الزهراء (س) التي هي أفضل نساء العالمين والتي يجب اتخاذها كقدوة صالحة، ظهرت بهذا الشكل بين الناس مُراعية وملتزمة بكل موازين حفظ حُرمة العفاف والحجاب، لذا لم يُرى في خطبتها أي علامة تدل على ظهور إمرأة أمام أعين الرجال بصورة تتعارض مع حُرمة العفاف وتسيء إليها.

إذن تستطيع المرأة في ظل حُرمة العفاف والحجاب، الحضور والظهور في الميادين السياسية والاجتماعية المختلفة.

ج: مسألة الميراث

ملاحظة

اعترض دعاة المساواة بأن سهم المرأة في الارث في الاسلام نصف سهم الرجل، لماذا لا تُعامل كمعاملة الرجل في الميراث؟

للردّ على هذا الاعتراض سنبحث أولاً عن وضع المرأة في السابق ثم وضعها في الاسلام في مسألة الميراث، لم نشرح علّة ذلك الاعتراض.

كانت المرأة في العالم القديم وفي الجاهلية تابعاً للرجل في كل شيء مسلوبة الحق والإرادة ووصل الأمر في بعض القبائل إلى حدٍ جعلها كالمتاع، تورث كما يورث، وتنتقل إلى الورثة كما ينتقل، وكانوا يحرمونها من كثير من الحقوق، ويرون أنها ليست أهلاً لتلك الحقوق ولا يعطونها استقلالاً وشخصية قانونية في حين أن المتبنّي كان يرث والمعاهد يرث أيضاً، ولم يكن للمرأة سهمٌ في الإرث بل كانت نفسها إرثاً تورث.

ومما سلبته الجاهلية المرأة الميراث، فقد كانوا يرون أنها لا تستحق أن ترث من أقاربها شيئاً، لأنها: لا تحمل السيف، ولا تحمي ولا تحوز الغنيمة، لذا كان الميراث، وقفاً على ذوي البلاء في الحروب، من الأولاد الذكور وحدهم، يأخذه الأكبر فالأكبر، ولأن المال الذي يعطي لها يذهب إلى الغرباء الذين تزوجت إليهم، وقد يكونون من الأعداء وهم حريصون على أن يبقى مالهم في أسرهم، فكانوا يحرمونها من الميراث، ومن أي حقٍ مالي آخر كالمهر والوصية وغيرهما.

وفي ضوء الاعتقادات القديمة كانت الأمهات مجرد وعاء تنمو فيه نطف الرجال ليأتي الوليد إلى الدنيا، على هذا الأساس كان الإعتقاد القديم يذهب إلى أن أبناء الرجل أبناؤه وجزء من أسرته، أما أبناء بنات الرجل فليسوا أبناءه ولا جزءاً من أسرته، بل يعدون جزءاً من أسرة والد زوج البنت.

في هذا الضوء، لو حازت البنت على الإرث ثم انتقل إلى أبنائها فيما بعد، فهذا يعني أن إرث البنت يفضي إلى انتقال الثروة إلى أسرة غريبة أخرى.

مـن أجـل ذلك جاء الاسـلام والمرأة تعامـل هذه المعاملة الجائـرة، فأزال عنها ذلـك الحيف وأبعد الظلم، وقرر لها نصيباً من الميراث، حقاً مفروضاً، خالصاً لها، لا منّة فيه لأحد ولا فضل، ونزل القرآن يقرر مبدأ حقّها في الميراث حيث قال:

﴿لِلرِّجالِ نَصيبٌ مِما تَرَكَ الوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُون، وَلِلْنِّسـاءِ نَصِيبٌ مِما تَرَكَ الوَالِدَان وَالأَقْرَبون، مِما قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُر، نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾ (النساء – ٧)

فـكان هـذا قلباً كامـلاً للأوضاع السـائدة، وتغييراً جذريـاً لمألوفات الأحقاب والقـرون، وتحطيماً لـشرع البيئة، وتقاليدها القائمة على الفروسـية وحماية الذمار: صار للمـرأة نصيب في الميراث، بعد أن كانت هي نصيباً من الميراث، وأصبحت تملك وتتصرف في ملكها بعد أن كانت هي مملوكة.

أثناء نزول الآية مات أخو حسـان بن ثابت الشـاعر المعروف وترك زوجةً وعدة بنات، سيطر أبناء عمّ الميت على سـائر تركته ولم يعطوا شـيئاً لزوجته وبناته، رفعت الزوجة شـكواها إلى رسـول الله ﷺ، فأحضر الرسـول ﷺ أبناء عم الميت فقالوا للرسـول ﷺ: أن المرأة لا تقدر على حمل السـلاح ومواجهة العدو، ونحن الذين يجب أن نحمل السيف، وندافع عن أنفسنا وعن المرأة، فلابد أن ترجع التركة لنا أيضاً، غير أن الرسول ﷺ أبلغهم حكم الله، دون أن يصغي لكلماتهم.

وتوالت الايات، تفصّل نصيب كل وارث وتبيّن مقداره.

وبهـذا قضى الاسـلام على ظُلامـة من ظُلامات الجاهلية للمرأة، عاشـت أسـيرة لهـا قروناً طوالا، وعانت بسببها كثيراً من تبعيتها للرجل وتسلّطه عليها وتحكّمه بها.

علّة جعل نصيب المرأة نصف الرجل

وقد اعترض الدّاعين بالمسـاواة بأن القوانين الاسـلامية جعلت سهم إرث المرأة نصف سهم إرث الرجل.

وترجع العلة في جعل سـهم إرث المرأة نصف سـهم الرجل في الاسـلام إلى الوضع الخاص الذي تتمتع به المرأة من ناحية المهر والنفقة والقتال وبعض القوانين الجزائية.

يرى الاسـلام المهر والنفقة أموراً ضرورية في أحكام أواصر الزواج وتأمين سعادة الأسرة وتحكيم الوحدة بين الزوج والزوجة وإلغاء المهر والنفقة من وجهة نظر الاسـلام – والنفقة على الخصوص – يفضي الى تزلزل أساس الأسرة وينتهي الى جر المرأة نحو الفساد، وحيث أن الاسلام يجد المهر والنفقة

ضرورتين مما يؤدّي الى انخفاض مستوى حاجة المرأة الى المال، جرّاء تحمّل الزوج مسئولية النفقات، أراد الاسلام أن يجر هذا التحميل عن طريق الإرث، فجعل سهم الرجل ضعف سهم إرث المرأة، لذلك المهر والنفقة هما اللذان أدّيا إلى هبوط سهم إرث الزوجة.

ونجد أن توزيع الأنصباء على الورثة متفق مع عدالة الاسلام في توزيع الأعباء والواجبات، فالرجل يتزوج فيعول امرأة (زوجته)ت وأولاداً.

والبنت تتزوج فيعولها الرجل، ولا تعوله ولا تكلّف بشيء من ذلك، ولو كانت ثرية وهو فقير.

البنت في حال الصغر، نفقتها على أبيها أو أخيها أو قريبها الذكر وفي الكبر على زوجها والإبن في حال الكبر يعول نفسه وأسرته، ومن لا عائل له من أهله وذويه.

نفقة أولادها بعد الزواج على أبيهم، بخلاف نفقة أولاد الإبن فإنها عليه.

الرجل يتحمل نفقات الضيافة والعقل والجهاد والمرأة لا تتحمل شيئاً من ذلك.

فقد وضع الاسلام في اعتباره تلك الأعباء والتكاليف والإلتزامات التي كلّف بها الرجل حين أعطاه ضعف نصيب الأنثى في الميراث، ولو دقق النظر في مقدار ما يخسره الرجل من المال، للقيام بتلك الأعباء والتكاليف لعرفنا أن الاسلام كان كريماً متسامحاً مع المرأة حين طرح عنها كل تلك الأعباء وألقاها على كاهل الرجل، ثم أعطاها نصف ما يأخذ.

وكان من إعتراضات الملحد ابن أبي العوجاء على السلام قوله: ما بال المرأة المسكينة الضعيفة تأخذ سهماً ويأخذ الرجل سهمين؟؟

فأوضح الامام الصادقعليه السلام في الإجابة على هذا الاعتراض أن الاسلام أسقط الجهاد عن المرأة، مضافاً إلى أنه جعل المهر والنفقة على عاتق الرجل، وأعفاها من تحمّل ديّة الجناية الخطأية التي يرتكبها الأقارب، ومن هنا جعل سهم إرث المرأة أقل من الرجل.

فالصادقعليه السلام عدّ بصراحة وضع المرأة الخاص في الإرث معلولاً للمهر والنفقة وسقوط الجهاد والدّية.

وهنا نجد أن المرأة بهذا التشريع الكريم ربحت من جانبين:

الأول: قرر لها حقّاً في الميراث ولم يكن لها أي شيء من ذلك في الجاهلية.

الجانب الثاني: قدّر لها هذا الحقّ بنصف نصيب الذكر مع طرح كافة الأعباء والالتزامات المالية عنها ومن هنا يظهر مقدار تكريم الاسلام لها، وتقديره إياها وفضله عليها.

و: بحث وضجة الطلاق

مـن أحد البحـوث والقضايـا المثيرة للضجـة المرتبطة بحقوق النسـاء هي مسـألة الطـلاق، يقول المنـادون ببيـان حقوق البشر والذي يحمي عن قانون مسـاواة المرأة والرجـل في الحقوق، بأنه ينبغي أن يكـون لـكل من المرأة والرجل الحق في الطلاق بصورة متسـاوية، ويجـب أن لا يكون حق الطلاق بيد الرجل فقط، فإذا كان ذلك – مثلما يقول الاسلام – فقد ظلم حق المرأة.

هـل حقاً هدر الاسـلام حـق المرأة في هذا الأمـر، أم تقييد المرأة في الطلاق فيه نفع للنسـاء والأسر والمجتمع؟ لتوضيح هذا الموضوع المهم، نلفت نظركم الى المطالب الآتية:

ألف: الطلاق أو آخر حل للهروب من العُقد

الطلاق ظاهرة مشـؤومة في نظر الاسـلام وتمّ طرحه كآخر حل بعد انسـداد كل الطرق، وقد قيّده وحـدّده بقيـود وشروط ثقيلة لأنه باعـث لتفكك الأسرة وآثار مشـؤومة ومُرّة، ولكـن أحياناً تحصل مشـاكل بـين الرجل والمرأة ولا يوجد حل أو طريـق للفرار منها، لذا تم تشريع قانون الطلاق، مثلا في بعـض الأمور التي تكـون في المرأة إنحراف فكري من ناحية الديـن والاعتقادات المذهبية، ولا يمكن تحمّلهـا وإبقائهـا على الذمة، أو مثـلا في بعض الأمور التي لا يمكن تحمّـل كل منهما الآخر أو أحدهما بسبب سوء الأخلاق، أو بسبب الفساد والتلوث تتبدّل الحياة إلى عار وتظهر المشاكل الانحرافية، وفي مثل هذه الأمور اذا لم يكن الطلاق، سـتنقلب حياة الأسرة إلى عذاب وجحيم، لذلك وافق الاسـلام عـلى أصـل الطلاق للنجاة من تلك العُقد، إذن أصل الطـلاق ضرورة اجتماعية، ولكن يجب أن يكون في أقل حدّ ممكن.

لذلك مُنع الطلاق مطلقاً في الدين المسيحي المحرّف ليس ميزة لأنه في الأمور الاستثنائية لا يوجد

حـل غـير الطلاق، هل من المعقـول في مثل تلك الأمـور أن نفرض على الزوجين بـأن يكونا مرتبطان ببعـض مـدى العمر قانونياً، ولكن منفصلين عن بعض وكل منهما يتخذ زوجْ آخر لنفسـه بصورة غير رسمية؟

إن مثـل هـذا المنهج مؤكّداً هو منهج انحرافي، وتكون الحياة واهية أو خيالية، لذلك يجب أن يكون هناك قانون الطلاق كاخر حل للأمور الاستثنائية.

نقـل في حيـاة الامـام الباقرعليه السلام أنـه كان للامـام زوجة يحبهـا كثيراً، ولكـن بعد مدة طلّقهـا الامام وانفصـل عنها، فسـألوه بعض مواليه عن سـبب ذلك الانفصـال، قال الامام الباقـرعليه السلام: «إنّي ذكرت عليّـاًعليه السلام، فتنقصته، فكرهت أن ألصق جمرة من جمار جهنم بجلدي». (أدركتُ بوجود ضغينة في قلبها بأمير المؤمنين علىعليه السلام)[٨٥]

يقـول خطّاب بن مسـلمة: كان لي زوجة سـيئة الأخـلاق (حيث غير ممكن الحيـاة معها)، وذهبت الى الامام الكاظمعليه السلام للشـكوى منها، قبل أن أتكلم قال الامامعليه السلام: زوّجني والدي من امرأة، ولكنها كانـت سـيئة الأخـلاق فذهبت لأشـتكيها عنـد أبي، قـال لي أبي (الامـام الصادقعليه السلام: «مـا منعك من فراقها؟ قد جعل الله ذلك إليك».

فقلت في نفسي: حللت عقدتي وأرحتني».[٨٦]

ب: بغض الطلاق في الاسلام

وفي نفس الوقت عرّف الاسـلام الطلاق بأبغض الحلال عند الله، وحذّر من التهاون بشـأنه بأشـد التعابير والألفاظ، وهنا توجّهوا إلى عدة نماذج من الروايات الخاصة بذلك.

١– قال رسـول اللهصلى الله عليه وآله: «ما من شيء أحب الى الله عزّ وجلّ من بيت الذي يُعمّر بالنكاح، وما من شيء أبغض الى الله عزّ وجلّ من بيتٍ يُخرّب بالطلاق».[٨٧]

٢– وقال أيضاً: «تزوّجوا ولا تطلّقوا فإنّ الطلاق يهتز منها العرش».[٨٨]

٣– قال الامام الصادقعليه السلام: «يحب الله البيت الذي يعمّر بالنكاح، ويعدى البيت الذي فيه الطلاق، ما أحلّ الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق».[٨٩]

ونقل أيضا روايات في الأمور الاستثنائية، حيث ننقل منها هذه الرواية كنموذج:

قـال الرسـولصلى الله عليه وآله: «مـن الأمـور الـتـي لا يسـتجـاب فـيـه دعـاء الـرجـل هـي: أن يكـون للرجل زوجةً سـيئة الأخلاق وتعذّبه بأخلاقها السـيئة، ويسـتطيع الانفصال عنهـا ولكن مع ذلك لا يطلّقها».[٩٠]

ج: أجر الاصلاح بين الرجل وزوجته

وصّى الاسـلام كثيراً عند حـدوث خلاف بين الزوجين بأن يقوم أفـراد للإصلاح بينهما - كما قلنا من قبل، ومن الأفضل أن يتدخل الأقرباء ولكن المقصود من عدم التدخل هو عدم التدخل في الأمور الجزئيـة والتـي يجـب فيها تركهـا، ولكن عندما يكـبر الخلاف ويصبـح ذو جـذور وبالتوجه لمصلحة الطرفين والاجتناب عن التمايل لأحدهما والتعصّب له، من الضروري هنا التدخل والاصلاح بينهما.

قـال الامـام الصادقعليه السلام: «العطيـة التي يقبلها الله سـبحانه وتعـالى هي الاصلاح بـين الناس عند اقترابهم من الفساد، والصلح بينهم عندما يفترقون عن بعض». [٩١]

يقـول مفضّل بن عمـر أحد تلامذة الامام الصـادقعليه السلام البارزين: قال لي الامـام الصادقعليه السلام: «إذا رأيت بين اثنين من شيعتنا مُنازعة فافتدها من مالي» (يعني إذا كان النزاع يرتبط بأمور مالية، فادفع لهما الغرامة من مالي حتى يتم الصلح بينهما).

وقع نزاع بين أحد الشيعة ويدعى أبو حنيفة مع صهره في ميراثٍ، فتدخّل مفضّل بينهما ودفع ٤٠٠ درهم للصلح بينهما، وبعد الصلح قال: «أما إنها ليست من مالي، ولكن أبو عبدالله الصادقعليه السلام أمرني إذا تنازع من أصحابنا في شيء أن أصلح بينهما وأفتديهما من ماله، فهذا مال أبي عبدالله الصادقعليه السلام». [٩٢]

قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «ما عمل امرؤاً عماً بعد إقامة الفرائض خيراً من إصلاح بين الناس». [٩٣]

ونقرأ في الآية (٨٥) من سورة النساء التالي:

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْها وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْها﴾

وطبقـاً لهـذه الآية نجد أن الصلـح هو نوع من الشـفاعة وعمل الخير، والوسـاطة في الاصلاح لها الثـواب والأجـر عنـد الله سـبحانه وتعالى والمستفيد من ذلـك هو الوسـيط، ولكن إذا قـام بالتدخل لنشوب الخلاف بدلاً من الاصلاح فسيكون ذلك ذنب عليه.

قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «من مشى في صلحٍ بين إثنينٍ، صلّى عليه ملائكة الله حتى يرجع، وأعطى ثواب ليلة القدر، ومن مشى في قَطِيعةٍ بين إثنين، كان عليه من الوزر بقدر ما لمن أصلح بين إثنين من الأجر، مكتوبٌ عليه لعنة الله حتى يدخل جهنم فيضاعف له العذاب». [٩٤]

د- الشروط الصعبة للطلاق في الاسلام

صحيـح أن الاسـلام أباح الطلاق كآخر حـل للخلافات، ولكن جعل لهـا تدابير مُحكمة وشروط صعبة والتي يعتبر كل واحدة منها عقبة في طريق الطلاق حتّى يحل الخلاف بالاصلاح بصورة طبيعية ولا يُجر للطلاق، حيث سنبين هنا هذه الشروط بصورة مختصرة.

التدابير التي وضعها الاسلام للحيلولة دون وقوع الطلاق:

١) استحكم الزواج بميثاقٍ غليظ وعهدٍ شديد على أساس من المحبة والمودّة والتقوى وحُسن المعاملة، كما نقرأ في الآية (٢١) من سورة النساء:

﴿وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾.

٢) وصّى الاسلام كثيراً على الدّقة في اختيار الزوج أو الزوجة.

٣) وصّى الاسلام عند بروز خلاف بين الزوج والزوجة تشكيل محكمة عائلية، وعلى كل من الحكمين إيجاد الصلح مع الحاكم كما جاء هذا الطلب في الآية (٣٥) من سورة النساء: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنَهُمَا فَابْعَثُوا حَكَمَاً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدا إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُما﴾.

٤) الاسلام جعل الطلاق أمراً مبغوضاً وحذّر الأزواج من هذا الأمر وقال: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾ (النساء - ١٩)

٥) من أحد شروط صحة الطلاق هي أن لا تكون الزوجة في فترة الحيض، حيث يجوز هذا الأمر على قدرٍ من الأهمية من الناحية النفسية في الاسلام، لأن السيدات في هذه الفترة تكون في حالة روحية حساسة وحالة من الضيق، وتقل تحمّلهم وفي كثير من الأوقات من الممكن أن تغضب على زوجها على أسباب تافهة وبدون أساس، لذلك يجب على الزوج ألا يفقد صبره في هذه الفترة، وإذا غضب وطلّق زوجته في هذه الفترة فإن الطلاق باطل في الاسلام.

٦) تكون الطلاق صحيحاً عندما تحيض المرأة لمرة واحدة بعد الجماع وتخرج من فترة الحيض.

٧) إذا كانت المرأة حامل وولدت، فيجب الانتهاء من فترة النفاس والاستراحة من الولادة وطهارتها.

٨) يجب أن يكون للطالق الصّلاحية في الطلاق من ناحية العقل والرشد والبلوغ.

٩) يجب حضور وشهود شاهدين عدلين عند إجراء صيغة الطلاق، من البديهي أن يندفع هذان الشاهدان بما لهما من تقوى والتزام إلى بذل كل المساعي للحيلولة دون وقوع الطلاق، وإعادة الحياة الزوجية إلى مجاريها الطبيعية.

١٠) مسألة العدّة بعد الطلاق، فمن الممكن أن تحصل الطلاق على أثر الغضب وعلى أسباب واهية لذلك عيّن الاسلام للمرأة والرجل بعد الطلاق مدة معينة لإعادة النظر حتى يستفيد الرجل من هذه المدة وإعادة زوجته فيها.

توضيح:

عندما يطلّق الزوج زوجته طلاقاً رجعياً (يعني يطلّق زوجته التي عاشرها من قبل ولم تصل إلى سن اليأس وأكبر من

٩ سنوات) يجب على المرأة إقامة العدّة (يعني لمدة فترتان من الحيض، وإذا اضت للمرة الثالثة تنتهي فترة عدّتها)، في هذه الحالة للرجل الحق في الرجوع (بدون عقد جديد) في مدة العدّة.

المرأة التي تكون في عدّة الطلاق الرجعي يجب عليها أن تراعي الأحكام الزوجية وألا تخرج من البيت بدون إذن زوجها وألا تصبح ناشزة، وفي هذه الحالة لها الحق على زوجها في المسكن والملبس والمأكل، ولا يسمح لزوجها في هذه الفترة الزواج من أختها، وإذا مات أحدهما في هذه الفترة يرثه الآخر، وإذا ماتت الزوجة فعلى الزوج كفنها وزكاة فطرتها.[٩٥]

١١) حدّد الاسلام الطلاق بمرتين، وجعل للذي يطلّق زوجته ثلاث مرات عقاب نفسي سيء جداً باسم «المحلل»، ويعني بأن الرجل الذي يطلّق زوجته ثلاث مرات لا يستطيع الرجوع إليها والزواج منها مرة أخرى، فيما عدا إذا تزوجها رجل آخر بالغ زواج دائمي، ثم طلّقها، وبعد الانتهاء من عدّة الطلاق يستطيع الزوج الأول الرجوع إليها والزواج منها بمهرٍ جديد وبرضائها، والذي يطلّق زوجته ٩ مرات (بواسطة محلّليْن)، تُحرم تلك الزوجة عليه للأبد.

١٢) من العقبات التي وضعها الاسلام في طريق الطلاق وبعبارة أخرى التدابير المعقولة والعميقة للاسلام لمنع ازدياد الطلاق هو أنه لم يجعل الطلاق بيد المرأة - إلا في الأمور الاستثنائية والخاصة - بل جعلها طبيعياً بيد الرجل، لأن للمرأة عواطف وأحاسيس كثيرة وسرعان ما تقع تحت تأثير العوامل المُخادعة للإنفصال، لذلك لم يجوّز الاسلام لها الطلاق، وبحثنا وتحقيقنا يدور أكثر في هذا الموضوع والذي أصبح ذو ضجّة كبيرة في الدنيا ويقول البعض من الدّعاة لحقوق البشر وحقوق المرأة: لماذا لا تستطيع المرأة الطلاق؟

لهذا السبب يجب أن نبحث أكثر في هذا الموضوع.

هـ: عِلل التحكّم في حق المرأة في الطلاق من نظر الاسلام

بلاشك أن الطلاق هي من أحد المشكلات الاجتماعية العميقة جداً والتي تؤدّى إلى مشكلات واختلافات أخرى من جهة كما تبين الاحصائيات، ساعة بعد ساعة يزيد من معدل الطلاق، بصورة أصبحت الزيادة في معدلات الطلاق وعواقبها المشؤومة والمُخرّبة من أحد المشكلات الكبيرة في العالم.

يقـول الكاتـب الأمريكيالفاضـل المعروف «لوسـون» في بيـان الاحصائيـات المتزايـدة الرهيبة في الطلاق: «كل من في نفسه ذرة حب للبشر يتألم من هذا الوضع الموحش لاحصائيات الطلاق، ويفكّر في حل هذه المشـكلة، والشيء الذي يجب التدقيق فيه أكثر هو أن نسـبة ٨٠٪ من معدلات الطلاق جرت بنـاءاً عـلى طلب الزوجة، وهنا يجب البحـث عن سرّ زيادة الطلاق، ثم في النهاية يجب قطعاً السـيطرة عليها وتحديدها وتقييدها».

يقـول «تولسـتوي» العـالم الـروسي المعـروف: «يجـب أن نعتـبر أن علة كثـرة ووفـور الطلاق هي الاختيـارات الكثـيرة للمـرأة في الطلاق، بالتوجـه إلى روحيتها ونفسـيتها المتلونـة وطبعها السريع في التألم.... وأيضاً ينبغي ألا نغفل عن أن من أحد عوامل الطلاق هي عمل النساء خارج المنزل».

تقول السيدة «مونيكا دكنيس» العالمة الاجتماعية الانجليزية في إظهار تأثرها الشديد للاحصائيات اليومية المتزايدة في الطلاق:

«باعتقادي أن دوام واستحكام أي زواج يعتمد في الدرجة الأولى على دراية الزوجة وعدم خفتها، باعترافي بهذه الحقيقة، مضطرّة بكل أسف أن أقول الاحصائيات وملفات المحاكم تبين بأن كل من مئة زواج ينتهي الى الانفصال، ٩٩ منه تكون المرأة هي المقصّرة.

ينبغـي إيجاد حل أسـاسي لهذاالأمـر، والمطالعة أكثر في اختيارات وعلـل طلبات الطلاق من طرف السيدات، وبمساعدة القانون تقييد ذلك وترميمه».[٩٦]

النتيجة والخلاصة

نفهم من مجموع المطالب السابقة أن الاسلام لم يعطي للمرأة الحق في الطلاق - إلا في بعض الموارد الاسـتثنائية - وذلك لأن النسـاء من ناحية العواطف والأحاسـيس خلقت بشكل أنها تقع تحت تأثير الهيجانـات السريعـة، لذلك من أجل اسـتحكام العائلـة وعدم تفككها والذي له عـوارض مُرّة كثيرة وسـيئة، يجـب التحكّـم وتقييد المرأة في مسـألة الطلاق لأنه طبقـاً للاحصائيات أن الطـلاق في الدول الاسـلامية والمناطـق التـي لم تُنفـذ حضارة الغـرب فيها أقل بكثير مـن إحصائيات الطـلاق في الدول الغربية.

مسـألة تحديد الطلاق مسـألة عميقة وجادّة والتي بُيّنت في الاسلام بطريقة معقولة وعلمية، كما تم تحديـد الطلاق بأشـكال أخـرى في دنيا الغرب، مثل «التفريق الجسـماني» والتي تـم طرحه في المجلس السابق وأصبح قانونياً ويطبّق حالياً في البرتغال وإيطاليا وفرنسا.

المقصود من التفريق الجسماني هو: أنه يستطيع كل من الزوج والزوجة الذين لا يتوافقان مع بعض

الانفصال عن الآخر بورة مؤقتة، ويجب أن تكون المدة أقل من ثلاث سنوات، وفي هذه المدّة يُعفى الزوج من نفقة الزوجة، ولكن سائر آثار الزوجية باقية، وإذا انقضت تلك المدة ولم يتوافقا الزوجين فمن الأفضل إجراء الطلاق طبقاً لقانون فرنسا، وطبقاً لقانون فرنسا وقانون الدول الأخرى تُحل الزوجية وتنتهي.

النتيجة

المساواة بين المرأة والرجل في الطلاق لا تحمي حقوق المرأة فقط بل إجمالاً تُضر بالمرأة، وتؤدّي إلى تضييع معظم حقوقها، لأن الفطرة وطبيعة الخلق تتطلب ذلك، وبالتأكيد السير على خلاف التكوين سينتج منه اثار غير مطلوبة.

يقول «ويل دورانت» العالم المعروف: «إذا كانت الطبيعة تبدو اليوم غير قادرة على حفظ الأسرة والأطفال فذلك لأن المرأة منذ مدة نسيت الطبيعة وكسرت قاعدة وقانون الطبيعة».[٩٧]

يقول الأستاذ العلاّمة مرتضى المطهّري: «حركة الدفاع عن حقوق المرأة المهضومة في أوربا كانت عاجلة ومرتجلة، بحكم أن يقظة أولئك جاءت متأخرة، فلم تمهلهم العواطف والأحاسيس ليرجعوا إلى العلم ويستهدوا به.

من هنا اختلط الحابل بالنابل في طيات هذه الحركة، ففتحت أمام المرأة أبواباً مغلقة، ورفعت عنها مجموعة من المتاعب، وأعطتها كثيراً من الحقوق، في نفس الوقت الذي جلبت فيه الكثير من المتاعب والمصاعب للمرأة والمجتمع البشري.

ومن المقطوع به أن حركة إحقاق حقوق المرأة - لولا تلك العُجالة والارتجال - تتخذ طابعاً أفضل، ولا يصل الحال إلى أن نصغي لصيحات العلماء والمفكّرين القلقة على الوضع السيء القائم بالفعل، ولم نصل إلى حالة الهلع على مستقبل الوضع القائم، إلا أن الأمل في أن يحتل العلم والمعرفة موقعها، وتستلهم حركة الدفاع عن حقوق المرأة المعرفة والعلم بدلاً من أن تستلهم العواطف والأحاسيس، كما تحدونا للأمل أيضاً وجهات نظر العلماء الأوروبيين في هذا المجال.

والذي يبدو لي أن ما يحاوله مقلّدوا الغرب من محاكاة الواقع الغربي في فهم العلاقة بين الرجل والمرأة، يسعى الغربيون أنفسهم لإسدال الستار عليه».[٩٨]

خمس فرضيات للطلاق وصحة إحداهن

يمكن أن نستعرض للطلاق خمس فرضيّات والتي كل واحدة منها رائجة وشائعة بنحوٍ ما في

الدنيـا، وبالتحقيق في هذه الفرضيّات الخمسـة سـتحصل إجمالاً على أن فرضيـة واحدة منها صحيحة ومعقولة وقد قبل بها الاسلام، تلك الفرضيات الخمسة هي عبارة عن:

١- أن يكـون الطـلاق أمراً غير هـام وأن تُرفع جميع القيـود القانونية والأخلاقيـة التي تحول دون الطلاق.

الذين يؤيّدون هذه الفرضية هم أولئك الذين يرون الزواج برؤية جنسية فقط، ويغضّون النظر عن قدسية الزواج وتشكيل الأسرة، وإذا وجدوا إمرأتاً أخرى أفضل للتمتع بها جنسياً يتركون الأولى.

من الواضح أن هذه الفرضية غير مقبولة وبها سيضيع حق المرأة، ويتفكك قوام الأسرة، وستؤدّي إلى مفاسدٍ كثيرة وبلا نهاية، لذلك هذه الفرضيّة من أسوء الفرضيات ولن يكون لها أي اعتبار.

٢- ان الزواج عقد مقدس لاتحاد القلوب، ولابد أن يبقى هذا العقد ثابتاً ومحفوظاً على الدوام وإلى الموت، ويجب أن يحذف الطلاق من القاموس البشري.

لقـد ناصرت الكنيسـة الكاثوليكية هـذه الفرضية لقرون ولكن ليسـت ولن تكون هـذه الفرضية عملية أبداً، لأنه عندما تصل الخلافات إلى حدٍ لا تطاق، يجب أن يكون هناك حلاً لذلك والذي ليس إلا الطلاق، في غير هذه الحالة ستتبدّل حياة الرجل والمرأة إلى جحيم من العذاب.

٣- أن الزواج قابل للفسخ من قبل الرجل، وغير قابل للفسخ بأي وجه من الوجوه من قِبل المرأة، وبصورة كلية تكون الطلاق بيد الرجل.

هـذه الفرضية أيضاً لا يمكـن إتّباعها، لأنها تؤدّي إلى ديكتاتورية الرجل، وفي تلك الحالة سـتُهدر حقوق المرأة، وفي حالة اسـتمرار الزواج يجب أن تتحمّل المرأة وتتعذّب، وفي حالة الطلاق يُقضى على حياتهـا ونتيجـة لذلـك تصبح المرأة لعبة في يـد إرادة الرجل، ومثـل هذه غير مقبولة مـن ناحية العقل والعلم.

٤- الـزواج مقـدس، والمؤسسـة الأسريـة محترمـة، ولكن لابد أن يفتح سـبيل الطـلاق في شروطٍ خاصة لكلٍ من الزوجين، ولابد أن يكون هناك باباً للخروج لكل من الزوج والزوجة بشـكلٍ واحد، حتّى يستطيع كل منهما الإستفادة من حق الطلاق عند التأزّم في الخلافات.

دُعاة التشابه بين حقوق الرجل وحقوق المرأة على مستوى الأسرة والذين يعبّرون عن التشابه خطأً بالتساوي هم أنصار هذه الفرضية.

دنيا الغرب والمدافعين عن بيان حقوق البشر قبلوا بهذه الفرضية.

هـذه الفرضيـة كـما قلنا والاحصائيات تبـين أنها تـؤدّي إلى الزيادة في معدلات الطـلاق، وتزيد في تعقيد المشكلة وتضاعفها، لأن الاختلاف في عواطف وإرادة جنس المرأة والرجل يتطلب أن لا تكون

الطلاق بيد المرأة، لأن النساء في أمورٍ كثيرة وتحت تأثير عواملٍ معينة تصمم على الطلاق بكل سهولة، وكما قلنا من قبل أن الاحصائيات تدل على أنه في حدود ٨٠٪ من حالات الطلاق كانت من ناحية النساء، لذلك ينبغي أن تكون المرأة محدودة أكثر من الرجل في مسألة الطلاق.

٥- الزواج مقدس، والمؤسسة الأسرية محترمة والطلاق أمرٌ مكروه ومبغوض، والمجتمع مسئول عن رفع الأسباب التي تؤدّي إلى وقوع الطلاق، وفي نفسالوقت لا ينبغي للقانون أن يغلق السبيل أمام الزواج الفاشل، فسبيل الخروج من هذا الزواج لابد أن يفتح أمام الرجل والمرأة، لكن السبيل الذي يُعيّن لخروج المرأة يختلف عن السبيل الذي يُعيّن لخروج الرجل، وتكون الطلاق بصورة طبيعية بيد الرجل ومشروطة بشروط صعبة، ولكن تستطيع النساء استخدام حق الطلاق بصورة محدودة وفي المواضع اللازمة.

هذه الفرضية هي التي أبدعها الاسلام فإذا أجريت بصورة كاملة ستُأمّن حقوق الزوجين على نحوٍ أحسن وأفضل، ولكن بكل أسف تتبع الدول الاسلامية هذه الفرضية بصورة ناقصة (غير كاملة)، ولكن إذا اتّبعتها بصورة كاملة، ستقل المشكلات العائلية بصورة مُلفتة للنظر.

الأمور التي يحق للنساء فيها بالفسخ أو الطلاق في الاسلام

في قانون الاسلام، ليس كذلك بأن المرأة ليس لها الحق في الطلاق بتاتاً بل يحق للمرأة في أمورٍ متعددة ومن طرفها فقط فسخ عقد الزواج أو الطلاق وتحرير نفسها، وعلى سبيل المثال:

١- إذا علمت المرأة بعد الزواج بأن زوجها كان مجنوناً قبل الزواج، أو أنه بعد العقد سواء قبل المعاشرة أو بعدها يصبح مجنوناً، تستطيع أن تحل العقد بدون الطلاق وتحرير نفسها.

٢- إذا علمت المرأة بعد إجراء العقدأنه ليس للرجل آلة التناسل أو قد قُطعت أو على أثر مرض غير قادر على المعاشرة، تستطيع المرأة فسخ العقد والانفصال عن الزوج بدون طلاق.

٣- إذا علمت المرأة بعد العقد بأن زوجها خصيّ، في حالة إخفاء ذلك الأمر على المرأة تستطيع المرأة بعد الإطّلاع فسخ العقد، وفي غير ذلك الفرض، تستطيع الرجوع إلى الحاكم الشرعي وأمره، وتحرير نفسها.

٤- عندما يمتنع الزوج عن تأمين وسائل معيشة المرأة ونفقتها، فللزوجة الحق في مراجعة المحكمة وبإثبات ذلك تطلب الطلاق، وواجب على الزوج أيضاً في حالة عجزه عن النفقة الطلاق، وإذا لم يطلّق تجبره المحكمة على الطلاق.

٥- عندما يمتنع الزوج عن وظائفه في المعاشرة والبيت، تستطيع الزوجة طلب الطلاق في المحكمة.

٦- عندما يكون العسر والمشقّة الغير قابلة للتحمّل في الزواج، ولا يستطيع الرجل رفع الضرر والمشقة، تستطيع المرأة طلب الطلاق من المحكمة.

٧- عندما يتّهم الرجل زوجته بالزنا، أو ينكر ولده من تلك الزوجة، للمرأة الحق في الطلاق.

٨- تستطيع المرأة عند إجراء عقد الزواج بزوجها أن تشرط بأن يعطيها الوكالة للطلاق (بصورة مطلقة أو في أمورٍ خاصة)، ويقبل الرجل بهذا الشرط في ذلك العقد، في هذه الحالة تستطيع المرأة في تلك الأمور الخاصة المبادرة بالطلاق.

٩- إذا فقدت المرأة زوجها، ولا يوجد أي دليل على وجوده، وأرادت الزواج، تستطيع مراجعة الحاكم الشرعي، فيعطيها الحاكم في هذه الحالة مهلة لأربعة سنوات، فتبحث أثناء تلك المدة عن زوجها، إذا لم يظهر الزوج في نهاية السنة الرابعة، يلزم الحاكم وليّ الزوج بطلاق تلك المرأة، وإن كان الإجبار غير مُمكن، أو لم يكن للزوج وليّ، يطلّق الحاكم بنفسه تلك المرلة، وبعد الطلاق تكون المرأة في العدّة (عدّة الوفاة) لمدة أربعة أشهر وعشرة أيام، ثم تستطيع الزواج.

إذا ظهر الزوج بعد زواج زوجته (طبقاً للمسألة السابقة)، ليس له الحق ولا يستطيع فسخ زواجها المجدّد.[٩٩]

هذه الأمور وموارد أخرى تبيّن أن حقوق النساء في هذا المجال قد راعاها الاسلام، وكما أنّ باب الطلاق مفتوح أمام الرجل، ليس مقفل أمام المرأة، ولكن يوجد فرق بين خروج الرجل وخروج المرأة، بالرغم من أن الاسلام لم يعرّف الطلاق - على أساس مصالحٍ ما - بصورة حق طبيعي للمرأة، ولكن لم يقفل الطريق أمامها كليّاً، وفتح للمرأة أبواب خروج خاصة.

نختم في نهاية هذا الفصل بذكر آية غنية بالمعاني عن الطلاق وحفظ الحدود والقوانين، يقول الله عزّ وجلّ في الآية

(٢٣١) من سورة البقرة.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِراراً لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلا تَتَّخِذُوا آياتِ الله هُزُواً وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ الله عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ واتَّقُوا الله وَاعْلَمُوا أَنَّ الله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

نهاية الفصل الثالث

الهوامش

(١) يقـول فقهاء الاسـلام عن زواج البنات: يجب أن يوافـق الأب أو الجد من جهة الأب على الزواج ولكن إذا ظهر لها خاطباً مناسـباً شرعاً وعُرفاً وكانت لها الميل في الزواج منه، عدم موافقة الأب أو الجد ليس مانع في هذا المورد، وكذلك إذا كان الأب أو الجد غائبان ولا تستطيع الاتصال بهما ومحتاجة للزواج، في هذه الحالة تستطيع الزواج منه بدون رضا الأب أو الجد - العروة الوثقى.

(٢) البحار، ج١٠٣، ص ٢٣٥.

(٣) وسائل الشيعة، ج١٤، ص ٢٠٧.

(٤) وسائل الشيعة، ج١٤، ص ٢٠٩.

(٥) النسـب مثل نوح وابنه والسـبب هـو زوج البنت، أي أن صلـة القرابة بين الأب والابن وهي قربى نسـبية تنقطع وذلك في سبيل الله فكيف بالقربى النسبية مع زوج البنت.

(٦) البحار، ج٤٤، ص ٢٠٧ و ٢٠٨.

(٧) مجمع البيان، ج١ و٢، ص ٣٣٢.

(٨) وسائل الشيعة، ج١٥، ص ٣ و٤.

(٩) نظام حقوق المرأة في الاسلام، تأليف مرتضى المطهري، ص ٤٦-٤٩.

(١٠) وسائل الشيعة، ج١٤، ص٢٧.

(١١) فروع الكافي، ج٥، ص ٣٣٣.

(١٢) مجمع البيان، ج٧، ص ١٤٠.

(١٣) وسائل الشيعة، ج١٤، ص ٧.

(١٤) سفينة البحار، ج١، ص ٥٦١.

(١٥) وسائل الشيعة، ج١٤، ص٦.

(١٦) البحار، ج١٠٣، ص ٢٢١.

(١٧) البحار، ج١٦، ص٢٢٣.

(١٨) جاء نظير هذا المطلب في الآيات (٥) من سورة الحج، و (١٠) من سورة لقمان و (٧) من سورة ق.

(١٩) اقتباس من مباهج الفلسفة، ص ١٧٤ و١٨٤.

(٢٠) مجلة دانشمند، السنة ١٣، العدد ٨.

(٢١) طرق الانتصار على الهموم، ص٣٦ و٣٧.

(٢٢) وسائل الشيعة، ج١٤، ص٢٢٢.

(٢٣) وسائل الشيعة، ج١٤، ص٢٥.

(٢٤) تفسير نور الثقلين، ج٣، ص٥٩٥.

(٢٥) المحجّة البيضاء، ج٣، ص٥٤.
(٢٦) فروع الكافي، ج٥، ص٣٦٦ - المراد هنا أعم من العقد والدخول والزفاف.
(٢٧) التفسير الكبير، ذيل الآية ٢٤ من سورة النساء.
(٢٨) وسائل الشيعة، ج١٤، ص٤٤٠.
(٢٩) نور الثّقلين، ج١، ص٤٦٧ - تفسير البرهان، ج١، ص ٣٦٠.
(٣٠) نور الثّقلين، ج١، ص٤٦٧ - تفسير البرهان، ج١، ص ٣٦٠.
(٣١) وسائل الشيعة، ج١٤، ص ٤٣٩.
(٣٢) وسائل الشيعة، ج١٤، ص ٤٣٩.
(٣٣) وسائل الشيعة، ج١٤، ص ٤٤٠.
(٣٤) وسائل الشيعة، ج١٤، ص٤٤١ - الغدير، ج٦، ص٢٠٦.
(٣٥) من لا يحضر، ج٢، ص١٤٨.
(٣٦) وسائل الشيعة، ج١٤، ص٤٣٨.
(٣٧) نظام حقوق المرأة في الاسلام، ص ٦٢.
(٣٨) حقوق المرأة في الاسلام والعالم، تأليف يحيى نوري، ص ١٩٨ و ١٩٩.
(٣٩) هذه الاحصائية خاصة بأمريكا وأوروبا وأينما نفذ التمدن الغربي، بمقدار نفوذه زادت المفاسد.
(٤٠) حقوق المرأة في الاسلام والعالم، تأليف يحيى نوري، ص١٩٩ و ٢٠٠.
(٤١) نظام حقوق المرأة في الاسلام، ص ٤٧.
(٤٢) نظام حقوق المرأة في الاسلام، ص ٤٧.
(٤٣) وسائل الشيعة، ج١٤، ص ٤٤٩.
(٤٤) وسائل الشيعة، ج١٤، ص ٤٥٠.
(٤٥) جاء في القرآن في الآية ٢٥ من سورة النساء والآية ٥ من سورة المائدة. ﴿غير مسافحاتٍ ولا متخذات أخدان﴾.
(٤٦) اقتباس من حقوق المرأة في الاسلام والعالم، ص٣٠-٣٦.
(٤٧) اقتباس من حقوق المرأة في الاسلام والعالم، ص٣٨ و٣٩.
(٤٨) تمدّن الاسلام والعرب، ص ٤٩٧-٤٩٩.
(٤٩) اعترض أحد المنكرين بهذا الاعتراض (بضم الآيتين السابقتين) في عهد الامام الصادقعليه السلام، فأجابه الامام الصادقعليه السلام بالجواب السابق (بأنه يوجد فرق في العدالة في الآية الأولى والعدالة في الآية الثانية) وأبلغه عن طريق أبو جعفر أخول واقتنع بذلك. (تفسير مجمع البيان، ج٢، ص١٢١)
(٥٠) في المناطق المعتدلة، تبلغ البنات في سن العاشرة والأولاد في سن الخامسة عشر.
(٥١) اقتباس من تفسير الميزان، ج٤، ص١٩٩.

(٥٢) الاسلام والصلح العالمي، ص ١٥٤ - مجلة القراءات، العدد ٥٦ للسنة ١٥.

(٥٣) تفسير الميزان، ج٤، ص ٢٠٠.

(٥٤) الميزان، ج٤، ص ٢٠٢.

(٥٥) حقوق المرأة في الاسلام، ص١٢٩.

(٥٦) تفسير الأمثل، ذيل الآية (٣) من سورة النساء.

(٥٧) تاريخ تمدّن الاسلام والعرب، ص ٥٠٩.

(٥٨) جاء شرح تعدد الزوجات والردّ على الاعتراضات في تفسير الميزان، ج٤، من ص ١٩٥ الى ص ٢١١.

(٥٩) كنز العمال، حديث ٤٥٤٣٩.

(٦٠) نفس المصدر، حديث ١٤٥٦٩.

(٦١) أصول الكافي، ج٢، ص ١٦٠.

(٦٢) جامع الصغير للسيوطي.

(٦٣) الاعلام قطب الدين حنفي، ص ٢٤.

(٦٤) البحار، ج٧٤، ص٦٧ بنقل الامام الباقر عليه السلام.

(٦٥) جامع السعادات، ج٢، ص١٤٣.

(٦٦) الاستيعاب، ج٤، ص٢٢٣.

(٦٧) فروع الكافي، ج٦، ص ٤٩.

(٦٨) البحار، ج١٤، ص٩٨.

(٦٩) إثبات المهدى، ج٧، ص١٥٠.

(٧٠) الميزان، ج٤، ص٦٩.

(٧١) البحار، ج٥٢، ص ٢٤٢.

(٧٢) بالطبع في الحالة التي لا تؤدّي الى الفساد وليس فيها قصد اللذّة، والمقصود من هذه النظرة هي التعرّف للزواج.

(٧٣) جواهر الكلام، ج٥، ص٤- وفي وسائل الشيعة، ج١٤، ص٥٩-٦١ يوجد باب بهذا الخصوص ويحتوي على ١٣ حديث.

(٧٤) سورة الأعراف، الآية٢٢.

(٧٥) ستر آدم وحواء قبل أكلهما تلك الشجرة جاء في سورة الأعراف، آية ٢٧.

(٧٦) سنن الترمذي، ج٣، ص٢٧.

(٧٧) سورة النور، آية ٣٠.

(٧٨) غرر الحكم.

(٧٩) اقتباس من كتاب «دين الاسلام» للكاتب الدكتور صبور، ج٣، ص٢١٩.

(٨٠) الشرح في كتاب على الاجتماع الغربي للكاتب الدكتور علي محمد نقوي.

(٨١) كتاب فرنتس فانون، ص٥.

(٨٢) الخمار: الحجاب المستعمل في ذلك العصر حيث كانت النساء تعطي رأسهن وصدورهن به.

(٨٣) ويعني ذلك أنه عندما أقبلت فاطمة الزهراء (س) مع النساء، قام الرجال مباشرة احتراماً لها بنصب الستار في المسجد.

(٨٤) احتجاج الطبرسي، ج١، ص١٣١ و١٣٢.

(٨٥) وسائل الشيعة، ج١٥، ص٢٦٩.

(٨٦) وسائل الشيعة، ج١٥، ص٢٧٠.

(٨٧) وسائل الشيعة، ج١٥، ص٢٦٦.

(٨٨) وسائل الشيعة، ج١٥، ص٢٦٨.

(٨٩) وسائل الشيعة، ج١٥، ص٢٦٧.

(٩٠) وسائل الشيعة، ج١٥، ص٢٧١.

(٩١) أصول الكافي، ج٢، ص٢٠٩.

(٩٢) أصول الكافي، ج٢، ص٢٠٩.

(٩٣) البحار، ج٧٦، ص٤٣.

(٩٤) وسائل الشيعة، ج١٣، ص١٦٢.

(٩٥) العروة الوثقى، أحكام العدّة.

(٩٦) حقوق المرأة في الاسلام والعالم، تأليف يحيى النوري، ص٢٢٩-٢٣٠.

(٩٧) نظام حقوق المرأة في الاسلام، للأستاذ المطهّري، ص٢٢١.

(٩٨) نظام حقوق المرأة في الاسلام، للأستاذ المطهّري، ص٢١٧.

(٩٩) العروة الوثقى، وكتب فقهية.

الفصل الرابع

قصص في حماية الإسلام
عن حقوق النساء ونماذج من
النساء الشامخات والبارزات

ملاحظة

سنتطرق في هذا الفصل لذكر قصص حقيقة ونماذج عن حماية الاسلام عن حقوق المرأة بين صفحات تاريخ الاسلام وحياة الرسول ﷺ والقادة والأئمة المعصومة عليهم السلام وأولياء الله، وأيضاً سنتطرق لذكر نماذج من النساء الشامخات والبارزات في الاسلام، حتّى نلفت نظركم في هذه اللوحة الى شخصية المرأة في سيماء الاسلام، وبهذه الوسيلة يُثبت لنا بأن النساء تستطيع في الأمور الإيجابية والمثبتة والعلم والكمال أن تسير جنباً إلى جنب الرجال، وأيضاً ليست أقل من الرجال في كسب المقامات العالية، وأن طريق الكمال مفتوح أمامها مثل الرجال، والآن أنتم وهذه القصص والنماذج...

١) تحذير الرسول ﷺ للزوج والزوجة

قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة آذت زوجها لم يقبل الله سبحانه وتعالى منها حرفاً ولا عدلاً ولا حسنة من عملها حتّى ترضيهِ وإن صامت نهارها وقامت ليلها وأعتقت الرقاب، وحملت على جياد الخيل في سبيل الله، فكانت أول من يرد النار».

ثم قال: «وكذلك الرجل اذا كان لها ظالماً.»

ثم قال: «من جبر على سوء خلق امرأته، أعطاه الله سبحانه وتعالى من الأجر ما أعطي أيوب عليه السلام، ومثل تلك الزوجة التي تؤذّي زوجها (بدون دليل شرعي)، ستدخل النار يوم القيامة وهي مقلوبة على وجهها مع المنافقين، وكلما استمرت على ذلك ستكون في موضع غضب الله سبحانه وتعالى، ومن جبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية بنت مزاحم.»[١]

٢) حماية الرسولﷺ من جارية ضعيفة

منح شخص إثنى عشر درهماً للرسولﷺ، فأعطى الرسولﷺ تلك الدراهم لعليعليه السلام وقال: «يا علي خذ هذه الدراهم فاشتر لي ثوبا ألبسه».

ذهب عليّعليه السلام الى السوق وبتلك الدراهم اشترى قميصاً وجاء به الى الرسولﷺ، فنظر الرسولﷺ الى ذلك القميص (على الظاهر كان القميص غالي الثمن) وقال لعليّعليه السلام: «يا عليّ غير هذا أحب إليّ، أترى صاحبه يقيلنا؟»

أخذ عليّعليه السلام القميص وذهب به الى البائع وحكى له ما جرى، ففسخ البائع بكمال رضاه المعاملة وردّ الدراهم الى عليّعليه السلام، جاء عليعليه السلام الى الرسولﷺ وأعطاه إياها.

فمشى الرسولﷺ مع عليّعليه السلام إلى السوق ليبتاع قميصاً، في طريقهم نظر الرسولﷺ الى سيدة جالسة وتبكي، فذهب إليها الرسولﷺ وسألها عن سبب بكائها، قالت: «إنني جارية، وإن أهل بيتي أعطوني أربعة دراهم لأشتر لهم بها حاجة فضاعت فلا أجسر أن أرجع إليهم.»

فأعطاها الرسولﷺ أربعة دراهم وقال: «ارجعي الى أهلك»، ومضى الى السوق مع عليّعليه السلام فاشترى قميصا بأربعة دراهم ولبسه وشكر الله وحمده، وخرج فرأى رجلاً عرياناً يقول: «من كساني كساه الله من ثياب الجنة».

فخلع الرسولﷺ قميصه وأعطاه إياه، ثم عاد الى السوق وبأربع الدراهم الباقية اشترى قميصاً آخر ولبسه وحمد الله، ورجع الى منزله، في طريق عودته التقى بنفس الجارية، جالسة وتبكي، فقال لها الرسولﷺ: «ما لك لا تأتين أهلك؟» قالت الجارية: «يا رسول الله! إني قد أبطأت عليهم وأخاف أن يضربوني».

فجاء رسول اللهﷺ حتّى وقف على باب دارهم فسلّم الرسولﷺ على أصحاب البيت كالعادة، خرجوا أهل البيت، فقال لهم الرسولﷺ: «إن هذه الجارية أبطأت عليكم فلا تؤاخذوها».

فقالوا: «يا رسول الله هي حرّة لممشاك».

وبهذا الترتيب بوساطة الرسولﷺ تم عتق سيدة ضعيفة وإسعادها، ثم قال الرسولﷺ: «الحمد لله، ما رأيت إثنى عشر درهماً أعظم بركةً من هذه، كسى الله بها عريانين، وأعتق بها نسمةً.»[٣]

٣) إبطال الرسول للسنن الخاطئة

كان في الجاهلية سننٌ خاطئة والتي كانت لها جذورٌ في مجرى دم الجاهلية، من أحد تلك السنن

الخاطئة هي أنهم لم يكونوا يعترفون بزواج شخص كان في السابق غلاماً بإمرأة حرّة ومن عائلة معروفة، وأيضا زواج رجلٌ شريف من عائلة معروفة بمطلّقة جارية أو كانت سابقاً جارية، فدخل الرسول ﷺ عملياً في الميدان لقطع جذور هذه السنّة الخاطئة وإجراء أمر الاسلام والذي يعرّف ميزان المساواة بالدين والكمال وليس الحسب والنسب.

كان زيد بن حارثة غلام الرسول ﷺ، أعتقه الرسول ﷺ، وزوّجه زينب ابنة عمه[٤]، بعد مُضي مدة طلّقها زيد بسبب الخلافات، فتزوج الرسول ﷺ بعظمته ومقامه بزينب مطلّقة غلامه[٥]، حيث تم الاشارة إلى هذا المطلب في القرآن في الآيات من ٣٦ الى ٣٨ من سورة الأحزاب.

بالرغم من أن هذا المطلب كان عملاً صعباً أمام المغرضين والجَهَلة، ولكن لكي يحطّم الرسول ﷺ السنن الباطلة، بدأ عملياً بدخول هذا المجال وأعلن بأن تفرقات ومميّزات الجاهلية باطلة، وكل فرد مسلم مساوي للمسلم الآخر، ويعتمد ملاك الأفضلية على التقوى وليس الحسب والنسب.

وأيضاً زواج الرسول ﷺ من زينب عوّضها عن فشلها في زواجها الأول.

النتيجة

في الجاهلية لم يكن لأية امرأة معروفة وعالية المقام في الحسب والنسب الاستعداد للزواج بعبد، مهما كان له قيم إنسانية عالية، وأيضا لم يكن لأي شخص الاستعداد للزواج من مطلّقة العبد، تزويج الرسول ﷺ زينب لزيد وثم زواجه من زينب بعد الطلاق، أبطل وحطّم سنّتان باطلتان في الجاهلية.

٤) التحيّز القاطع لعلي عليه السلام لحق إمرأة مظلومة

في عصر خلافة علي عليه السلام رأى سعيد بن قيس في ذات يوم الامام عليّ عليه السلام جالساً عند الحائط، وكان ذلك اليوم حاراً جداً، وكان الناس جميعاً في بيوتهم، فجاء سعيد بن قيس الى عليّ عليه السلام وقال: «لماذا خرجت في هذه الساعة الحارة؟»

قال عليّ عليه السلام: «ما خرجت إلا لأعين مظلوماً أو أغيث ملهوفاً».

وفي هذه اللحظة رأيت إمرأتاً مضطربة وحيرانه تبحث عن مغيث، فعندما رأت الامام عليّ عليه السلام جاءت عنده وقالت: «ظلمني زوجي وتعدّى عليّ وحلف ليضربني فاذهب معي إليه».

فرفع عليّ عليه السلام رأسه وفكّر بعمق وقال: «لا والله حتّى يؤخذ للمظلوم حقّه غير متعتع».

ثم سألها: «أين بيتك؟»

فأخبرته بعنوان منزلها، فذهب معها إلى بيتها، فدلّته على بيتها.

حضر عليّ عليه السلام عند باب البيت وسلّم، فخرج من البيت شاب سفيه بلباسٍ متعددة الألوان فقال له عليّ عليه السلام: «اتق الله فقد أخفت زوجتك».

فقال له الشاب (الذي لم يكن يعرف عليّ عليه السلام: «ليس من شأنك، وبما أنك قلت هذا الكلام والله لأقتلها بالنار».

هنا أخرج الامام عليّ عليه السلام سيفه من غمده وقال للشاب بشدّة: «آمرك بالمعروف وأنهاك عن المنكر وتردّ المعروف، تُب وإلا قتلتك».

فاجتمع الناس حولهم وجاءوا للإمام عليّ عليه السلام وأظهروا احترامهم له، فعرف الشاب وطلب المغفرة والتوبة من الإمام عليّ عليه السلام وقال لعليّ عليه السلام: « يا أمير المؤمنين اعف عنّي عفا الله عنك، والله لأكوننّ أرضاً تطأني.»

قال عليّ عليه السلام: «ادخل البيت وعامل زوجتك بالاحسان.»

أثناء ذلك قال الإمام عليّ عليه السلام بسعادة: «الحمد لله الذي أصلح بي بين إمرأةٍ وزوجها.»[٦]

٥) تجمّل الامام لزوجته

يقول حسن بن جهنم: رأيت الامام الكاظم عليه السلام وقد اختضب فسألته:

«جعلت فداك أتختضب؟»

فقال الإمام عليه السلام: «نعم إن التّهيئة ممّا يزيد في عفّة النساء، ولقدترك النساء العفّة لترك أزواجهن التهيئة».

ثم قال عليه السلام: «أيسرّك أن تراها على ما تراك عليه إذا كنت على غير تهيئة.»

قلت: «لا».

قال الامام عليه السلام: «فهو ذاك». (أي أنها أيضا لا تحب أن ترى الرجل على غير تهيئة)

ثم قال الامام عليه السلام: «من أخلاق الأنبياء التنظّف والتّطيّب وحلق الشعر.»[١٢]

٦) حل عيسى عليه السلام للإصلاح بين الزوج وزوجته

ذات يوم مرّ عيسى عليه السلام في سيره بجانب بيت، سمع صوت صراخ وشجار بين رجل وزوجته، فأحسّ بالمسئولية فذهب إليهما للصلح بينهما، وقال للزوج:

«لماذا تتشاجران؟»

قال الزوج: «هذه المرأة زوجتي، سيدة لائقة وليس عليها أي ذنب، لكني أريدها أن تنفصل عنّي

لأنني لا أحبها».

قال عيسى عليه السلام: «لماذا لا تحبّها بالرغم من صلاحها؟»

قال الزوج: «بالرغم من أنها ليست عجوزة إلا أن التجاعيد قد ظهرت في وجهها وفقدت جمالها، وهذا سرّ عدم توافقي معها».

قال عيسى عليه السلام للمرأة: «هل تريدين أن ترجَعِي جمالك؟»

قالت الزوجة: «نعم، بالتأكيد».

قال عيسى عليه السلام: «عند أكل الطعام، كُفّي عن الأكل من قبل أن تشبعي، لأنه إذا كانت المعدة مملوءة بالطعام فستؤدّي إلى العسر في الهضم وفقد الجمال، فلا تأكلي كثيراً».

فعملت بأمر عيسى عليه السلام، وبعد مدة رجع إليها جمالها.[١٣]

وعلى هذا، حلّ عيسى عليه السلام بتخطيط المنهج، مشكلة عدم التوافق والانسجام بين الزوج وزوجته.

٧) مساعدة الرسول صلى الله عليه وآله إمرأة لصلحها بزوجها

في عصر الرسول صلى الله عليه وآله كانت تعيش «خولة» المسلمة مع زوجها المسلم «أوس بن صامت»، ذات يوم أراد أوس معاشرة زوجته ولكن لم تستسلم له زوجته ولم تمكهنه، مما أدّى الى غضب أوس فأقسم عليها بالعرف الجاهلي «الظهار» (الطلاق الغير رجعي في الجاهلية) وقال: «أنت علّي كظهر أمّي».

لم يمضي مدة حتّى ندم الرجل وقال لزوجته: «أصبحت حرامٌ عليّ».

فخجل الرجل من الذهاب إلى الرسول صلى الله عليه وآله وطلب المساعدة والحل منه، فجاءت خولة الى الرسول صلى الله عليه وآله وحكت له القضية، قال الرسول صلى الله عليه وآله: «لقد حُرّمتِ عليه».

فكانت تحضر خولة عند الرسول صلى الله عليه وآله تباعاً وتصر على الرسول صلى الله عليه وآله حل مشكلتها وقالت: «يا رب ارحمني، لي أطفال صغار فإذا وضعتهم عند زوجي ضاعوا وإذا بقوا معي جاعوا».

فنزلت الآية (١) الى (٤) من سورة المجادلة وقال الرسول صلى الله عليه وآله لخولة:

«ليأتيني زوجك».

فأخبرته خولة وجاء أوس الى الرسول صلى الله عليه وآله، فقرأ له تلك الايات، وطبقاً لتلك الآيات اذا دفع الزوج كفّارة، فستحلّ مشكلة الظهار، وكفّارتها هي عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكيناً.

قال أوس: «إنني لا أستطيع على أية منها»، فساعده الرسول صلى الله عليه وآله في إطعام ستين مسكيناً وهيأ له الطعام.

فعمل أوس بذلك وعاد إلى حياته.[١٤]

إذا أدّت الزوجة وظيفتها، لم تكن لتبتلي بهذه المشكلة، وإذا لم يعجل الزوج في اتخاذ قراره لما وُلدت تلك المشكلة، وحقاً اذا حلّ كل من الزوج وزوجته أمور حياتهم بالتدبر والأخلاق فلن يعيشا في المحن والمشاكل، وأيضاً نستفيد هذا الدرس من الرسولﷺ بأنه كان سعيه جدّياً في إصلاح المشاكل التي تقع بين الزوج والزوجة، وأحياناً يبذل من أمواله في سبيل ذلك.

٨) تجمّل الزوج لزوجته

نقل الامام الصادقعليه السلام عن آباءه أنه قال رسول اللهﷺ: أنه آمر للنساء المتزوّجات والغير المتزوجات بالخضاب (الشعر واليد)، فالمتزوجات وذلك للتزيين والتجمّل لأزواجهن، والغير متزوجات وذلك حتّى لا تكون أيديهن مثل أيدي الرجال».[١٦]

نقل الامام الرضاعليه السلام عن آباءه أنهم قالوا: «إن نساء بني إسرائيل خرجن من حدود العفّة الى الانحراف والتلوث وذلك لأن الأزواج لم يتجمّلوا لنسائهم، لأن المرأة تريد منك كما أنت تريد منها.»[١٧]

وهنا توجّهوا للرواية التالية: تزيّن الامام الباقرعليه السلام لزوجته

عن الحسن الزيّات البصري قال: دخلت على أبي جعفر الامام الباقرعليه السلام أنا وصاحب لي فإذا هو في بيتٍ مجهّز، وعليه ملحفةً وردية، وقد حفّ لحيته واكتحل، فسألتها عن مسائل فلمّا قمنا قال الامامعليه السلام: «يا حسن».

قلت: لبيك.

قال الامامعليه السلام: «اذا كان الغد فأتني أنت وصاحبك»، فقلت: نعم جُعلت فداك.

فلـمّا كان من الغد دخلت عليه وإذا هو في بيت ليس فيه حصير واذا عليه قميصٌ غليظ، ثم أقبل على صاحبي، فقال: «يا أخا البصرة إنك دخلت عليّ أمس وأنا في بيت المرأة وكان أمس يومها، والبيت بيتها والمتاع متاعها، فتزيّنت لي على أن أتزيّن لها كما تزيّنت لي، فلا يدخل قلبك شيء.»

فقال له صاحبي: جُعلتُ فداك قد كان والله دخل في قلبي، فأمّا الن فقد والله أذهب الله ما كان، وعلمتُ أن الحق فيما قلت.[١٨]

٩) تقسيم العمل بين الزوج والزوجة

إن خدمة الرجل لزوجته وخدمة المرأة لزوجها عبادة مهمة جداً، ولها ثواب وأجرٌ عظيم عند الله سبحانه وتعالى:

قال رسول الله ﷺ: «لا يوفق الله عزّ وجلّ خدمة الزوجة والأطفال إلا للإنسان الخالص والصادق أو للذي له مقام الشهادة، أو الرجل الذي أراد الله فيه خير الدنيا والآخرة.»[١٩]

وقال أيضاً: «خياركم خياركم لأهله».[٢٠]

عن أم سلمة: قال رسول الله ﷺ: «كل امرأة تخدم في بيت زوجها وتنقل شيئاً من مكان إلى كان، ينظر الله سبحانه وتعالى إليها بعين اللطف وكل من يكون في عين اللطف الإلهي لا يكون في العذاب».[٢١]

وهنا نلفت عنايتكم الى القصة الآتية:

عندما جاءت فاطمة الزهراء (س) الى بيت زوجها الامام عليّ عليه السلام، تحدّثا عن تقسيم الأعمال، فذهبا الى رسول الله ﷺ حتّى يحكم بينهما ويقسّم الأعمال بينهما.

فألقى رسول الله ﷺ مسئولية الأعمال خارج المنزل على عاتق الامام عليّ عليه السلام والأعمال المنزلية على عاتق الزهراء (س).

ففرحا كلاهما بذلك التقسيم وقالت الزهراء (س) وهي فرحة جداً:

«لا يعلم ما دخلني من السرور إلا الله بإكفائي رسول الله تحمّل أرقاب الرجال».[٢٢] (ألزمني بوظائف حتّى لا أخرج من البيت وأخالط وأواجه الرجال)

١٠) وساطة الرسول ﷺ في زواج مسلميْن مختلفين

جاء رجل الى الرسول ﷺ وقال: «لدي بنت بالغة وميلة وجليلة، وأودّ أن تقبلها مني».

قال الرسول ﷺ: إنني لا أحتاجها، زوّجها لـ«جُلَيْبيب». (ابن عبدالله فهري الأنصاري، حيث كان جُليبيب من زاوية الشكل والعائلة وسائر المميزات ظاهرياً في مستوى هابط).

تضايق والد البنت من قول الرسول ﷺ، وذهب الى زوجته وأخبرها بقول الرسول ﷺ فتضايقت من ذلك، وعلمت بنتهما بذلك، فقالت لوالدها ووالدتها: «افرحا لي لما يفرح الله ورسوله».

هذا القول سبّب الاطمئنان ورضا والدها ووالدتها، فجاء والد البنت الى الرسول ﷺ وأعلمه برضاه ورضا بنته، فتوسط الرسول ﷺ وأجرى عقد الزواج بين جُليبيب والبنت المذكورة وجعل الجنة مهر لتلك البنت.[٢٣]

١١) غضب الرسولﷺ لتضييع حق امرأة

دين الاسلام دينٌ سهل وسمح، وجميع مناهجه قائمة على هذا الأساس.

كان عثمان بن مظعون أحدالأصحاب الصلحاء لرسول اللهﷺ يصوم عدّة أيام ويقضي لياليها بالعبادة، ذات يوم جاءت زوجته الى الرسولﷺ وقالت:

«زوجي عثمان بن مظعون يقضي نهاره بالصيام ولياليه بالعبادة.»

فغضب الرسولﷺ من هذا الخبر وتضايق، فذهب سريعاً إلى بيت عثمان، فوجده يصلي، عندما رآه عثمان ترك صلاته فقال له الرسولﷺ:

«يا عثمان لم يرسلني الله تعالى بالرهبانيّة ولكن بعثني بالحنيفيّة السّهلة السّمحة....».

ثم قال: «فمن أحبّ فطرتي فليستنّ بسنّتي ومن سنّتي النكاح.»[٢٤]

١٢) عفّة السيدة مريم (س)

كانت السيدة مريم (س) أم سيدنا عيسىعليه السلام حساسة في مسألة حفظ العفة، عندما حملت بمعجزة إلهية بدون زوج، وشعرت بآلام الولادة، حزنت كثيراً وكان حزنها لمعرفتها بالتهمة التي ستوجّه إليها من قبل الناس، وكانت حزينة جداً لدرجة أنها قالت:

﴿يا ليتني متُّ قبل هذا وكنتُ نسياً منسياً﴾[٢٥]

إن المسيحيين الذين يدّعون بأنهم يتبعون عيسىعليه السلام، هم بأنفسهم يزيدون من دائرة قلة العفة في أوروبا وأمريكا و... وغيرها، وفي الحقيقة هم أبعد الناس عن مذهب المسيحعليه السلام، ووصلت الوقاحة الى درجة أنهم ينشرون صورة للسيدة مريم (س) تبين بأنها لا تراعي الحجاب وحجابها ناقص، وحتّى في مؤتمر «بكّين» نصبوا صورتها في ديكور المجلس، تبين مدى وقاحتهم وإهانتهم والتي تتبرأ الروح الطاهرة للسيدة مريم (س) من تلك الاتهامات، وتقول في هذه الحالة: يا ليتني متُّ قبل هذا وكنتُ نسياً منسياً لاتهامهم لي بهذه الصورة والتمثال.

١٣) قدسية الزواج في الاسلام

جاءت سيدة الى الامام الصادقعليه السلام وقالت: «إنني مُتبتّلة».

فقال الامام الصادقعليه السلام: «وما التبتل عندك؟»

قالت السيدة: «لا أتزوج». (وتركت اللذّات الجنسية بسبب الزهد)

قال الامام الصادقعليه السلام: «لم؟»

قالت السيدة: «ألتمس بذلك الفضل». (الزهد)

فقال: «انصرفي فلم كان ذلك فضلاً لكانت فاطمة عليها السلام أحقّ به منك إنه ليس أحد يسبقها إلى الفضل.»[٢٦] (لذلك، عندما تزوجت فاطمة اعلمي أن ترك الزواج ليس فضيلة وعمل خير).

١٤) النتيجة الضارّة لترك الزواج

وهنا لتوضيح النتائج النفسية السيّئة لترك الزواج وعواقبه، نتوجّه الى الخبر التالي والذي نقل عن ممرضة (ويرتبط بالفترة التي تسبق الانقلاب الاسلامي في إيران وبآثار السفه الجنسي):

قبل ستة أشهر، جاء رجل حسن المظهر ومتعلّم وعازب الى المستشفى حتى يجري عملية ليصبح عقيم إلى الأبد، ولن تصدّقون بأن هذا الشاب كان عاقلاً وحسن الأخلاق وجميلاً حتى يستعفي عن الرجولة، عندما قابله الطبيب النفسي ليعرف العلة الروحية لاتخاذه هذا القرار، تبيّن أن الشاب يتمتع بصحة عقلية كاملة، ولكنه لا يستلذ بالجنس، وجاء في التقرير الطبي للشاب أنه قال:

«عندما أكون مع الفتيات، لا أحس باللذّة، ولكنني أعاشر النساء لتمضية الوقت فقط، ليس لي علاقة بالعشق وأصبح شيئا عاديا عندي، بدأت تجاربي الجنسية منذ كان عمري الحادي عشر والنصف سنة، والآن أنا في السابع والعشرين من عمري ولا أحس بأي نوع من الهيجان، كل الذي تعلمته من المدرسة ومن الأفلام والكتب والقصص مارسته بحرية مع بنات الجيران أو التلميذات في فصلي والآن لم يبقَ لي أي عمل جنسي لم أجرّبه، ولأنني أخاف أن أجر الى اللواط، وتُثار بي هذه الوسوسة جئت برجلي الى المستشفى حتّى أجري عملية العقم وأتخلص نهائياً من شر الجنس».[٢٧]

هذا النموذج المؤسف نموذج لأحد الأمراض النفسية عند الشباب والذي نشأ عن عدم الزواج، الزواج الذي هو الطريق الوحيد السليم لتعديل الغريزة الجنسية ونتيجةً لذلك، سقط وهوى في وادي موحش ومرعب.

بصورة كلية، الزواج هو عامل لنشاط ونمو المرأة والرجل معاً وكل من الرجل والمرأة بدون الآخر يعتبر ناقصاً، والارتباط المقدّس للزواج يكمّل هذا النقص.

النتيجة

كل من المرأة والرجل مكمّلان لبعض، لأن مرحلة من مراحل تكاملهما تعتمد على الآخر ويعتبر الانفراد في المعيشة والعزوبة نوع من النقص والمرض.

١٥) استحباب الزواج في الاسلام

قال الامام الصادقعليه السلام: جاء رجل الى أبي الامام الباقرعليه السلام فقال له:

«هل لك من زوجة؟»، فقال: لا، فقال أبي: «وما أحبُّ أنّ لي الدنيا وما فيها وإنّي بِتُّ ليلة وليست لي زوجة.»

ثم قال: «الركعتان يصلّيهما رجلٌ متزوج أفضل من رجلٍ أعزب يقوم ليله ويصوم نهاره»، ثم أعطاه أبي سبعة دنانير ثم قال له: «تزوج بهذه»، ثم قال أبي: «قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: اتخذوا الآهل فإنه أرزق لكم».[٢٨]

١٦) وصية والدة العروس في ليلة زفاف ابنتها

زوّجت سيدة ذكية وفطنة بنتها وفي ليلة زفافها عندما أرادوا أخذها إلى بيت زوجها، طلبتها وأوصتها بعشر وصايا وأكّدت عليها بالعمل بما فيها حتّى تقيم حياة زوجية سليمة.

قالت في البداية: «ابنتي! اعلمي أنك ستنفصلين عن الحياة التي اعتدت عليها واعتاد لحمك ودمك به، وسترحلين لبيتٍ غريبة عنه كاملاً وستصبحين جليساً لرفيقٍ لم تأنسي عليه، كوني جاريته حتّى يكون لك غلاماً، واسمعي مني هذه الوصايا العشر واعملي بها حتّى تسعدين في حياتك وفي بيتك الجديد:

١- ابني حياة حسنة وصالحة مع زوجك بالقناعة.

٢- اسمعي قول زوجك وأطيعيه واسعي في ذلك.

٣- انظري إليه بعين التواضع والمحبة.

٤- راعي النظافة والتعطّر.

٥- احفظي أموال زوجك واعلمي أن ذلك يأتي من الاعتدال بها.

٦- احفظي احترام أهل زوجك، ويحصل ذلك بالتدبير والذكاء.

٧- أعدّي طعام زوجك جيّداً وفي وقته، لأن الجوع عامل سريع لبروز الخلافات.

٨- التزمي بالسكوت والهدوء عند راحة الزوج، لأن الازعاج في النوم يجلب الغضب.

٩- لا تبيحي له بالأسرار الخافية، لأنه عند إفشاء السر لن تكوني في أمان من مكره وحيلته.

١٠- أطيعي زوجك لأنه عدم الاستجابة لطلباته المشروعة يؤدّي لتكدّس بغضه لك في صدره.

ابنتي! إذا عملت بهذه الأوامر بالصبر والتحمل، تيقّني بأنك ستجذبين عواطف زوجك، وفي ضوء ذلك ستخلقين حياة جميلة مع زوجك.»[٢٩]

٢٧) خواص المرأة الصالحة

في نظر الرسولﷺ والامام الصادقعليه السلام

يقول جابر بن عبدالله الأنصاري: كنا عند النبيﷺ فقال: «إن خير نسائكم هي:

١- الولود.

٢- الودود.

٣- العفيفة.

٤- العزيزة في أهلها.

٥- الذليلة مع بعلها.

٦- المتبرجة مع زوجها.

٧- الحصان[٣٠] على غيره.

٨- التي تسمع قوله وتطيع أمره.

٩- وإذا خلا بها بذلت له ما يريد منها.

١٠- ولم تبذّل كتبذّل الرجّل.»[٣١]

قال الامام الصادقعليه السلام لابراهيم الكرخي:

«اذا كنت تريد الزواج، فاختار:

١- ذات النسب الصالح.

٢- ذات الأخلاق الحسنة.

٣- والولود».

جاء رجل الى الرسولﷺ وقال: لي زوجة تستقبلني عند دخولي البيت، وتودّعني عند الخروج، وتُسلّيني عندما تجدني مهموماً، وتقول لي: «ان كنت تفكّر في رزقنا ونفقتنا فلا تغتم، لأن الله عزّ وجلّ ضامن الرزق، وإذا كنت تفكّر بالآخرة، فليزيد الله سبحانه وتعالى من تفكيرك وهمّتك في ذلك».

قال رسول اللهﷺ:

«إنّ لله عمّالاً وهذه من عمّاله، لها نصف أجر الشهيد».[٣٢]

٢٣) المرأة الغير اللائقة في نظر الشاعر سعدي

يقولون: أن أحد أقرباء الشاعر الايراني المعروف سعدي قال له: «من أين لك كل هذه

التجارب؟»

فأجاب سعدي: «من الرحلات الطويلة والبعيدة».

فقال: «كيف تحمّلت مشقة السفر؟»

فأجاب الشاعر سعدي ببيتٍ من الشعر عرف الحاضرون من ذلك الشعر بأن زوجته كانت ذات أخلاق سيئة، فقال أحدهم:

«بذلك ربّت زوجة الشيخ سعدي لنا رجلٌ حكيم وعاقل».(٣٣)

الزواج السهل

جاء جبرئيل عليه السلام من عند الله سبحانه وتعالى الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقال:

«إن الأبكار بمنزلة الثمر على الشجر إذا أدرك ثمره فلم يُجْتَنَ أفسدته الشمس ونثرته الرياح وكذلك الأبكار اذا أدركن ما يدرك النساء، فليس لهن دواء إلا البعولة وإلا لم يؤمن عليهن الفساد لأنهن بشر.»

فذهب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى المسجد وصعد المنبر من بين الناس وحمد الله وأثنى عليه وأبلغ للناس رسالة الله سبحانه وتعالى.

فقام إليه رجل وقال: «يا رسول الله فمن تزوّج؟»، فقال: «الأكفاء».

فقال: «يا رسول الله ومن الأكفاء؟»

فقال: «المؤمنون بعضهم أكفاء بعض».

في ذلك اليوم لم ينزل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من على المنبر حتّى زوّج بنت عمته «ضُباعة» (بنت زبير بن عبدالمطلب) لمقداد الذي كان غلاماً في السابق وأصبح حرّاً وقال للناس:

«زوّجت بنت عمتي لمقداد حتى يسهل موضوع الزواج».(٣٤)

نماذج من النساء ذات القوة والقدرة والصلابة في الاسلام

بالرغم من أن البعض يتصور بأن النساء دائماً أهبط من الرجال بسبب الضعف الروحي والجسمي، ولا تستطيع أبداً الصعود في مدارج الكمال جنباً الى جنب الرجل، ولكننا نعتقد بأنها تستطيع مثل الرجال في ضوء التعليمات الحيوية للاسلام الوصول الى الرشد والرقيّ، وتنال أعلى الدرجات والمميزات الانسانية، مثل: السيدة خديجة (س)، السيدة فاطمة الزهراء (س)، السيدة آسية والسيدة زينب و.... وغيرهن.

إن النساء البارزات على مدى التاريخ كثيرة خاصة في تاريخ الاسلام، سيدات قهرمانات وذات صلابة مثل فاطمة الزهراء (س) والسيدة زينب رفعن عظمة وكرامة المرأة الى أعلى درجة من الانسانية، لذا لا يجب النظر الى النساء بالحقارة، بل يجب توفير وسائل التعليم والتعلّم والرشد لهن، حيث بتوفير أسباب الرّقي قطعا سنقدم أعظم السيدات في التاريخ للمجتمع.

إن الاسلام هو الدين الذي يقول رسوله ﷺ:

«إن العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة». (٣٥)

وطبقاً للآية (١٩٥) من سورة آل عمران والآية (٣٥) من سورة الأحزاب والتي تم شرحهما في الفصل الثالث، قلنا بأن النساء مثل الرجال في اكتساب القيم، ويستطيع كل منهما بدون أية تفرقة الاستفادة من عوامل القيم والوصول الى مقامات معنوية عالية جداً وقيّمة لذلك لا يجب تحديد المرأة وتقييدها في هذا المجال بل يجب أن نفسح لها الميدان حتّى تستطيع بقدر استطاعتها التقدم، تحديدها في تحصيل العلم والكمال هو نوع من القضاء على حقّها وهدره ويحسب ظلم كبير.

على هذا الأساس أوجد الاسلام على مدى تاريخه سيدات ونساء بارزات عظيمات وكل منهن أصبحت المنشأ لآثار الخير الكثير، وأيضا من الناحية المعنوية والروحية العظيمة الانسانية قامت سيدات بارزات في ضوء الاسلام وخلقت الحماسات مثل السيدة فاطمة الزهراء (س) والتي طبقاً لقول الامام الصادقعليه السلام:

«لولا أن الله تبارك وتعالى خلق أمير المؤمنينعليه السلام لفاطمة (س) ما كان لها كُفْوٌ على ظهر الأرض من آدم ومن دونه».[٣٦]

هي الزهراء أم الحسن والحسين وزينب.

هي الوجود المبارك والتي كان الرسولصلى الله عليه وآله لاحترامها يقبّل يدها مراراً، ويقوم إجلالاً واحتراماً لها ويقول:

«فاطمة بضعةٌ منّي».[٣٧]

ومن منطلق ذلك، نلفت نظركم في هذا الكتاب على أساس حماية حقوق المرأة لنماذج من النساء البارزات حتّى توضّح هذه الشواهد الملموسة العينية للجميع بأن المرأة مثل الرجل تستطيع أن تمتلك شخصية عظيمة علمية وإنسانية.

سيدة صبورة وثابتة

استشهد الكثير من أبطال الاسلام في غزوة أحد مثل سيدنا حمزةعليه السلام وأصبح شائعاً بأن الرسولصلى الله عليه وآله قد استشهد.

وبعد انتهاء الحرب، قدمت النساء من المدينة الى أحد ليستقبلن الرسولصلى الله عليه وآله، وكل منهن يسألن عن الرسولصلى الله عليه وآله بدلاً من السؤال عن الشهداء.

هنا وصلت زينب أخت عبدالله بن جحش الى الرسولصلى الله عليه وآله، قال لها الرسولصلى الله عليه وآله: «اصبري وتحمّلي»، فقالت: «لماذا؟»، قال الرسولصلى الله عليه وآله: «استشهد أخوك عبدالله»، قالت زينب: «هنيئاً له الشهادة».

فقال لها الرسولصلى الله عليه وآله مرة أخرى: «اصبري»، فقالت: «لماذا؟»، قال:

«استشهد خالك حمزةعليه السلام».

قالت زينب: «إنا لله وإنا إليه راجعون، هنيئاً له الشهادة».

ثم قال الرسولصلى الله عليه وآله: «اصبري وتحمّلي».

قالت: لماذا؟، قال: «استشهد زوجك مصعب بن عمير».

عندما سمعت زينب هذه الجملة بكت بصوت عالٍ، وناحت وأنّت، فقال الرسولصلى الله عليه وآله: «لا يوجد

أحد أعظم مكانةً عند المرأة أكثر من زوجها».

ولكن أجابت زينب على الذين سألوها لماذا بكيت على زوجك؟ وقالت:

«لم يكن بكائي على زوجي لأنه استشهد دون رسول اللهﷺ بل كان بكائي لأيتامه، ماذا أقول لهم إذا سألوني عن أبيهم».[٣٨]

دين الإسلام مهر لأم سليم

كانت أم سليم من إحدى نساءالمدينة حيث قبلت بالإسلام وتحسب من المسلمين، خطبها أحد أفراد قبيلتها ويدعى «أبو طلحة الأنصاري» والذي لم يعتنق الاسلام، وبالرغم من أن أبو طلحة كان من الأفراد المعروفة وذو شخصية ومن أثرياء المدينة إلا أن أم سليم رفضته.

خطبها أبو طلحة مرة أخرى، ولكن قالت أم سليم: لا أتزوج أبداً من كافر، وناقشت أبو طلحة لمدة عن أحقيّة الاسلام، وفي النهاية أثّر قولها عليه وأسلم، فقبلت أم سليم الزواج به، وجعلت الاسلام مهرها.[٣٩]

وعلى ذلك نجد أن الدين الاسلامي جُعل مهراً في الزواج، وامرأة مسلمة تلميذة مذهب الرسولﷺ قد تربّت على أن تفكّر في المعنويات فقط، لأنه في ضوء المعنويات تحفظ دفء الأسرة وترابطها، حيث لا يمكن عمل ذلك بالأمور المادية.

أم حكيم السيدة القوية والثابتة وذات الصلابة

كانت أم حكيم زوجة عكرمة، وكلاهما كانا مسلمين، استشهد عكرمة في أحد غزوات الاسلام ضد الروميين، فخطبها يزيد بن أبو سفيان، فلم تقبل به أم حكيم بسبب ديانته.

حتى حدثت حرب «أجنادين» في الشام سنة ١٤ هجرية، في خلافة أبو بكر، وكانت أم حكيم تساعد أبطال الاسلام في الجبهة، فخطبها أحدهم ويدعى «خالد بن سعيد» في الجبهة، فقالت له:

«اصبر حتّى تنتهي الحرب ثم تتزوّج».

قال خالد: «لقد وقع في قلبي بأنني سأستشهد في هذه الحرب».

قالت أم حكيم: «إذا كان كذلك، فأنا موافقة.»

فتزوّجها خالد عند جسرٍ في الجبهة، وتم دعوة جمعٌ من المسلمين لوليمة العرس في ذلك المكان في صباح ذلك اليوم، وعُرف ذلك الجسر «بجسر أم حكيم».

ولكن لم تتم ضيافة خالد حتّى هجم جيش العدو، فقام خالد والذي كان مقاتلاً شجاعاً بالهجوم

على قلب العدو وقتل جمعٌ منهم حتّى استشهد.

قامت أم حكيم بعد مشاهدتها لشهادة زوجها الثاني ودون أن تفقد روحيّتها بنزع عمود الخيمة التي كانت هناك (يعني تلك الخيمة التي أقيمت بها العرس) وبدأت بمحاربة الأعداء، وقتلت سبعة أشخاص منهم وعادت سالماً لقواعدها.[٤٠]

روحيّة عالية لعمة النبيﷺ

بعدما استشهد سيدنا حمزةعليه السلام عم الرسولﷺ في غزوة أحد مثّل العدو بجسمه، فشُق بطنه وأخرجت كبده وقطع أنفه وقطعت أذناه وشوّه وجهه....

كان رسول اللهﷺ عند جثة حمزةعليه السلام المقطعة عندما رأى من بعيد صفية أخت حمزةعليه السلام آتية، فقال لإبنها الزبير بن العوام: «لا تجعلها تحضر هنا حتّى لا ترى أخيها بهذه الصورة».

فذهب زبير إلى أمّه صفية وبلّغها بقول رسول اللهﷺ وطلب منها الرجوع.

قالت صفية: «لماذا تمنعني، صحيح أنه وصلني خبر أخي بأنه مُثّل به ولا تريدني أن أرى جثة أخي ولكن ذلك في الله قليل، لقد رضيت بقضاء الله والله لأصبرن ولأحتسبن إن شاء الله».

عندما شاهدها الرسولﷺ بهذه الروحيّة العالية قال لزبير: «خلّ سبيلها».[٤١]

طَوْعة الفدائية

من إحدى النساء التي كانت شجاعة وفدائية شيعية والتي لا ينسى التاريخ صلابتها وإيثارها وفدائها أبداً، هي طَوْعة، هذه السيدة بالرغم من أنها كانت طاعنة بالسن وكان زوجها من أعداء أهل البيتعليهم السلام ومن الذين يشاركوا في قتل الحسينعليه السلام وأصحابه، إلا أنها منحت الملجأ لمسلمعليه السلام وكيل الامام الحسينعليه السلام في أصعب الظروف.

بينما كانت الآلاف من الأشخاص مختفين خوفاً من جلادين عبيد بن زياد الحاكم الظالم للعراق، منحت طَوْعة المأوى لمسلمعليه السلام الغريب والوحيد عندما عرفته عند عبوره من منزلها، وآوته ليلاً وضايفته بكل محبة وود، عندما أصبح مسلمعليه السلام وجاء جيش العدو إلى منزلها للقبض على مسلم، أخذ مسلم سيفه وشكر طوعة، فقالت طوعة لمسلم عند الوداع:

«أقسم بالله إذا قُتلت في سبيل الدفاع عن الاسلام سأقاتل الأعداء وأفديك بنفسي».[٤٤]

خرج مسلم من البيت وقاتل الأعداء بالقرب من بيت طوعه، فصعدت على سطح منزلها وشجّعت بهتافاتها مسلمعليه السلام لقتال الأعداء.

لم ينس مسلمعليه السلام محبة هذه السيدة الغيورة والشجاعة، في آخر ساعات عمره، اقترب لعمر بن سعيد ووصّى بالآتي: «ةنني استدنت سبعمائة درهم في الكوفة، بع درعي وسيفي واقض لي ديني، وعندما أُقتل أُدفن جسدي، وابعث الى الامام الحسينعليه السلام وأخبره من طرفي بأن لا يحضر الى الكوفة، وبعد بيع درعي وسيفي وأداء ديني فإذا بقى شيئاً من المال، ادفعها للسيدة التي آوتني ليلاً (يعني طوعة).»

نعم، تذكّر مسلمعليه السلام في آخر لحظات عمره محبّة طوعة وأراد أن يعوّضها ولو بمقدارٍ ضئيل، ولكن بعد شهادة مسلمعليه السلام، حزنت طوعة كثيراً على غربة ومظلوميّة مسلمعليه السلام ومرضت وتوفّت.[٤٥]

السلام على هذه السيدة الفهيمة والشجاعة والقديرة، والتي حقاً فدت بكل وجودها وروحها للحق...

هذه نماذج من النساء المحاربات العظيمات في مذهب الاسلام والتي تم ذكرها هنا، وعلى ذلك فإن النساء في مذهب الأنبياء تستطيع أن تنال أعلى درجات الفضيلة.

الهوامش

(١) اقتباس وتلخيص من وسائل الشيعة، ج١٤، ص١١٦.

(٢) نفس الرحمن، ص٤٧.

(٣) خصال الشيخ الصدوق، ص٨٦ و٨٧ – البحار، ج١٦ ص٢١٤.

(٤) زينبت بنت جحش، أمها أميمة بنت عبد المطلّب، لذلك هي ابنة عمة الرسولﷺ.

(٥) مجمع البيان، ج٨، ص٣٥٩.

(٦) الاختصاص للشيخ المفيد، ص١٥١.

(٧) مستدرك الوسائل، ج٣، ص١٦٦.

(٨) بالرغم من أن لبس النساء ملابس الرجال غير جائز، إلا أن ذلك كان ضرورياً في هذا الموضوع.

(٩) اقتباس من كتاب «الامام عليّ صوت العدالة الانسانية»، ج١، ص٨٢.

(١٠) أعيان الشيعة، ج١، ص٥٨٣.

(١١) أقتبس من كتاب الأئمة الاثنى عشر (هاشم معروف الحسيني)، ج٢، ص٣٦-٣٧. طبقاً لبعض الروايات كانت هذه الحادثة مع أم خالد زوجة عدّى بن حاتم.

(١٢) فروع الكافي، ج٥، ص٥٦٧.

(١٣) علل الشرايع، ص٤٩٧ – البحار، ج١٠٣، ص٢٥٨.

(١٤) الروايات مختلفة في ذلك، حيث جئنا بخلاصة ذلك هنا، مجمع البيان، ج٩، ص٢٤٦.

(١٥) اقتباس من البحار، ج٣٢، ص٢٠٣.

(١٦) البحار، ج٧٤، ص١٠٢.

(١٧) البحار، ج٧٤، ص١٠٢.

(١٨) البحار، ج٧٤، ص١٠١ و١٠٢.

(١٩) البحار، ج١٠٤، ص١٣٢.

(٢٠) البحار، ج٧٩، ص٢٦٨.

(٢١) البحار، ج١٠٣، ص٢٥١.

(٢٢) وسائل الشيعة، ج١٤، ص١٢٣.

(٢٣) فروع الكافي، ج١، ص٣٤٣.

(٢٤) فروع الكافي، ج٥، ص٤٩٣.

(٢٥) سورة مريم – ٢٣.

(٢٦) وسائل الشيعة، ج١٤، ص١١٨.

(٢٧) مجلة المرأة، العدد رقم ٤٠٥ لسنة ١٣٥١ شمسية (مقالة: لندن مركز الفساد الجنسي).

(٢٨) وسائل الشيعة، ج١٤، ص٧.

(٢٩) الحلقات الذهبية، ج١، ص٦٠.

(٣٠) الحصان: المرأة العفيفة.

(٣١) فروع الكافي، ج٥، ص٣٢٤.

(٣٢) وسائل الشيعة، ج١٤، ص١٧.

(٣٣) قصص من تاريخ الاسلام، للكاتب سيد غلام رضا سعيدي، ج٣، ص١٣.

(٣٤) عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٢٨٩.

(٣٥) البحار، ج١، ص١٨٠.

(٣٦) أصول الكافي، ج١، ص٤٦١.

(٣٧) البحار، ج٤٣، ص٩١.

(٣٨) البحار، ج٢٠، ص٦٤.

(٣٩) رياحين الشريعة، ج٣، ص٤٠٦.

(٤٠) طبقات ابن سعد، ج٤، ص٧١.

(٤١) الحلقات الذهبية، ج١١، ص٣٧ - طبقات ابن سعد، ج٣، ص٧.

(٤٢) الحلقات الذهبية، ج١، ص٥٣.

(٤٣) معالي السبطين، ج١، ص٣٧٠ - فرسان الهيجاء، ج١، ص٩١.

(٤٤) مقتل أبي مخنف، ص٥١ و٥٣ - أسرار الشهادة، طبعة جديدة، ج٢، ص٧٠.

(٤٥) سفير الحسين عليه السلام تأليف العلامة عبدالواحد مظفّر، ص١٢٩.

فهرس المحتويات

الفصل الأول
مظلومية المرأة قبل الاسلام وفي العصر الحاضر
ونجاتها في ضوء الاسلام
١٥

الفصل الثاني
بحث في حقوق المرأة مقارنة بحقوق الرجل وفلسفة بعض الاختلافات في الاسلام

الفصل الرابع
قصص في حماية الاسلام عن حقوق النساء ونماذج من النساء الشامخات والبارزات
١٦٧

فهرس المحتويات

مؤلفات السيّد الدّيباجيّ الالكترونية

١ - سيماء الأولياء وكراماتهم (ج٢)
٢ - حقوق الإنسان في الإسلام
٣ - حقوق المرأة في الإسلام
٤ - السيدة خديجة عليها السلام: مقاومة، إيثار، أسطورة
٥ - نفحات الرحمن في منازل العرفان (ج١)
٦ - نفحات الرحمن في منازل العرفان (ج٢)
٧ - القصص القرآنية (ج١)
٨ - القصص القرآنية (ج٢)
٩ - القصص القرآنية (ج٣)
١٠ - القصص القرآنية (ج٤)
١١ - القصص القرآنية (ج٥)
١٢ - التوحيد، دراسة معاصرة، الحلقة الأولى من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٣ - النبوة، دراسة معاصرة، الحلقة الثانية من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٤ - العدل، دراسة معاصرة، الحلقة الثالثة من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٥ - الإمامة، دراسة معاصرة، الحلقة الرابعة من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٦ - المعاد يوم القيامة، دراسة معاصرة، الحلقة الخامسة من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٧ - منتقى الدرر في سيرة المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام (ج١)
١٨ - منتقى الدرر سيرة المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام (ج٢)
١٩ - منتقى الدرر سيرة المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام (ج٣)
٢٠ - الفتنة العظمى، سلسلة دراسات تأريخية
٢١ - مظاهر الفرقة بين المسلمين وعلاجها
٢٢ - الإمام المهدي عليه السلام: الحقيقة المنتظرة
٢٣ - حوار حول الإمام المهدي (عج)
٢٤ - العباس بن علي عليه السلام بطل النهضة الحسينية
٢٥ - زينب الكبرى عليها السلام: بطلة الحرية
٢٦ - الحج: أحكاماً وفلسفة ودعاء
٢٧ - أجوبتنا على مسائلكم الدينية
٢٨ - رسالة عقائدية (ردّ على كتاب الشيعة والتصحيح للدكتور الموسوي)
٢٩ - الروضة المنتخبة
٣٠ - أجود المناظرات (تحت إشراف المؤلف)
٣١ - القصص الهادفة من سيرة المعصومين الأربعة عشر
٣٢ - أنصار الإمام الحسين عليه السلام
٣٣ - فضائل ومناقب علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام في مسانيد أهل السنة (ج١)
٣٤ - فضائل ومناقب علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام في مسانيد أهل السنة (ج٢)
٣٥ - قصص المثنوي
٣٦ - خطر الأفيون
٣٧ - زيارة الإمام الرضا سلام الله عليه